صاحب الأمير في تحفته الفريدة لأول مرة بالعربية

Niccolò Machiavelli

فن الحرب



نيقولا ماكيافللي

لقد علم ماكيافللى أوروبا فن الحرب الذي نمارسه منذ زمن طويل دون أن نعرفه.

ڤولتير

ترجمة وتقديم: صالح صابر زغلول

1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

فَنُّ الْحَرْب

اسم الكتاب: فَنُّ الْحَرْبِ

تأليف: نيقولا ماكياڤللي

ترجمة وتحقيق وتقديم: صالح صابر زغلول

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبدالرءوف سعد

تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار الكتاب العربي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 3346 / 2014

الترقيم الدولي: 978-977-376-879-2

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: 2256870

دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: 2236728

مكتبة النوري - أمام البريد - ت: 2210314

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: 2228222

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: 2456786

- فرع ثاني - ت: 2222373

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

الطبعة الأولى

2015

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: 2235401 ص.ب 34825

مصر - القاهرة - 52 شارع عبدالخالق ثروت - شقة 11 تليفون: 23916122 - فاكس: 23933671

لبنان - تليفون: 434186 / 05- 652241 / 03 - ص.ب 3043 الشويفات

darelkitab@yahoo.com - daralwalid@yahoo.com - info@darketab.com

www.darketab.com

http://www.facebook.com/groups/darketab

http://twitter.com/darelkitab

http://www.youtube.com/darelkitab

فَنُّ الْحَرْبِ

نِيقُولا ماكْيافِللي

صاحبُ كتابِ الأميرِ في تُحفتِهِ الفريدةِ لأولِ مرةٍ بالعربيةِ

«لقد علَّم ماكياڤللي أوروبا فن الحرب الذي
نمـارسه منذ زمن طويـل دون أن نعرفـه»

ڤولتير

ترجمة وتحقيق وتقديم

صالح صابر زغلول

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

تطلب منشوراتنا من دور النشر والمكتبات التالية

البلد	أسماء المكتبات
مصر	دار الكتاب العربي: ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت (القاهرة) - مكتبات الشروق - مكتبات ديوان شركة الشرق للمكتبات - مكتبات مؤسسة الأهرام - مكتبات أخبار اليوم - مكتبة منشأة المعارف (الإسكندرية)
ليبيا	طرابلس: المكتبة العلمية - المكتبة العربية - مكتبة السلام - دار الوليد - دار المعرفة - مكتبة ١٧ فبراير (بنغازي) - دار الجيل (بنغازي) - مكتبة الشعب (مصراته)- دار الكلمة (الزاوية)
تونس	إداريات ومعارف سوسة - شركة كتبكم تونس - المركز التونسي للكتاب - دار المعرفة - مكتبة تونس - دار الجيل - دار الاسهامات CLE
الجزائر	دار العزة والكرامة (وهران)، ودار الأنيس (الجزائر العاصمة) وسائر فروعها ومكتباتها بالجزائر
المغرب	الدار العالمية - دار الإنماء الثقافي - دار الثقافة - دار الأمان - مكتبة الألفية الثالثة - وراقة المبادرة - دار إحياء العلوم الزاهرة - الناشر الأطلسى - وراقة الجنوب - مكتبة فرنسا - مكتبة باريس
السعودية	مكتبات جرير - مكتبات العبيكان - مكتبات تهامة - مكتبات الرشد - دار الوراق - مكتبات الشواف - مكتبة المتنبي (الدمام) - كنوز المعرفة (جدة) - روائع المعرفة (جدة) - المكتبة التراثية
الإمارات	مكتبة الجامعة (أبو ظبي) - مكتبة زين المعارف (دبي) - مكتبات دبي للتوزيع - المكتبة التجارية (العين) - مكتبات جرير
الكويت	مكتبات ذات السلاسل - دار الفكر الحديث - مكتبة العجيرى - مكتبة الرسالة - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف - مكتبات جرير
سلطنة عمان	مسقط: مكتبات جرير - أحمد ناصيف 0096892339307
البحرين	المكتبة الوطنية (المنامة) - مكتبات جرير
العراق	دار المدى للعلوم والثقافة (أربيل) - دار التفسير (أربيل) - مكتبة هورمان (أربيل) - مكتبة برايتي (أربيل) - المكتبة القانونية - مكتبة النهضة (بغداد) - مكتبة السنجرى (الموصل) - دار الزمان (دهوك)
الأردن	المكتبة الأهلية - مكتبة دنديس - دار أسامة - مكتبة الفرسان - كشك الثقافة العربية حسن أبو علي - جملون
فلسطين	مكتبة دنديس (الخليل) - مكتبة القدس (القدس الشريف) - دار العماد للنشر (الخليل) - دار الجندي (القدس)
السودان	مكتبات القاضي (الخرطوم - أم درمان) - وادي النيل للتنمية البشرية (الخرطوم)
لبنان	شركة الشرق الأوسط - النيل والفرات كوم

إهداء المترجم ودار النشر

إلى كل الدول العربية والإسلامية

(انتبِهُوا لِمَا يُحاكُ لَكُمْ)

مقدمة المُترجِم إلى العربية



يقول نيقولا ماكياڤللي في تقديمه لكتاب فن الحرب:

(على الرغم من أن التعامل مع فن لم يسبق لي أن زاولته أو مارسته ربما يكون غرورا، لا يسعني التفكير إلا بأنني لديَّ العذر أكثر من بعض الأشخاص الذين أخذوا على عاتقهم الممارسة الفعلية للحرب، لأن الخطأ في كتاباتي يمكن أن يتم تصحيحه بسهولة دون إيذاء أي شخص، ولكن أي خطأ في ممارستهم ربما يدمر دولة بأكملها).

وردا على سؤال من أحد المحاورين عن الأشياء التي يجب أن نُقلِّد فيها القدماء يرد ماكياڤللي على لسان فابريزيو:

(تشريف وتكريم الفضائل، وعدم ازدراء الفقر، تقدير قيمة النظام الجيد والانضباط في جيوشهم، تشجيع المواطنين على حب بعضهم بعضًا، ترك النزاع والشقاق والفرقة، تفضيل المصلحة العامة على أية مصلحة خاصة أو شخصية، وغيرها من المبادئ التي يمكن أن تتناسب بسهولة مع عصرنا الحاضر).

ويقول رأيه فيمن يملك سلطة الحرب:

(لا يجب على أي إنسان أن يتعامل مع الحرب كعمل تجارى إلا الأمير أو الحاكم؛ وإذا كان الأمير أو الحاكم رجلا حكيما فلن يسمح لأي من رعاياه أو مواطنيه باتخاذها كمهنة وحيدة له، لم يفعل هذا أي رجل صالح إطلاقا، لأننا لا يمكن أن نطلق على إنسان رجلا صالحا وهو من أجل إعالة نفسه يقوم بامتهان حرفة تلزمه في جميع الأوقات أن يكون جشعا ومحتالا وقاسيا، أو بالطبع جميعها في نفس الوقت،

بغض النظر عن مكانة من يمتهنون التجارة في الحروب فالحرب لن تبقى عليهم في وقت السلام).

كما يقول عن تجار الحروب:

(يجب تجريم كل من يجمع ما يكفيه في وقت الحرب لدعم نفسه للأبد عن طريق السرقة والقتل والكثير من العنف تجاه أصدقائه فضلا عن أعدائه).

وعن أهمية الجيش للحفاظ على النظام والقوانين يقول:

(أفضل القوانين والطقوس في العالم سوف يتم احتقارها وتُدهس تحت الأقدام إذا لم تحظ بالدعم من القوة العسكرية؛ كما ينبغي لها أن تكون؛ فهي مثل قصر مهيب مكشوف بلا سقف، مليء بالجواهر والأثاث الباهظ، بالتأكيد سيتحول في الحال إلى خراب ودمار لأنه لا يوجد معه سوى بهائه وثرواته للدفاع عنه من ويلات الطقس فالجيش للدولة كالسقف للقصر يحمى ما بداخله).

هذا هو نيقولا ماكياڤللى الذي حوَّله البعض إلى شيطان وقال عنه آخرون ملاك في صورة إنسان، إنه في النهاية بشر يخطئ ويصيب، ويرجع سبب هذا التناقض الواضح في تقدير آراء ماكياڤللى إلى أن حياته وتجاربه التي عملت على تكوين أفكاره واستنباط نظرياته لم تُعرف المعرفة الكافية، وقد حال ذلك دون الفهم الصادق لآرائه ومراميه، والرجل الذي اقترن اسمه بالخيانة والغدر والخداع ونكث العهود كان في واقع حياته موظفا في حكومة مدينة فلورنسا شديد التوفر على أداء واجبات وظيفته ولم تشب سلوكه في الاضطلاع بعمله شائبة، وكان وطنيا محبا لبلاده وفيا لها، حريصا على مصلحتها وقد ضحَّى في بعض مواقفه بمصلحته الخاصة في سبيل آرائه ومعتقداته.

فالتناقض بين حياته وما اتسمت به أفكاره واضح لا خفاء به، ولكن معرفة طبيعة العصر الذي عاش فيه والتجارب التي مر بها تكشف لنا أسباب تكوين أفكاره، واستخلاص نظرياته.

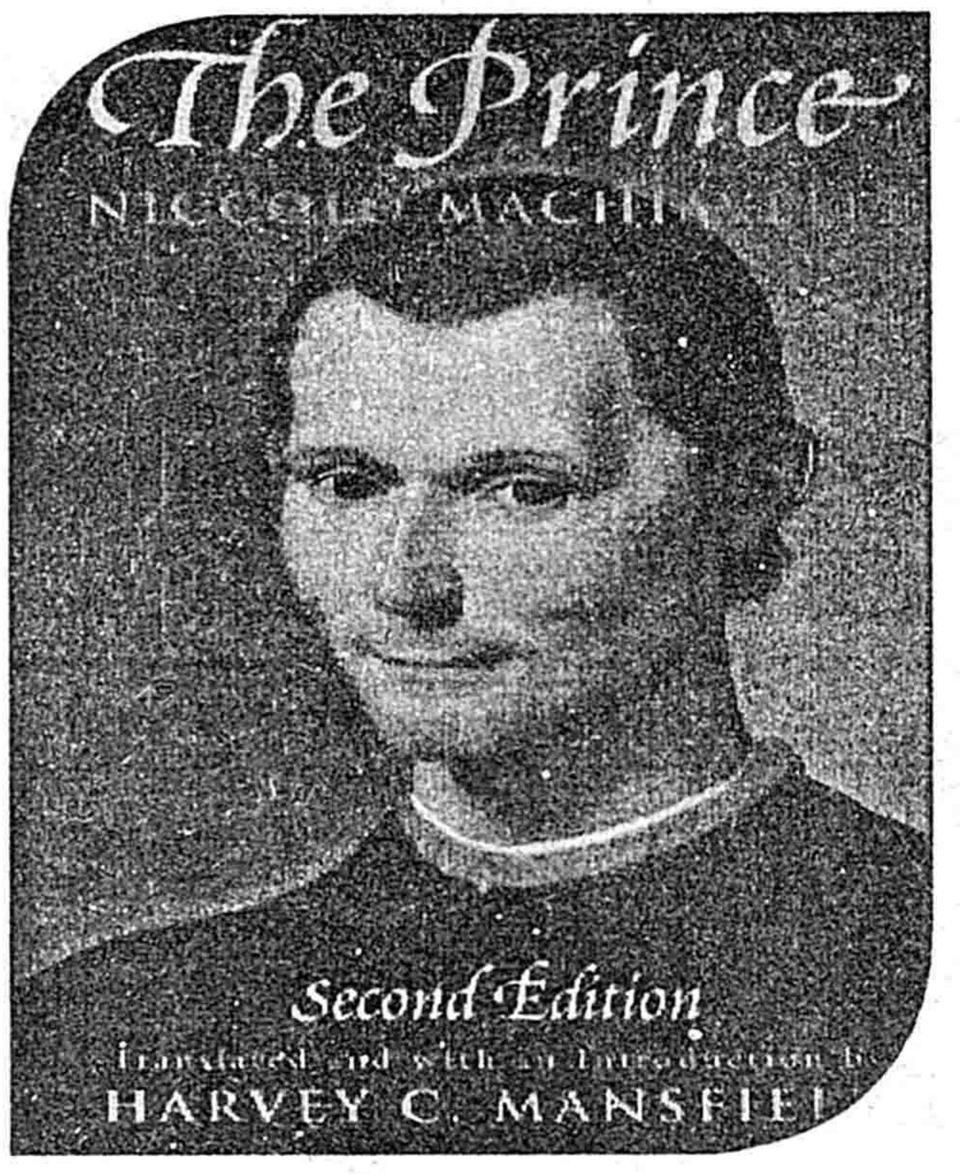
ليس الحفاظ على الدول بالكلام

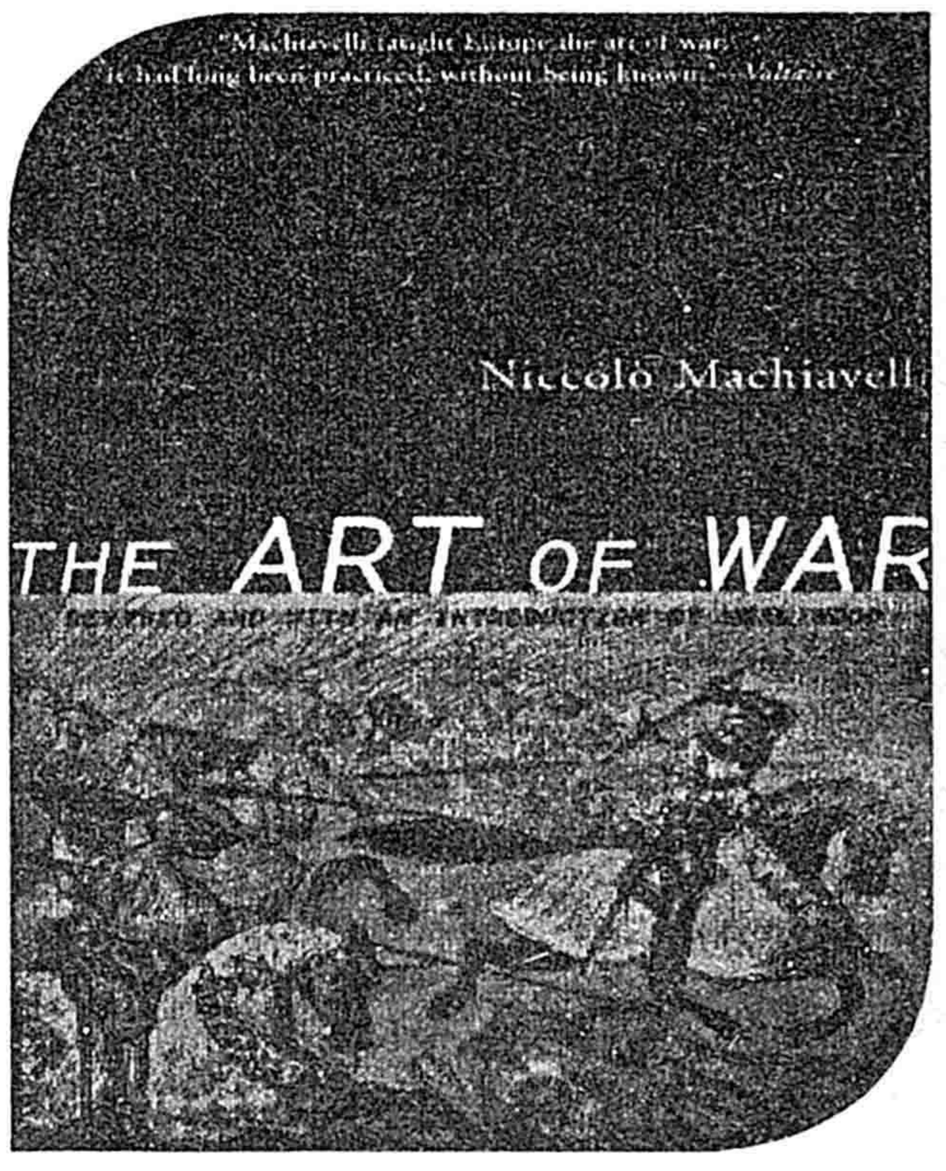


علم بينيتو موسوليني[1] من رجال فرق القمصان السوداء أنه سيُهدى إليه سيفا منقوشا عليه هذه الكلمات التي قالها نيقولا ماكياڤللى وكان موسولينى وقتها يفكر في موضوع رسالته لنيل درجة الدكتوراه، وقال للجنة المناقشة إن هذه العبارة (وضعت حدًّا لترددي وحيرتي وحددت على الفور موضوع الرسالة الذي أقدمه اليوم لتقترعوا عليه. وبإمكاني تسميته (تعليق عام 1924 على كتاب الأمير لماكياڤللى) وهذا الكتاب أريد أن أطلق عليه (ظل رجل الحكم). ثم تحدث موسولينى عن ندرة المراجع واصفا ماكياڤللى بالأمين العظيم وكان يود أن يَقرأ كل ما كتبه وما كُتب عنه في إيطاليا وفى جميع أنحاء العالم ولكن الوقت لم يسعفه وبرر هذا (أردت أن أضع بيني وبينه أقلَّ عدد من الوسطاء) وهذا (لكي لا أفسد الاتصال المباشر بين مذهبه وحياتي التي عشتها، وبين ما لاحظ هو ولاحظت أنا عن البشر والأشياء وبين ممارسته للحكم وممارستي له).

كما أضاف موسولينى (القضية هي ماذا يبقى خالدا من كتاب الأمير بعد أربعة قرون من الزمن؟ هل يمكن أن تكون لنصائح ماكياڤللى أية فائدة لرجال الحكم في العصر الحديث؟ هل قيمة كتاب الأمير تقع فقط في العصر الذي كتب فيه، وبالتالي هي قيمة محدودة وليست عامة؟

1- موسولينى (29 يوليو 1883 - 28 إبريل 1945 حكم إيطاليا ما بين 1922 و1943).





إن رسالتي تجيب على هذه الأسئلة وأؤكد لكم أن مذهب ماكياڤللي ما زال حيًّا اليوم بعد أربعة قرون والسبب أنه إذا كانت المظاهر الخارجية لحياتنا قد تغيرت تغيرا كبيرا إلا أن التغييرات في روح الشعوب والأفراد لم تتغير تغيرا عميقا مساويا لتغير المظاهر. وإذا كانت السياسة هي فن حكم البشر، أو بعبارة أخرى تربية أهوائهم وأنانيتهم ومصالحهم بالنظر إلى غايات نظام عام يكاد أن يخرج دائما على نطاق حياة الفرد لأنها تمتد إلى المستقبل. إذا كانت هذه هي السياسة فلا شك أن الإنسان هو العنصر الجوهري لهذا الفن ومن هنا يجب الانطلاق).

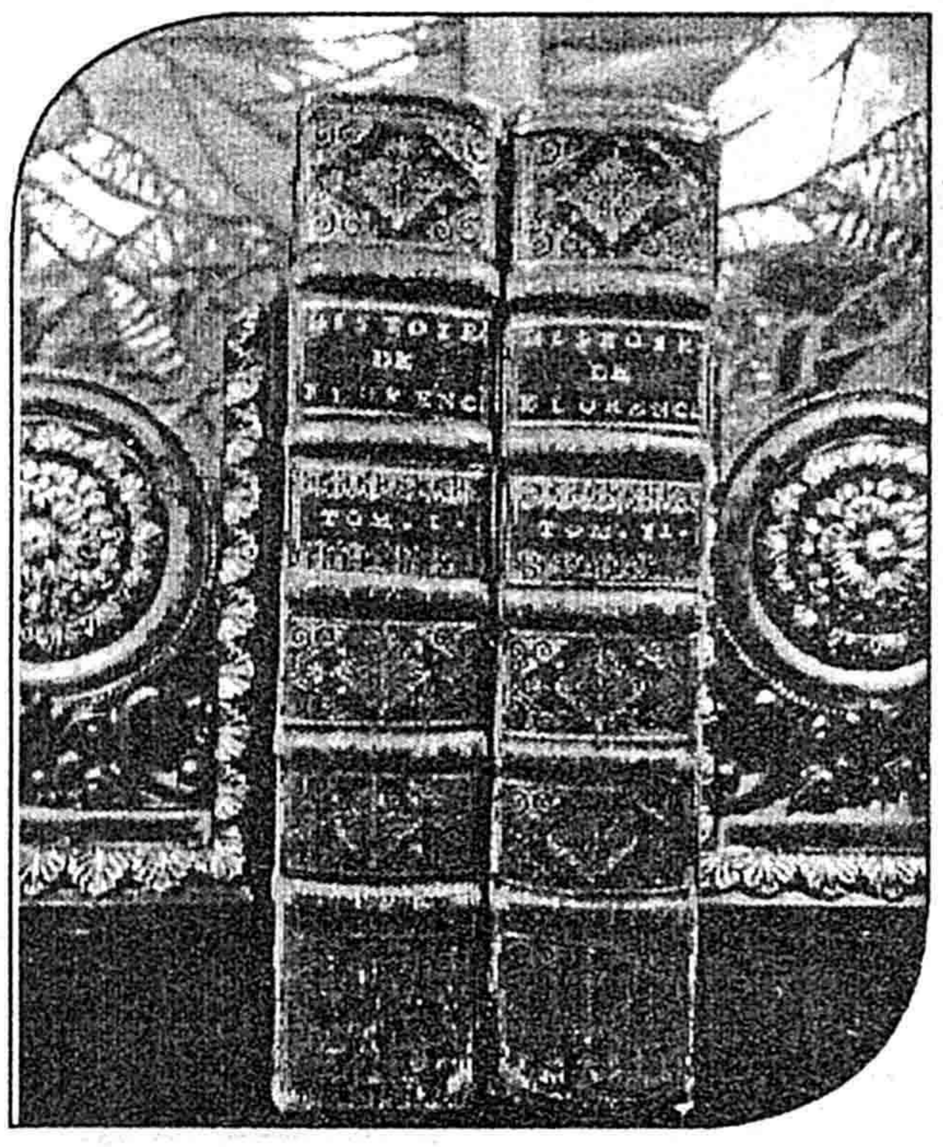
ومن هنا أيضًا نبدأ معًا قصة كتابنا (فن الحرب) تحفة نيقولا ماكياڤللي الفريدة، فإذا كان الأمير يقدم ماكياڤللي كفيلسوف سياسة الحكم، فإن فن الحرب يقدمه كرائد كبير للفنون العسكرية والإستراتيجية للجيوش والحروب.

قصة هذا الكتاب

أعترف وأقر لكم أنني أحب الموضوعات الصعبة حبًّا جمًّا، فمنذ حواليْ عام وكمعظم محبي القراءة هناك كتب يجب أن يعود إليها الإنسان كل فترة سواء للقراءة أو الاطلاع وكانت رغبتي وقتها العودة إلى كتاب (الأمير) الشهير لماكياڤللي وذلك بسبب الأوضاع السياسية المتغيرة بسرعة غير المسبوقة في العالم العربي والإسلامي بل والعالم أجمع تصفحت الكتاب ولكن ما إن طويته إلا وجدت الجملة الأشهر ترن

في أذني (الغاية تبرر الوسيلة) فقلت لنفسي هل كان ماكياڤللى بالفعل كما يشاع عنه وصوليا أنانيا متسلقا حتى أصبح له مفهوم خاصٌّ به في علم السياسة؟ أم إننا كالعادة نردد ما يقوله الآخرون بلا بحث أو تفكير؟!

هل كان ماكياڤللى ماكيافلليًا

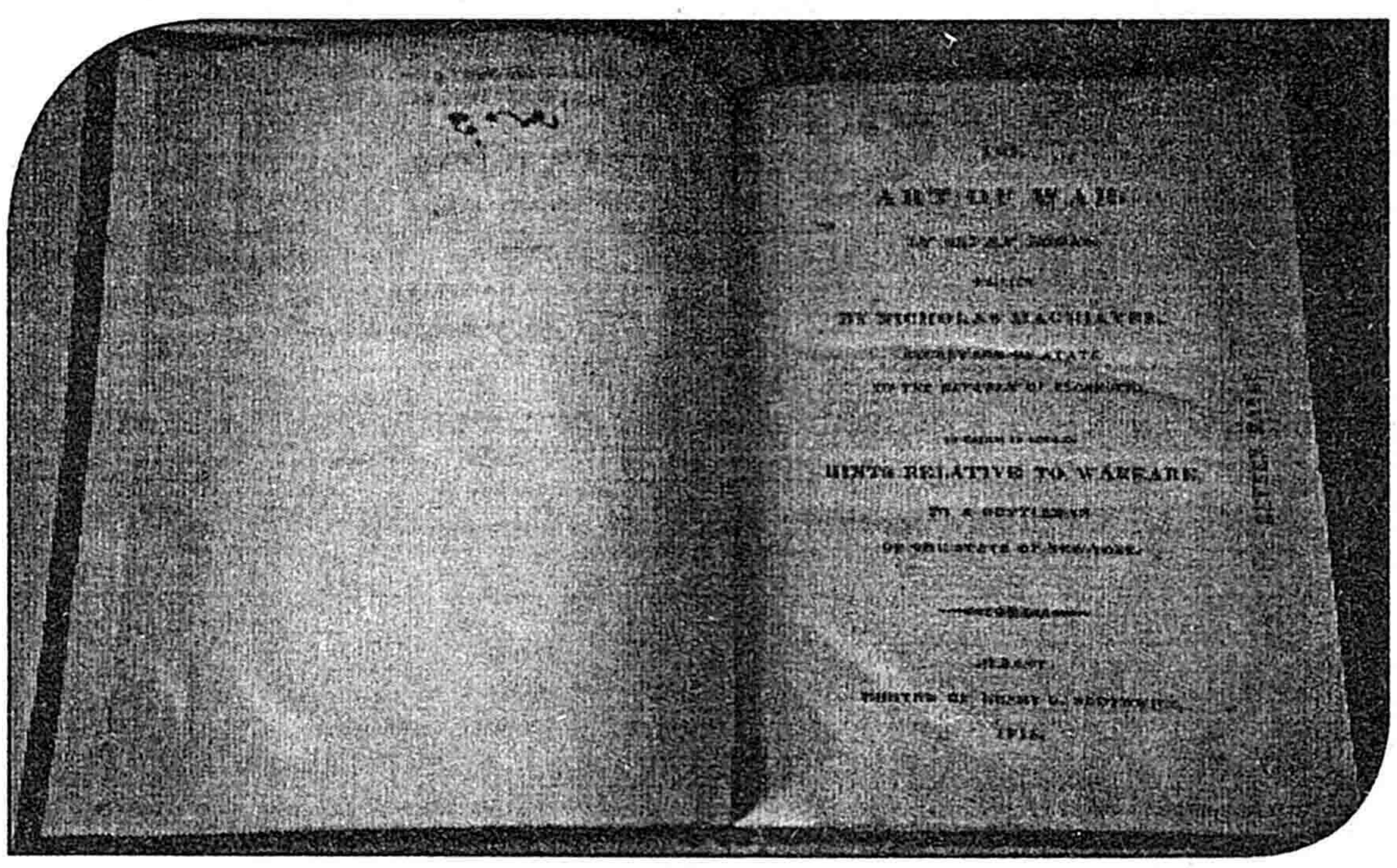


راقني البحث في هذا الموضوع وأحضرت ترجمات بعض كتبه مثل (المطارحات) وقمت بتصفحها، ولم يشْفِ هذا أيضًا حبي للاستطلاع فاتجهت على الفور للأعمال الكاملة له باللغة الانجليزية وكتب تتحدث عن سيرته وعصره بالتفصيل فوجدت أن الرجل كان مؤرخا كتب مجلدات عن تاريخ فلورنسا الإيطالية لا تزال المرجع الرئيسي في تاريخ هذه المرحلة.

وكما كان فيلسوفا لفن الحكم في كتاب (الأمير) كان أيضًا عالما بإستراتيجية وفنون الحرب في كتابه الفريد (فن الحرب) الذي ما إن اطلعت عليه إلا وأحسست بأهميته الشديدة وخاصة بعد أن عرفت تأثر كبار القادة في أوروبا وأمريكا بهذا الكتاب لدرجة أنه كان أحد روافد نابليون بونابرت في فكره الحربي والعسكري كما كان المُلهِم للرئيس الأمريكي جفرسون[1] وكان يحتفظ به في مكتبته الخاصة وطلب ترجمته إلى اللغة الإنجليزية وطباعته في أمريكا وقد وجدت صورة لهذه الطبعة النادرة بالفعل.

وهنا نرى العنوان (فن الحرب) في سبعة كتب لنيقولا ماكياڤللى سكرتير الدولة لجمهورية فلورنسا وقد قام أحد النبلاء الأمريكان بإضافة تعليقات عن الحروب عام 1815م.

1- توماس جفرسون Thomas Jefferson (13 أبريل 1743 - 4 يوليو 1826)، هو أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، والكاتب الرئيسي لإعلان الاستقلال (1776).



كما قال فولتير[1] عن كتاب فن الحرب (لقد علم ماكياڤللى أوروبا فن الحرب الذي نمارسه منذ زمن طويل دون أن نعرفه).

فبحثت عن ترجمة له فلم أجد في مكتبتنا العربية له أي أثر، وربما يكون قد تُرجم ولكنني لم أستطع الوصول إلى ترجمة له.

وتعمقت في سيرة ماكياڤللى فأدركت أنه لم يكن أبدا يؤمن بما نطلق عليه الآن السياسة الماكياڤللية بل كان إلى حد بعيد على النقيض منها ولكن حسد بعض رجال السياسة والدين الفاسدين في عصره جعلهم يشوهون سمعة كتاب الأمير والكاتب لدرجة أنهم قالوا إن كتاب الأمير كُتب على لسان الشيطان لبني الإنسان ولكن الحق أن ماكياڤللى كان يصف ما تراه عيناه وما قرأه من التاريخ من علاقة بين الحاكم والشعب مهما كان نظام الحكم، ويقول للحاكم إن صفات بعض قطاعات الشعب هكذا كما رأيتُ أو قرأتُ والحل هكذا كما ثبت بالتجربة الناجحة ولك أيها الحاكم أن تفعل أو لا تفعل، كما أن الغاية تبرر الوسيلة تفرضها الدولة بقوانين وليس الأفراد بأهوائهم كما فهمنا جميعا في السابق.

ومن هنا رأيت أن أرفع الظلم وأرد الاعتبار لعقل جبار مثل نيقولا ماكياڤللى

1- فرانسوا ماري أرويه المعروف باسم فولتير (بالفرنسية: Voltaire) من مواليد (21 نوفمبر 1694) ووفيات (30 مايو 1778)، فولتير هو اسمه المستعار فليسوف وصحفي فرنسي شهير جدًّا.

فعرضت على ناشر كريم ترجمة كتاب (فن الحرب) إلى العربية ونشره فوافق مشكورا وهذا الكتاب بالفعل لا يستغني عنه قارئ لماكياڤللى فهو يكمل صورة ماكياڤللى الذي لم يكن فقط فيلسوفا سياسيا بل أيضًا مؤرخا وصاحب نظرية عسكرية وحربية من طراز فريد.

أضف لهذا أن كتاب فن الحرب هو الوحيد الذي طبع في حياة كاتبه ماكياڤللى أما بقية كتبه فطبعت بعد وفاته حتى الأمير نفسه وأيضا ماكياڤللى نفسه يعتبر كتاب (فن الحرب) هو أفضل أعماله فإذا كان الأمير هو أشهرها بالفعل فقد كان كتابا صغيرا في الحجم عظيما في القيمة ولكن (فن الحرب) كبير الحجم والقيمة معًا.

إن ماكياڤللى مثله مثل بقية البشر إنسان له حسناته وله سيئاته كما قلت، لم أقل عنه إنه كان ملاكا ولم يقل هو هذا عن نفسه، وبالتالى لا يجب أن نجعل من الرجل شيطانا بل نتبع الحق في سيرته كما أمرنا الله تعالى مخاطبا نبيه داود عليه السلام: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: 26] .

يجب علينا أن نعيد دراسة سيرة ماكيافللى ونعطيه حقَّه فيما أحسن وننقده على ما أساء فعندما تقرأ سيرته في أية موسوعة أو كتاب لا تجد إلا الجانب السلبى ولنقرأ معا ما قالته الموسوعة العربية العالمية الشهيرة.

ماكياڤللى، نيقولا 1527–1469م رجل دولة وكاتب إيطالي يعتبره الكثيرون أبا علم السياسة الحديث. وهو أحد المفكرين السياسيين في عصر النهضة، وهي الفترة التي اشتهرت بالنشاط الفكري بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر الميلاديين. قادته التجربة التي اكتسبها من كونه رجل دولة ومن دراسته للتاريخ إلى النظر إلى السياسة بطريقة جديدة. فسَّر الكتاب السياسيون في العصور الوسطى السياسة بمثالية وفي إطار الدين النصراني، ولكن ماكياڤللى فسَّر السياسة بصورة واقعية على وجهة نظره للطبيعة الإنسانية في إطار التاريخ.

يرى ماكياڤللى الدولة كائنًا حيًّا يمثل الحاكمُ رأسه ويمثل الناس جسمه. ويقول بأن الدولة السليمة هي الدولة المتحدة والمنتظمة والمتوازنة، لذلك يعيش شعبها في سعادة وشرف وقوة وأمن. ولكن الدولة غير السليمة هي التي تعاني من الاضطراب وعدم التوازن وقد تحتاج إلى إجراءات قوية لإعادتها إلى طبيعتها.

دعا ماكياڤللى الحاكمَ لاستخدام كل الوسائل الضرورية من أجل الحفاظ على الدولة. وتشمل هذه الوسائل استخدام القسوة والخداع والقوة، إذا فشلت الوسائل الأخرى. بناء على ذلك رأى الكثيرون أن ماكياڤللى يدعو إلى استخدام القسوة والخداع في السياسة. وجاءت كلمة ماكياڤللية لتعني المكر والتجرد من المبادئ الخُلُقية.

أوضح ماكياڤللى معظم أفكاره في كتابه المشهور الأمير الذي كُتب عام 1513م وطبع عام 1532م. ويصف هذا الكتاب الطريقة التي بموجبها يكتسب الحاكم القوي السلطة ويحفظ بلده قويًّا. ومن مؤلفات ماكياڤللى الأخرى مقالات في كتب ليفي العشرة الأولى (1517م أو (1518م)؛ فن الحرب (1520م أو عام 1521م) وكتب ماكياڤللى أيضًا مجموعة من المسرحيات والقصائد.

وُلد ماكياڤللى في فلورنسا بإيطاليا، وعُيِّن عام 1498م سكرتيرًا للمؤسسة الحكومية الثانية في الجمهورية الفلورنسية. وشملت واجباته الإشراف على البعثات الدبلوماسية. انهارت الجمهورية عام 1512م. وعادت أسرة ميدتشي التي حكمت فلورنسا من قبل إلى السلطة مرة أخرى. اعتُقل ماكياڤللى وعُذِّب وسُجِن بتهمة التآمر ضد حكم ميدتشي ولكن أُطلق سراحه بعد أقل من عام.

وتقول عنه موسوعة ويكيبيديا الشهيرة:

(نيكولو دي برناردو دي ماكياڤللى (بالإيطالية: Niccolò di Bernardo dei Machiavelli)، ولد في فلورنسا 3 مايو 1469، وتوفي في فلورنسا في 21 يونيو 1527، كان مفكرا وفيلسوفا سياسيا إيطاليا إبّان عصر النهضة. أصبح ماكياڤللى الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبح فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً

هدف ماكيافللى منه أن يكتب تعليمات لحكام، نُشرَ الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. ولقد فُصِّلت نظريات ماكيافللى في القرن العشرين.

كما ترون التركيز الأساسي على النفعية والانتهازية فقط أين الجوانب الإيجابية، وأرجو تأمل خريطة إيطاليا في عصر ماكيافللى وملاحظة موقع فلورنسا لأنه سيفيدنا فيما بعد كثيرا.



الجيش للدولة كالسقف للقصر يحمي ما بداخله

هذه الكلمات من أبلغ وأروع ما قاله ماكيافللى في مقدمة كتاب (فن الحرب) أَوْجَزَ فَأَبْدَعَ وأدعو كل القادة والحكام وشعوب العرب والمسلمين إلى قراءة هذه الكلمات بتدبر وتمعن.

ماذا لو صنع الشعب دولة جميلة ورائعة في كل أنحائها وقوانين ودستور لا مثيل لهم ولكنها بلا جيش يحميها ستتداعى عليها الأمم وتمحو هذا الجمال في لحظات وهذه سنة كونية فسواء كان بيتك قصرا أو شقة أو حتى كوخًا صغيرًا ولكنه بلا سقف يحميه فهو مشاع مباح للجميع يهاجمه كما يشاء وأجدني أخرج عن السياق لأحمد الله أن لدينا في مصر هذا الجيش العظيم الذي وصفه خير البشر محمد ﷺ بأنه خير أجناد الأرض وبأنه وشعبه في رباط إلى يوم الدين. تخيل معي عزيزي القارئ لو لم يوجد هذا الجيش سقف قصرنا مصر وحاميه، كانت ستتداعى علينا الأمم كما حدث للكثير من الدول حولنا. أعود لأقول يجب أن تقوى الجيوش العربية والإسلامية وتحذو حذو الجيش المصري ليس هذا للعدوان فلسنا معتدين ولكن لحماية بلادنا وشعوبنا ورد المعتدين كما أمرنا الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

هذه الآية العظيمة التي أساء البعض فهمها وتفسيرها ولا أرى من ينفذها بقوة مثل الجيش المصري والجيوش الإسلامية الأولى، القوة للردع فقط وليس للعدوان أما من يعتدي علينا فسوف نرهبه بالفعل.

حِكَم من كتاب فن الحرب

(عندما تنتصر في معركة فإن هذا يلغي كل أعمالك السيئة الأخرى وبنفس الطريقة عند الهزيمة في معركة فإن كل الأشياء الجيدة الأخرى التي عملتها تضيع عبثا بلا جدوى) أحسنت يا ماكياڤللى هذه الكلمات تكاد تكون سنة بيننا نحن البشر وبصفة خاصة في أمتنا العربية وفي كل المجالات وليس الحروب فقط فما أن وقعت هزيمة 1967 م حتى نسي بعض الناس إنجازات الزعيم جمال عبد الناصر في مصر ومساعداته لدول عديدة في التحرر وتحدثوا عن الرجل وكأنه لم يصنع شيئا يستحق الذكر طوال حياته بل شوهوا حتى السد العالي والعدالة الاجتماعية غير المسبوقة في عصر عبد الناصر التي لولاها ما تعلم كل المنظرين الموجودين ممن يطلقون على أنفسهم نخبة الأمة وهم في الواقع خيبة الأمة.

لنا أن نقول إن لعبد الناصر سلبيات وهي كذا وكذا كما أن له على الجانب الآخر إيجابيات مثل كذا وكذا وهنا نكون منصفين، كلمات ماكياڤللى أيضًا تجعلني أؤكد أنه لم يكن ماكياڤلليا بالمفهوم السياسي للكلمة، فقد وصف فيها ما يراه عند النصر والهزيمة من تبعات حتى يجتهد القائد ويحترس في نفس الوقت هذا ما فهمته من تعمقي في طريقة تفكير ماكياڤللى كما يمكن لآخر أن يسيء تفسير الكلمات ويربطها بالنفعية تماما كما حدث مع جملة (الغاية تبرر الوسيلة) هنا يعرض ماكياڤللى ملاحظاته ومشاهداته عبر التاريخ ولا يفرضها على أحد ولو تعمقنا في سيرته سنجده مثلنا تماما يؤمن بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ولكن خبرات الحياة أظهرت له ما قال عنه هذه الجملة.

وأؤكد كلامي بما قاله في (فن الحرب) موجها كلامه للقائد:

(لا تقد أبدا جنودا إلى أرض المعركة إلا إذا تأكدت أولا من روحهم المعنوية العالية وأنهم يسيرون بلا خوف أو إجبار، ولا تختبرهم أبدا إلا إذا رأيت أنهم يأملون في الانتصار).

نرى هنا ماكياڤللى وكأنه محلل نفسي للشؤون المعنوية الخاصة بالجيوش والحروب مدركا أهمية الجانب النفسي للجنود.

(لا شيء أكثر احتمالا للنجاح والنصر مثل أن تقوم بتنفيذ ما يعتقد العدو أنه من المستحيل عليك حتى أن تحاوله) سبحان الله وكأن ماكياڤللى يقرأ حروب الجيل الثالث والرابع منذ أكثر من خمسمائة عام، فقد كان خط بارليف سدا منيعا تعتقد إسرائيل أنه مستحيل على الجيش المصري أن يحاول حتى الاقتراب منه فكان تحطيمه هو النصر لمصر وسوريا والأمة العربية والإسلامية، كما كانت هزيمة أُحد لنفس السبب وهو أن العدو (أهل مكة وقتها) فاجأوا المسلمين، لذلك أدعو كل قادة العرب والمسلمين إلى الانتباه لأنهم سيحاولون تطبيق نظرية ماكياڤللى هذه مرارًا وتكرارًا فهي تصلح لكل العصور في الخير والشر حسب كل منظور فقد كان الحكام مطمئنين أن الشعوب لن تثور ولكن تبدلت الأمور ودخلوا لنا من حيث لم نحتسب، ادرسوا كلام ماكياڤللى هذا جيدًا وكونوا سباقين يا حكام المسلمين.

اللهم أني قد بلغت اللهم فاشهد.

وفي عبارة أخرى داخل هذا الكتاب يقول:

(إن أعظم علاج مضاد لخطة العدو هو أن تفعل طوعًا ما يخطط هو أن تفعله بالقوة).

اعتبروا يا أولي الأبصار فالمكر في الخير مطلوب وقد وصف الله تعالى نفسه بخير الماكرين سبحانه وتعالى.[1]

ويجب أن نربط ما سبق بنصيحة ماكياڤللى الرائعة وهو يقول في (فن الحرب) (لا يجب أبدًا أن تعتقد أن العدو لا يعرف كيف يدبر شؤونه الخاصة ففي الحقيقة إذا أردت أن يقل خداعك لنفسك وأن تكون الخطورة عليك أقل يجب أن تؤمن

1- بمعنى أنه يعامل الماكرين بما يستحقون جزاء مكرهم فلا يصح أن نذكر من صفات الله (الماكر) سبحانه وتعالى.

أن العدو كلما كان أكثر ضعفا وأقل حذرًا يجب عليك أنت أن تكون أكثر اهتماما بل وتقديرا له بكثير).

وهناك أذكركم بمثال شهير على ما يقوله ماكيافللى (سنقذف بإسرائيل في البحر) كلمات شهيرة في عهد عبد الناصر فاطمأن لها الناس واستضعفوا إسرائيل ولم يعطوها أي تقدير فكانت ببساطة هزيمة يونيو 1967 م بعدها ظهرت صيحة (اعرف عدوك) فتُرجمت مئات الكتب حتى لأدق التفاصيل عن إسرائيل ودرسناها جيدًا عسكريًا ونفسيًا واجتماعيًا فكان نصر أكتوبر 1973 م.

اسمع ماكيافللي وهو يقول للقائد والجندي (الضرورات يمكن أن تكون كثيرة ولكن أقوى وأهم ضرورة يجب أن تقيد بها نفسك هي أن انتصر أو أموت).

يجب على كل جيوشنا أن تكتب هذا الكلمات أمامها على الدوام كما يرى ماكيافللى أن (في الحرب النظام والانضباط يمكن أن يفعل أكثر من الغضب والحماس).

وعن فن المناورات والإشاعات يقول (في بعض الأحيان تكون هناك لحظة عظيمة والمعركة دائرة تقوم بنشر كلمات مثل إن قائد الأعداء قد مات أو أنه هُزم عن طريق فرقة أخرى من الجيش، لقد منحت هذه الطريقة النصر مرات عديدة لمن استخدموها).

كما ينصح قائلا: (أن تعرف في الحرب كيف تكتشف الفرصة السانحة وتقتنصها أفضل من أي شيء آخر).

مع إيمان ماكيافللى بالاجتهاد والانضباط إلا أنه لا يغفل دور الحظ أحيانا فيقول: (في بعض الأحيان أفضل لك بكثير أن تجرب الحظ حيث يمكن أن يكون في صالحك فيحقق لك النصر على أن لا تجربه وترى هزيمتك المؤكدة)

ويقول أيضًا (إن قوات الخصوم تقل وتضعف أكثر بمن يفرون من أرض المعركة وليس بمن يُقتلون فيها).

وعن فن القيادة وأهمية القائد حتى في الفرق الصغيرة يقول: (في الجيوش وبين كل عشرة رجال يجب أن يوجد رجل أكثر حيوية وأكثر جرأة أو على الأقل أكثر نفوذا

وتأثيرا والذي بروحه العالية وكلماته ومثاله يحافظ على الآخرين في ثبات مستعدين للحرب).

يدعونا ماكياڤللى إلى عدم الاستهانة حتى بما نراه أتفه الأمور فربما انقلبت إلى سبب للنصر عند وقوع المعركة (حتى الفرصة الضعيفة جدًّا لها لحظتها العظيمة حين ينطلق الرجال في القتال).

وعن أهمية السلاح يقول (حيث إن مشهد التعامل مع الأسلحة جميل بالنسبة للناس فهو في نفس الوقت رائع ومبهج للشباب).

وعن معاملة الجنود في السلم والحرب يقول ماكياڤللى: (عندما تكون في ثكنة عسكرية يكون الحفاظ على الجنود بالثواب والعقاب أما عندما تقودهم إلى الحرب فيجب أن يكون عن طريق الأمل والمكافأة والثواب).

ولننصت إلى من يفضل ماكياڤللى من الجنود: (بلا شك الرجال الشجعان غير المنضبطين أضعف بكثير من الجبناء المنضبطين لأن الانضباط يطرد الخوف من الرجال ولكن عدم الانضباط يقلل من الشجاعة لديهم).

والفرق بين الحرب والسلام هو (الحرب تصنع اللصوص والسلام يشنقهم) وما أكثر لصوص الحروب في دولنا العربية وفى العالم، ولكن للأسف لم يشنقهم السلامُ بل زادوا.

ولو استرسلت في مقتطفاتي من كتاب فن الحرب لكتبت الكثير ولكني أردت أن أشجعكم على قراءة الكتاب على الرغم من صعوبته.

وأختم بكلمتين الأولى يقول فيها ماكياڤللى: (إن الحروب الحالية أصابت الأمراء المنتصرين بالفقر تماما كما أصابت المهزومين به أيضا) صدق ماكياڤللى فالحرب وبال ودمار على كل الأطراف. والكلمة الثانية يوجه النصيحة البليغة: (قبل كل شيء لا يجب عليك أبدًا قيادة جيش للحرب وهو خائف أو غير واثق من النصر فأكبر دليل على الخسارة الوشيكة هو عندما لا يؤمن الفرد بقدرته على الانتصار).

كتاب (فن الحرب) الشكل والمضمون

كتاب (فن الحرب) (The Art of War) وبالإيطالية (Dell'arte della guerra) هو أطروحة كتبها الفيلسوف السياسي والمؤرخ لعصر النهضة الإيطالي نيقولا ماكياڤللى.

إن شكل كتاب فن الحرب هو الحوار السقراطي أي توليد الأفكار والمفاهيم عن طريق الحوار كما كان يفعل الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط والغرض من الكتاب أعلنه اللورد فابريزيو كولونا (Fabrizio Colonna) والذي يرى البعض أنه يرمز إلى ماكياڤللى نفسه فالهدف هو تكريم ومكافأة الفضيلة وعدم احتقار الفقر، كما يجب تقدير وتدعيم وسائط وأوامر الانضباط العسكري، ومن أهداف الكتاب أن نجعل المواطنين يحب أحدهم الآخرين وأن يعيشوا متحدين بلا فرقة أو فصائل أو جماعات وأن يزيد تقديرنا للمصلحة العامة عن المصلحة الخاصة المحدودة لهذه الغايات يكتب ماكياڤللى مقدمته قائلا (الجيش للشعب كالسقف للبيت يحمي ما بداخله).

اكتمل الكتاب بين عامين 1519 م و1520 م وتمت طباعته في العام التالي مباشرة وهو العمل السياسي أو التاريخي الوحيد الذي طُبع في حياة ماكياڤللى على الرغم من أنَه قد تم تعيينه وقتها مؤرخًا رسميًّا لفلورنسا في عام 1920 م كما عهد إليه بواجبات مدنية آخرى.

ينقسم كتاب فن الحرب إلى مقدمة (proemio) وسبعة كتب أو فصول وهي تأخذ شكل سلسلة من الحوارات التي تجرى في حدائق تم بناؤها على الطراز الكلاسيكي في تسعينيات القرن الخامس عشر (1590) وقد بنيت للأرستقراطيين وأصحاب النظريات الإنسانية في فلورنسا للمشاركة في المناقشات.

تجرى الحوارات بين كوزيمو روسيلاي(Cosimo Rucellai) ولورد فابريزيو كولونا (Fabrizio Colonna) ويعتقد بعض الباحثين أن فابريزيو يمثل قناعًا اتخذه ماكياڤللى نفسه للتمويه لكي يعرض أفكاره من خلاله ولكن تم الطعن في هذا الرأي من خلال علماء آخرين مثل مانسفيلد وغيره.

ولكى نتخيل الحديقة وأفراد الحوار لأننا في عصر الصورة وجدت صورة تمثلهم.



من هو لورنزو دى فيليبو ستروزى



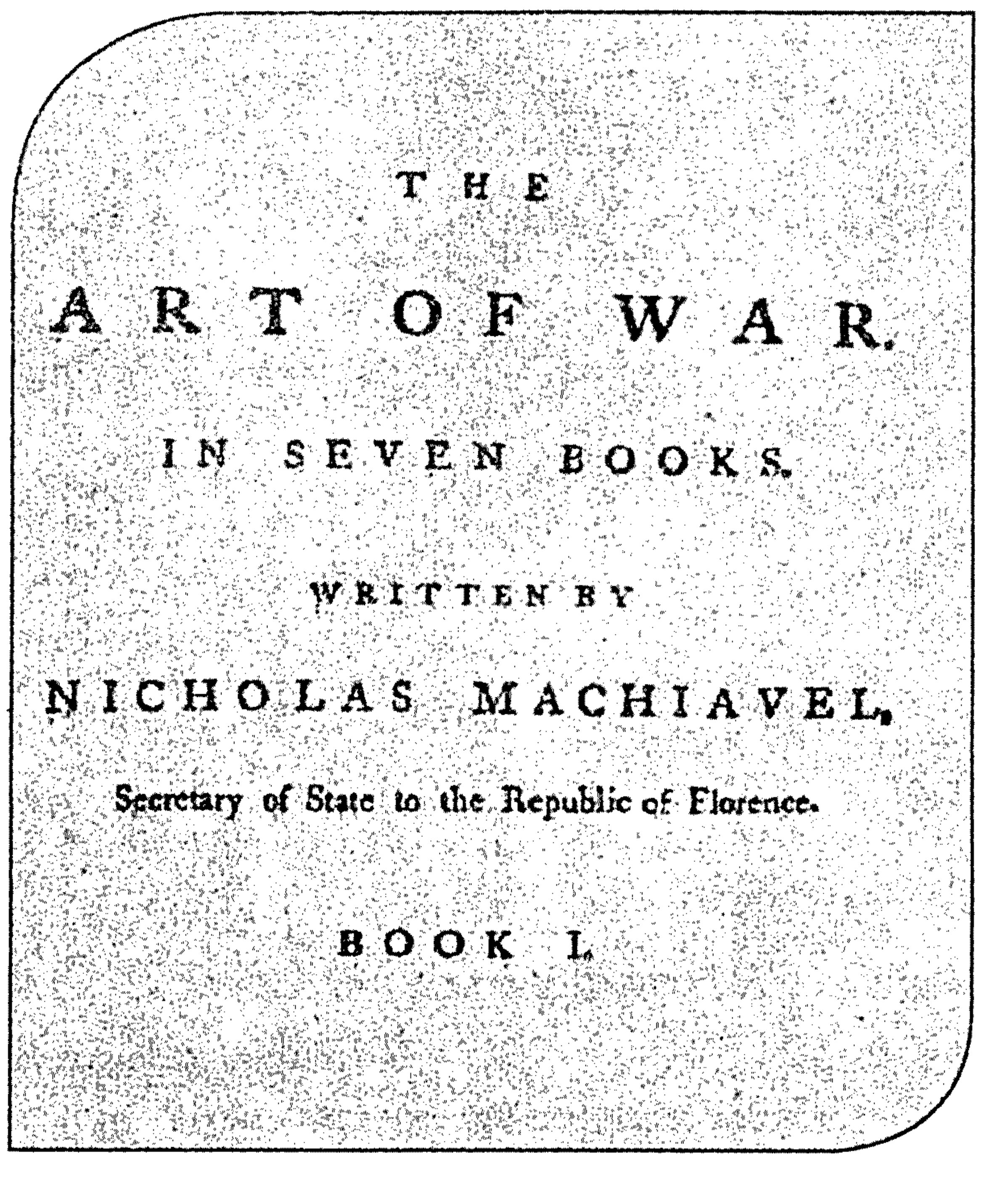
تم إهداء كتاب (فن الحرب) إلى لورنزو دى فيليبو ستروزى، ولهذا الرجل قصة، فقد سألت نفسى من هو لورينزو دى فيليبو ستروزى(Lorenzo di Filippo Strozzi) والذي أهدى له نيقولا ماكيافللى (Niccolo Machiavelli) كتاب فن الحرب في البداية دون تكملة الاسم حسبته لورينزو دي بييرو دي ميديشي (Lorenzo di Piero de' Medici) الذى أهدى له ماكياڤللى كتاب الأمير ولكن عند الانطلاق في العمل عرفت أنني توهمت وأعياني البحث عن ستروزى حتى ظننته شخصية خيالية إلى أن وفقني الله أثناء البحث إلى كتاب حديث خاص بالرجل وعلاقته بماكياڤللى وهذا هو الكتاب.

والكتاب يتحدث عن اكتشاف مخطوطات تؤكد العلاقة بين الرجلين وأن لورنزو ستروزى كان الراعي المحافظ على ماكياڤللى في سنواته الأخيرة فقبل

عـام 1520بدأت حياة ماكياڤللي في فلورنسا تتحسن باطراد فقد حقق درجة من الشهرة الأدبية، وبعد إبعاده من سفارة فلورنسا عن طريق عائلة ميديشي، تمكن من كسب احترامهم وودهم مرة أخرى.

ولكن هناك شخصية واحدة ساهمت مساهمة كبيرة لاستعادة ماكياڤللي مكانته الكبيرة وقد أُهملت هذه الشخصية حتى الآن إنه لورنزو دي فيليبو ستروزي (1482 - 1549)، وهو نبيل شاب من فلورنسا ذو ثراء خرافي وعظيم، وتشير الأدلة التي وجدت في مخطوطة أن ستروزي وضع ماكياڤللي تحت رعايته كما ساعده في العديد من إنجازاته عام 1520 وما بعده.

هذا الكتاب هو السيرة الإنجليزية الأولى عن ستروزي، فضلا عن كونه أول بحث ودراسة عن العلاقة التي نشأت بين الرجلين. فالكاتب وليام جيه لاندون (William J. Landon) يكشف عن تأثير ستروزي على ماكياڤللي من خلال تحقيقات نصِّية واسعة النطاق، وخاصة من خلال (Strozzi's Pistola fatta per la peste) وهو العمل الذي بقى بمثابة أوتوجراف ماكياڤللي، والتي قدم لاندون من خلاله أول ترجمة كاملة بالإنجليزية تبحث علاقة الرجلين وهذه طبعة نادرة لكتاب فن الحرب المهدى لستروزى.


THE
ART OF WAR.
IN SEVEN BOOKS.
WRITTEN BY
NICHOLAS MACHIAVEL,
Secretary of State to the Republic of Florence.
BOOK I.

المقدمة تعلن بفخر عن تأليف ماكياڤللى هذا الكتاب له وبعد المقدمة التي استخدم فيها ماكياڤللى ضمير المتكلم عدة مرات لتقديم الحوارات تراجع ماكياڤللى تاركا لنا الراوي والمحاور نافيًا أن يكون هو أحدهما ثم ظهر فابريزيو المفتون بالفيالق الرومانية من أوائل إلى منتصف الجمهورية ودعا بقوة إلى تكييفها مع الأوضاع المعاصرة في نهضة فلورنسا.

نرى فابريزيو عبر الكتاب يسيطر ويهيمن على المناقشات بعلمه وحكمته وبصيرته وآرائه الثاقبة في حين تستسلم الشخصيات الأخرى ببساطة لعلمه الفائق ولحكمته في معظم الأوقات، ومهمتها فقط هي أن تجلب له المواضيع أو تسأله الأسئلة أو تطلب منه التوضيح وهكذا تبدو هذه الحوارات وكأنها في الغالب حوارات فردية من جانب واحد وفيها يقدم فابريزيو بالتفصيل رؤيته للجيش من حيث النشأة والتكوين والتدريب والتنظيم والانتشار والتوظيف.

في كتاب (فن الحرب) نسمع صدًى موضوعات وأفكار وقضايا ومقترحات عديدة تناولها ماكياڤللى في أعماله الأولى على نطاق واسع مثل (الأمير) و(المقالات) وبالنسبة للقارئ المعاصر يمكن أن يبدو له الكتاب في صورة محاورات غير عملي وليس شديد التأثير في أمور جادة مثل الحرب والفرسان والأعمال العسكرية، ولكن الحقيقة أن هذا الأسلوب سيوصل الرسالة التي أرادها ماكياڤللى لكل طبقات القراء.

فبالإضافة إلى الدراسة والتحليل العميق للممارسات الحربية الكلاسيكية والمعاصرة له، كان ماكياڤللى أيضًا موظفًا رسميًّا لمدة أربعة عشر عاما خدم فيها كوزير لسفارة فلورنسا تنقل بين عدة دول وفيها كتب هو شخصيا عدة تقارير لحكومته عن الحجم والتكوين والأسلحة والروح المعنوية والقدرات اللوجستية للجيوش الأكثر تأثيرا وفاعلية في عصره.

الإستراتيجية والعلوم العسكرية

كتب ماكياڤللى أن الحرب يجب أن تكون محددة بوضوح كما طوَّر فلسفة الحرب المحدودة والتي يجب أن تكون فقط عندما تفشل الدبلوماسية، فالحرب هي امتداد للسياسة في نظر ماكياڤللى، وكتاب (فن الحرب) يؤكد على ضرورة وجود ميلشيا خاصة بالدولة ويعزز مفهوم وجود مواطنين مسلحين بعيدا عن المرتزقة الذين كانوا منتشرين في عصره وكان يعتقد أن المجتمع كله والدين والعلم والفن أحسوا بالراحة والاسترخاء نتيجة للأمن الذين يوفره لهم الجيش.

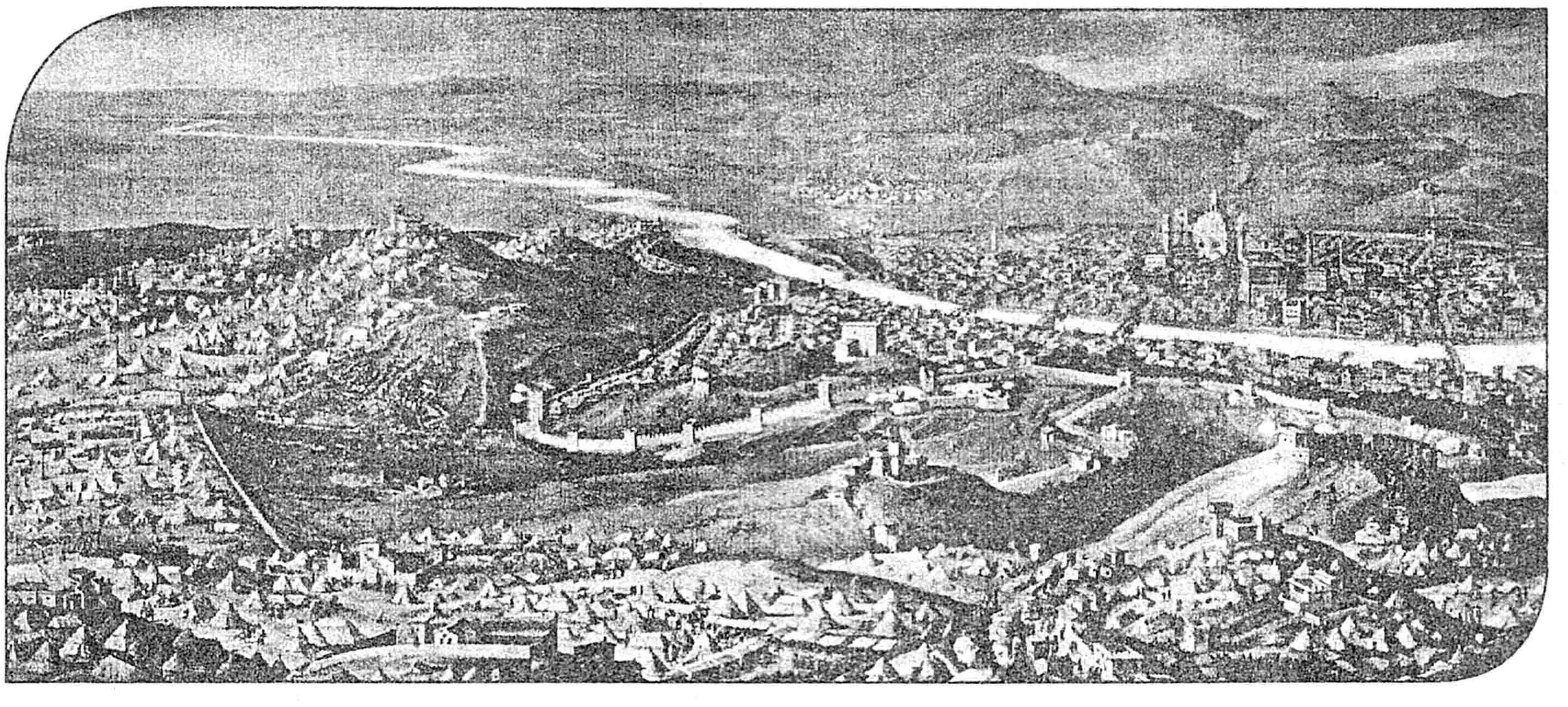
في عصر ماكياڤللى كانت الأسلحة النارية سواء من الناحية التكنولوجية أو التكتيكية مازالت في مهدها فقد كان الشكل التقليدي هو شحن الحراب والسيوف والدروع للرجال، وقد كان ماكياڤللى يكتب من وجهة نظر عملية وليس من فراغ وهذا يرد على من انتقدوا الكتاب وسألوا عن أهميته في القرن العشرين.

فالحقيقة أن كتاب (فن الحرب) كاقتراح عملي لحكام فلورنسا عن الجيش البديل للمرتزقة غير الموثوق بهم والذين كانوا يملئون المدن الإيطالية وتعتمد عليهم الحكومات، فالجيش الوطني المكون من المواطنين بالنسبة لماكياڤللى أفضل كثيرا من هؤلاء المرتزقة، لذلك تحدث ماكياڤللى عن مزايا الميلشيا المكونة من المواطنين والتي يمكن أن تحشدها وتجهزها فلورنسا من مواردها الذاتية.

هنا نرى ماكياڤللى المعجون بالوطنية في عصر تفتتت وانقسمت إيطاليا إلى دويلات صغيرة يدعو إلى جيش وطني قوي ولاؤه فقط لبلاده وليس إلى المال الذي يحصل عليه مقابل خدمات إن توقفت توقف هو، وبالرغم من النقد التي وجهه البعض لماكياڤللى إلا أن مفهومه الأساسي في محاكاة الممارسات الرومانية استدعاه كثير من الحكام والقادة فيما بعد ومن أشهرهم موريس من ناسو (Maurice of Nassau) وجوستاف أدلفوس من السويد (Gustavus Adolphus of Sweden) وسيطر أسلوب ماكياڤللى على الحرب في أوروبا والعالم إلى ما بعد الحروب النابوليونية.

مع إن الشائع عند كثيرين من الكُتَّاب والنُّقاد على مدار الخمسمائة عام الماضية في أن يضعوا قوة وتأثير ماكياڤللى كمنظِّر عسكري في المركز الثاني أو المقعد الخلفي لمكانته وفي كتاباته كفيلسوف سياسي إلا أن ماكياڤللى نفسه يعتبر كتاب (فن الحرب) هو أهم أعماله على الإطلاق، ويظهر هذا واضحا جليا في مناقشاته للعلوم العسكرية والجندية في أعماله الأخرى، فعلى سبيل المثال في (الأمير) يعلن (ماكياڤللى يجب ألا يكون للأمير هدف آخر أو فكر أو فن آخر يضعه أمام عيْنيه مثل فن الحرب وأوامرها والانضباط فيها؛ لأن هذا هو الفن الوحيد الذي يجب أن يستولي على اهتمام من يتولى شؤون الحكم والقيادة).

وهنا نجد حصارًا لمدينة فلورنسا في عصر ماكياڤللى.



طبعات وأهمية الكتاب

أثناء القرن السادس عشر ظهرت للكتاب واحدة وعشرون طبعة مختلفة ترجم إلى الفرنسية والإنجليزية والألمانية واللاتينية وأصبح اسم ماكياڤللى موجودا بجوار يوليوس قيصر Caesar وبوليبيوس Polybius وكومباس Commynes كأصحاب التأثير والنفوذ في الشؤون العسكرية.

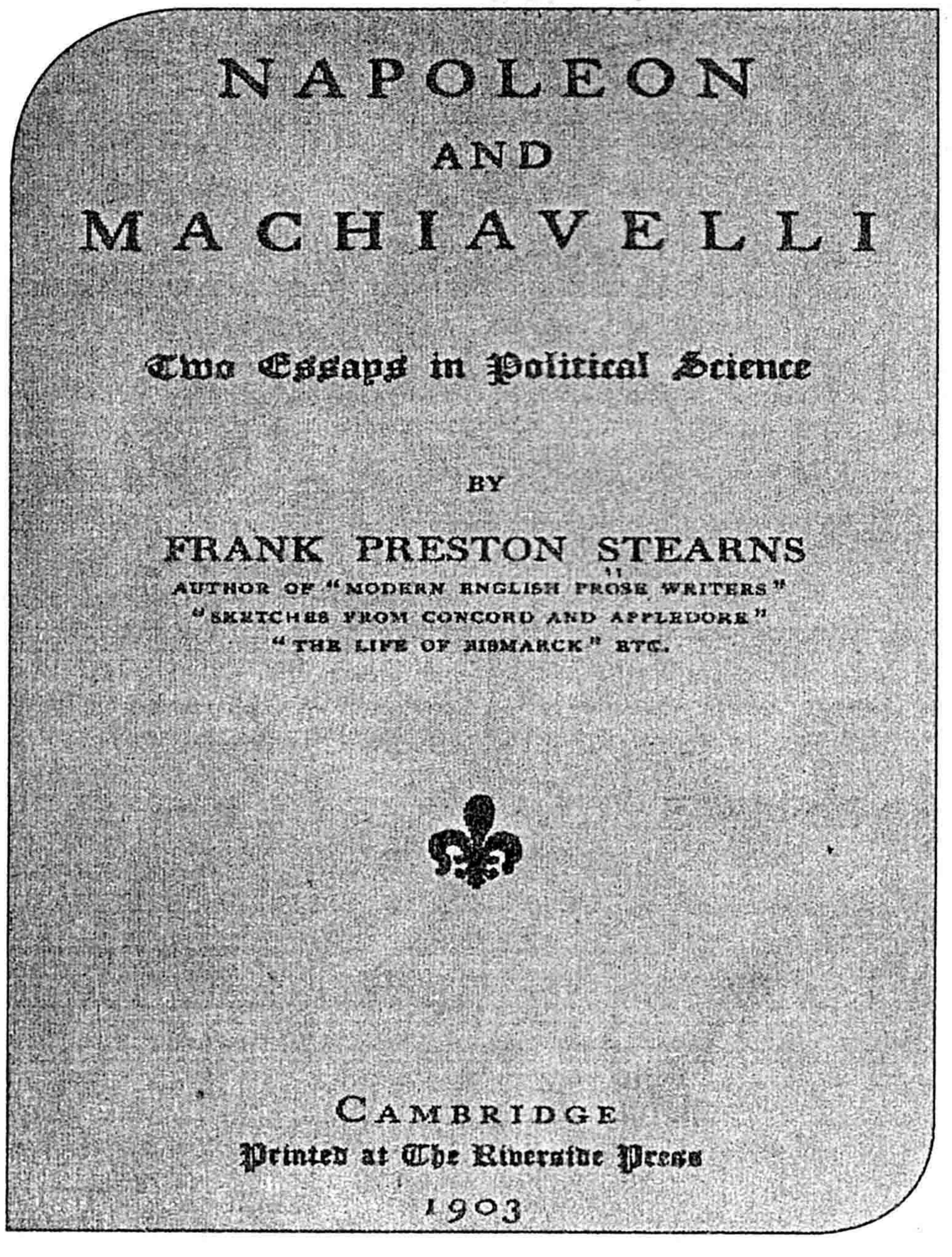
ومع تغير الأساليب العسكرية في القرن السابع عشر تقدم كُتَّاب آخرون إلى الأمام ومع ذلك ظل ماكياڤللى موجودا وكتاب (فن الحرب) حاضرًا بقوة.

في القرن الثامن عشر اعتمد مارشال دى ساكس بشدة على نفس الكتاب عند تأليفه لكتاب (المدرسة الأوروبية في فن الحرب) 1757 م.

وقد رأى بعض النقاد أن ماكياڤللى كان الأستاذ الذي علم فريدريك الكبير Frederick the Great التكتيكات الحربية التي أذهلت أوروبا، ومثله مثل بقية الناس المهتمين بالمسائل العسكرية.

كان الرئيس الأمريكي جيفرسون يحتفظ بكتاب فن الحرب في مكتبته الخاصة وعندما اندلعت حرب عام 1812م في أمريكا زاد اهتمام الأمريكان بمشاكل الحرب فتم جلب كتاب (فن الحرب) في طبعه أمريكية خاصة وقد قدمت لكم صورة هذه الطبعة.

كما أن هناك كتبًا ترصد تأثير ماكياڤللى على قادة وعظماء مثل نابوليون في هذا الكتاب.


NAPOLEON
AND
MACHIAVELLI

Two Essays in Political Science

BY

FRANK PRESTON STEARNS
AUTHOR OF "MODERN ENGLISH PROSE WRITERS"
"SKETCHES FROM CONCORD AND APPLEDORE"
"THE LIFE OF BISMARCK" ETC.

CAMBRIDGE
Printed at The Riverside Press
1903

إن هذا الاهتمام المستمر بماكياڤللى كمفكر عسكري لم يكن فقط بسبب شهرة الرجل وذيوع اسمه ولكن أيضًا للتوصيات التي قدمها في (فن الحرب) والخاصة بالتدريب والانضباط والتصنيف وهذه مجرد أمثله اكتسبت أهمية عظيمة في أوروبا الحديثة عندما تم تكوين وإنشاء الجيوش الأوروبية من المحترفين الوافدين من مختلف الطبقات الاجتماعية، وهذا لا يعني أن تقدم الفن الحربي في القرن السادس عشر سواء في نشأة وتقسيم الجيش إلى وحدات متميزة وتخطيط وتنظيم الحملات العسكرية كان بسبب تأثير ماكياڤللى وحده بل هناك رواد آخرون ولكن في ذلك الوقت سعداء لوجود عمل مثل (فن الحرب) تم فيه شرح وتفسير كل جوانب الممارسات الحربية.

علاوة على ذلك فقد كان القرن السادس عشر به معارفُ واسعة بالأدب القديم واحترام عميق للحكمة الكلاسيكية وكان معروفا تماما أن الانتصارات الرومانية العسكرية يعود فضلها إلى تشديدهم على الانضباط والتركيز، لذلك عندما قدم لهم ماكياڤللى المؤسسة العسكرية الرومانية على أنها نموذج يجب أن يُحتذى به من كل الجيوش في عصره لم يُعتبر هذا مبالغة منه في ذلك الوقت.

وقد ظهر هذا أيضًا في نهاية القرن السادس عشر عندما قدم جوستوس ليبسيوس (JustusLipsius) كتاباته المؤثرة في الشؤون العسكرية وكان يرى فيها أن العسكرية الرومانية صالحة لكل زمان ومكان.

إن محتوى وشكل كتاب فن الحرب شديد الغرابة ففي الصفحات الافتتاحية وبعد أن يصف كوزيمو جده بأنه هو صاحب الوحي والإلهام بإنشاء حدائق يتم فيها إقامة محاورات ومناقشات يعلق فابريزيو إننا يجب أن نقلد فنون الحرب القديمة بدلا من الأشكال الفنية القديمة ومع ذلك فكتاب (فن الحرب) هو محاورة فيها يتم تقليد الأشكال الأدبية القديمة ويبدو أن ماكياڤللى وقع في المصيدة التي انتقدها فابريزيو، ولجدية الموضوع نلاحظ أن ماكياڤللى قلل من السخرية وروح الدعابة التي تمتلئ بها كتاباته الأخرى .

منهج الترجمة والتحقيق

بفضل الله قمت بالاطلاع على خمس تراجم مختلفة لكتاب (فن الحرب) من اللغة الإيطالية إلى الإنجليزية منها تراجم قديمة جدًّا.

ثم استخرت الله ووجدت اللغة الانجليزية واضحة قوية في الترجمة التي اعتمدت عليها ولا أنكر أنني استفدت من التراجم الأخرى في هذا البحث الذي يقدم لكم الكتاب.

تركت كل مراجع المترجم إلى اللغة الانجليزية حتى يستفيد منها من يريد التوسع في دراسة ماكياڤللى.

قمت بعمل عناوين للفصول السبعة لفن الحرب فلم يضع ماكياڤللى عناوينَ مثل كتاب الأمير فأردت التسهيل على القارئ.

قمت بكتابة الأسماء والأعلام بلغاتها الأصلية بجوار الترجمة لأني لاحظت إهمال بعض المترجمين لهذا وحتى يقرأها القارئ بالطريق التي تَروق له حتى اسم ماكياڤللى نفسه اختلف البعض على كتابته ونطقه ولكنى فضلت هذه الصياغة الموجودة بالكتاب بعد سماع النطق الإيطالي.

هناك تعريفات عديدة داخل الكتاب ولكني سأكتفي هنا ببعض الكلمات التي تكررت كثيرا على لسان ماكياڤللى منها:

1- فورتونا (Fortuna) وتمثل إلهة الحظ والنصيب عند الرومان القدماء ومنها جاءت كلمة fortune الإنجليزية الشهيرة بمعنى حظ أو ثروة.

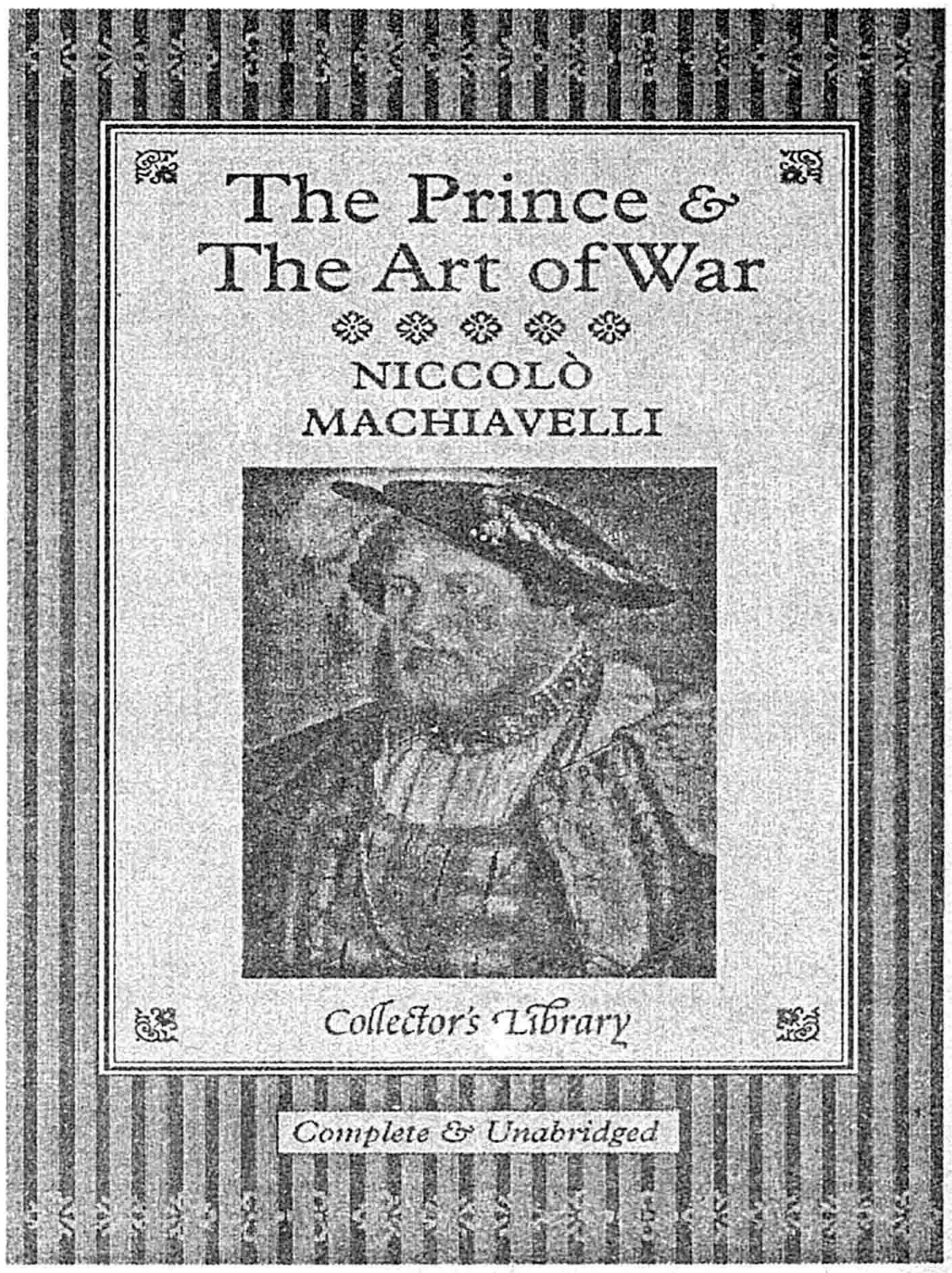
2- (Virtù) هو مفهوم نظرية من قبل ماكياڤللى، تركزت على الروح القتالية وقدرة السكان أو زعيم، ولكن أيضًا تشمل مجموعة واسعة من الصفات اللازمة لصيانة الدولة وتحقيق أشياء عظيمة، وهذه الكلمة لا يخلو منها فصل في أي كتاب لماكياڤللى سواء كتابنا فن الحرب أو الأمير أو غيرهما وقد ترجمتها

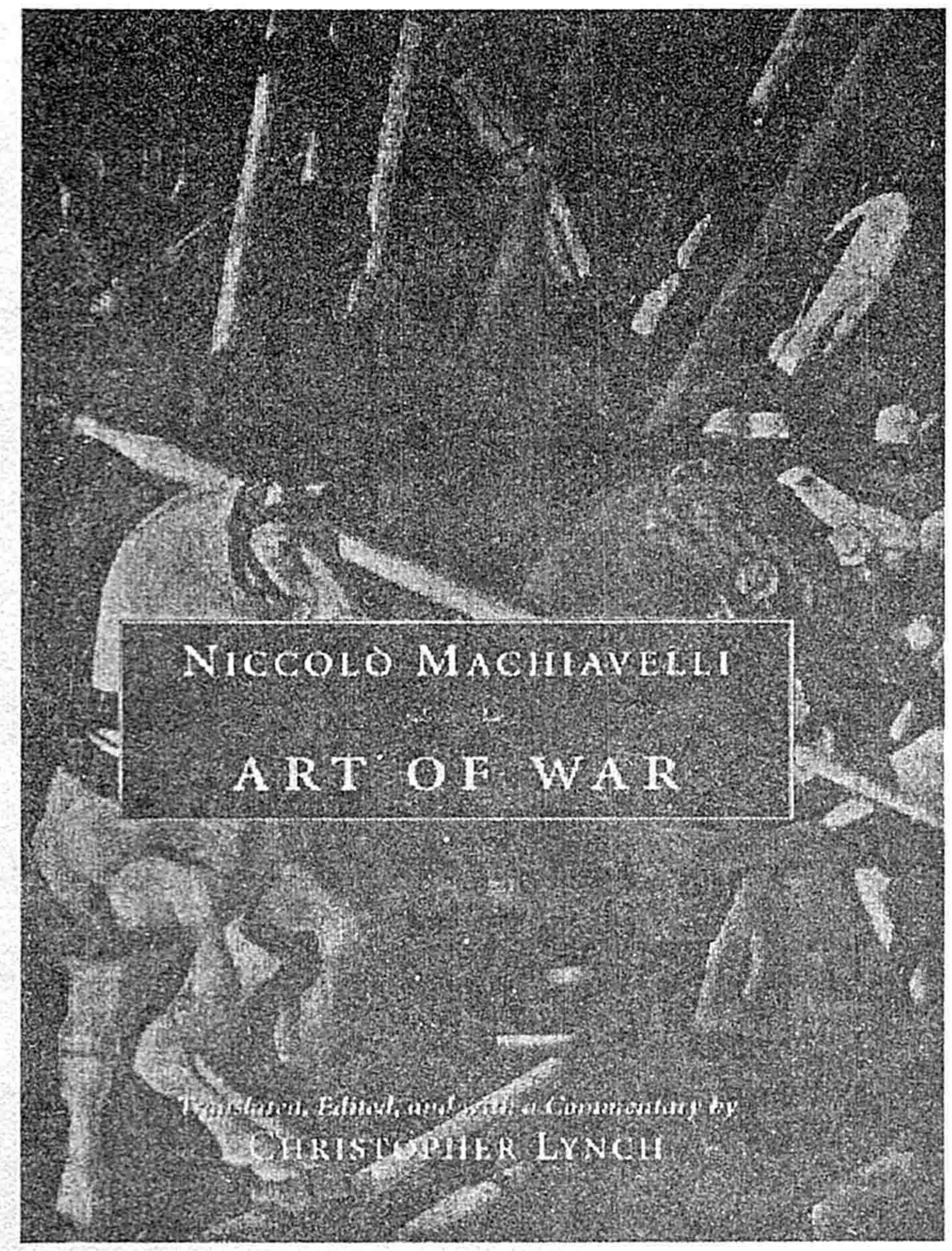
طوال الكتاب تقريبا بمعناها الإنجليزي الشهير (فضائل ومزايا) وهي التي يتحلى بها البشر ولكن أرجو ألا ننسى معناها عند المؤلف.

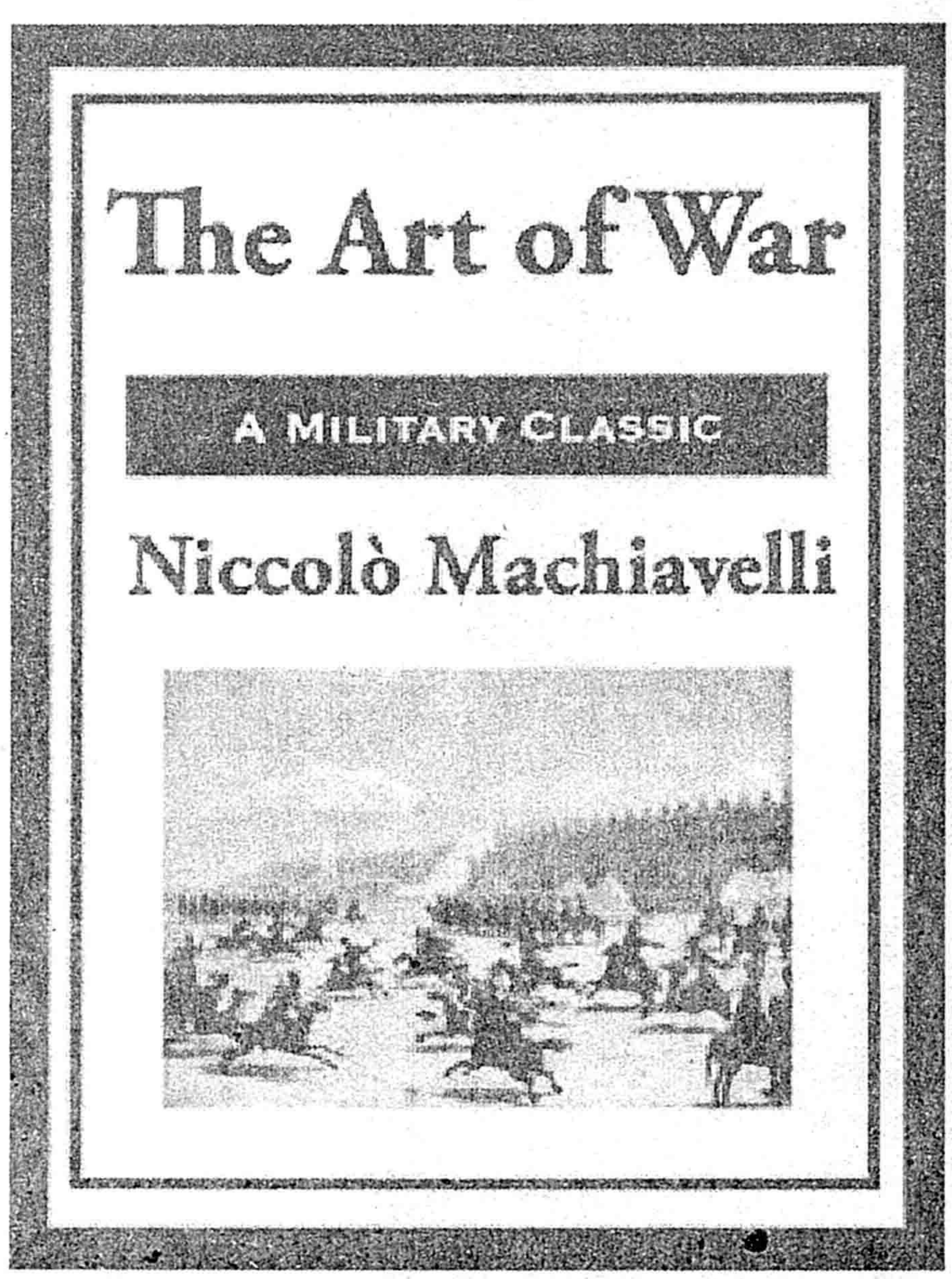
3- كان الفيلَيْتز باللاتينية: (Velites) فئة من الجنود المشاة في جيش الجمهورية الرومانية الأول. سُلِّح الفيلتز ليكونوا مشاةً خفيفين ومقاتلي مناوشة بعددٍ من الحراب الخفيفة التي تدعى بيلوم ليلقوها على الأعداء عند بدء المعركة، إضافةً إلى سيوف قصيرةٍ للطَّعن تدعى جلاديوس لاستعمالها عند الحاجة للاشتباك القريب. كان هؤلاء هم الجنود الأكثر فقراً والأقل عمراً وخبرةً في الجيش الروماني بأكمله، ولذا فإنَّهم لم يرتدوا أية دروع تقريباً ولم يستطيعوا شراء معدَّات تُذكَر. إلا أنَّهم حملوا تروساً خشبية صغيرة للحماية، وارتدوا أغطية رأسٍ مصنوعة من جلود الذئاب، كان الغرض منها أن يتمكَّن الضباط من تمييزهم عن فئات الجنود الأخرى وهذه الكلمة تكررت كثيرا داخل الكتاب.

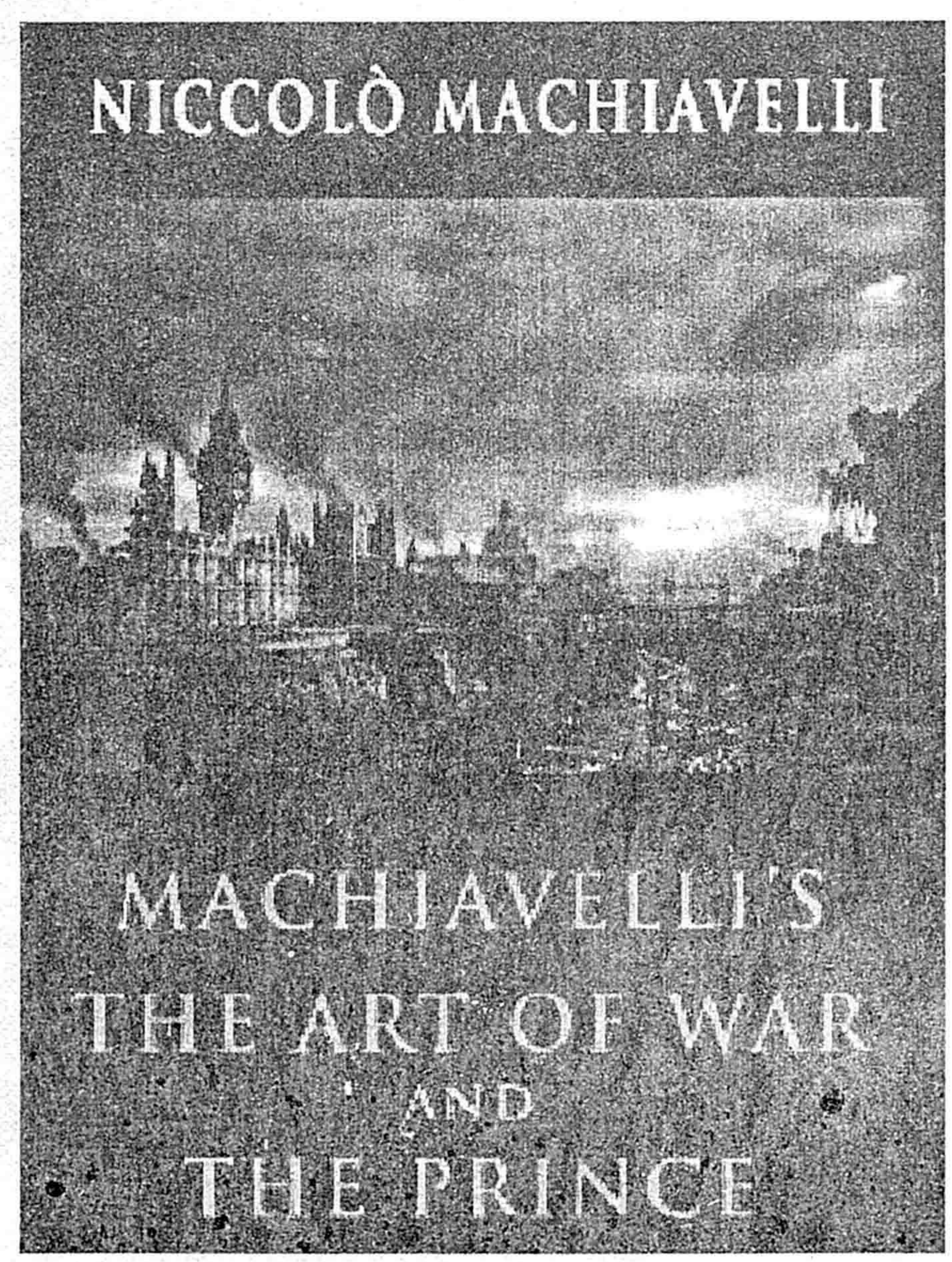
كما وجدت الغرب غالبًا يقوم بطبع كتاب الأمير مقترنا بكتاب فن الحرب ولأننا نعيش في عصر الصورة قمت بجمع صور عديدة لماكياڤللى وعصر النهضة الذي عاش فيه، عرضت عليكم بعضها حتى نشعر بالكتاب وعصره وكأنه متجسد أمامنا -إن شاء الله-

والآن أقدم بعض طبعات فن الحرب منفردًا أو مع الأمير.


The Prince &
The Art of War
NICCOLÒ
MACHIAVELLI
Collector's Library
Complete & Unabridged


NICCOLÒ MACHIAVELLI
ART OF WAR
Translated, Edited, and with a Commentary by
CHRISTOPHER LYNCH

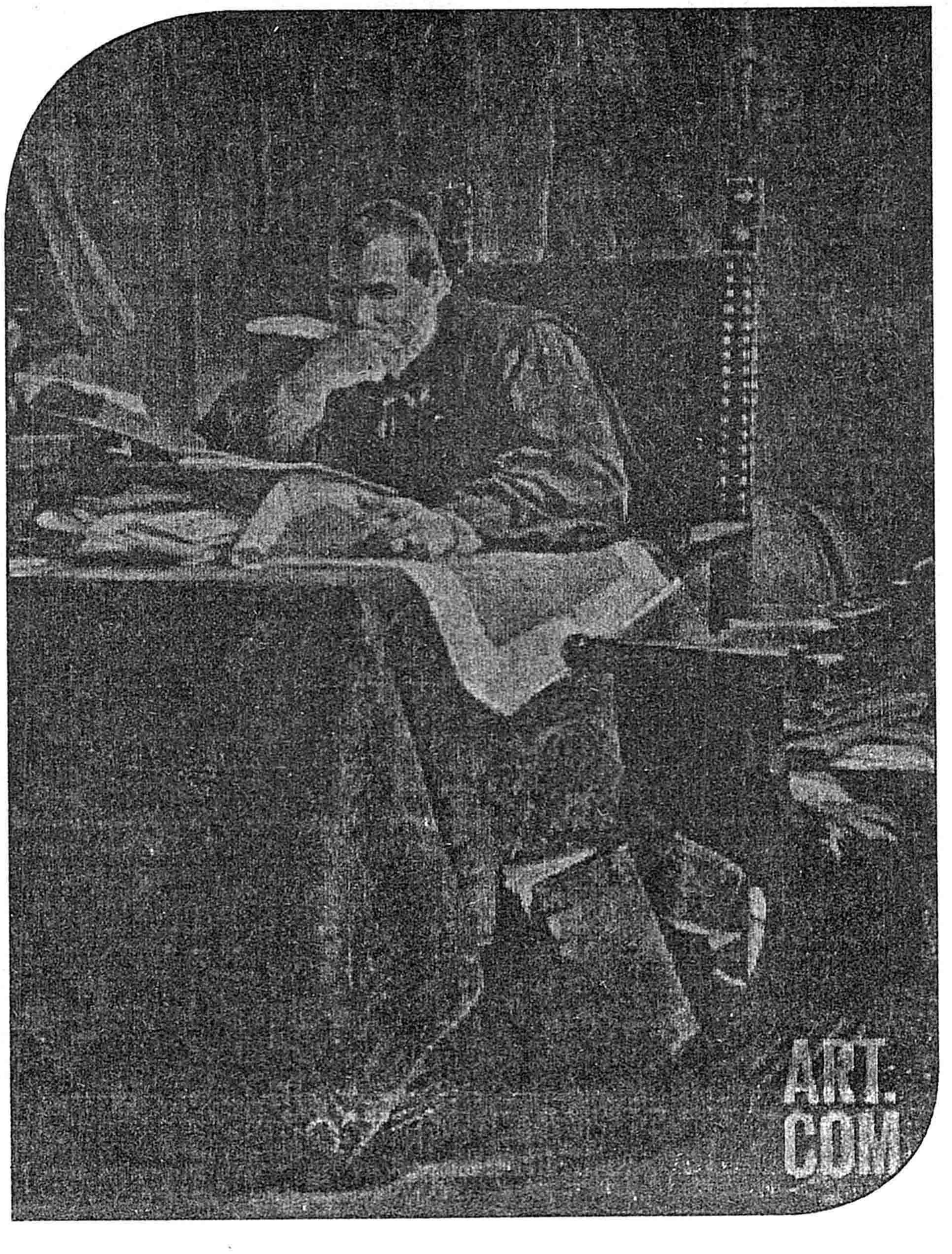

The Art of War
A MILITARY CLASSIC
Niccolò Machiavelli


NICCOLÒ MACHIAVELLI
MACHIAVELLI'S
THE ART OF WAR
AND
THE PRINCE

خلاصة المقدمة

إن كتاب (فن الحرب) لنيقولا ماكياڤللى هو واحد من الكلاسيكيات الكبرى في العالم من الناحية النظرية والعسكرية والسياسية وقد أشاد به خيرة العقول العسكرية في التاريخ، كما أثر في عظماء كثيرين منهم فريدريك الكبير ونابوليون وجيفرسون بل وحتى شكسبير.

ويمثل (فن الحرب) قراءة أساسية لأي شخص يريد أن يفهم تاريخ ونظرية الحرب في الغرب، وكذلك لقراء (الأمير) وأعمال ماكياڤللى الأخرى ويسعون لاستكشاف المزيد أو الفهم الكامل للعلاقة بين الحرب والسياسة، في فكر ماكياڤللى.



هذا الكتاب يساعد القراء على إعادة تقدير ماكيافللي والفهم الكامل لتناول ماكيافللي الرائع للعلاقة بين الحرب والسياسة، والمدنيين والعسكريين، والتكنولوجيا والتكتيكات واضعا بوضوح أساسيات التنظيم والإستراتيجية العسكرية.

إن ماكيافللي يقدم لنا ترسانة حقيقية من التعاليم والوصفات والأمثلة مثل كيفية تحضير جنودك وتحطيم معنويات الأعداء وتجنب الكمائن واكتساب المزايا والقدرات التكتيكية والإستراتيجية تحت ظروف لا تعد ولا تحصَى.

إذا أردت أن تفهم ما يحدث وما سيحدث من حروب متنوعة في العراق وسوريا وليبيا واليمن ومصر وأفغانستان بل في أنحاء العالم يجب أن تقرأ هذا الكتاب فهو يمثل الفهم التقليدي عند الغرب لفن الحرب وتأملوا صورة رُسمت لماكيافللي وكأنه يكتب الأمير أو فن الحرب.

وأختم المقدمة بقول الشاعر

وما من كاتب إلا سيفنَى ... ويُبقِي الدهرُ ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

صالح صابر زغلول

أقدم له هذا الكتاب عن

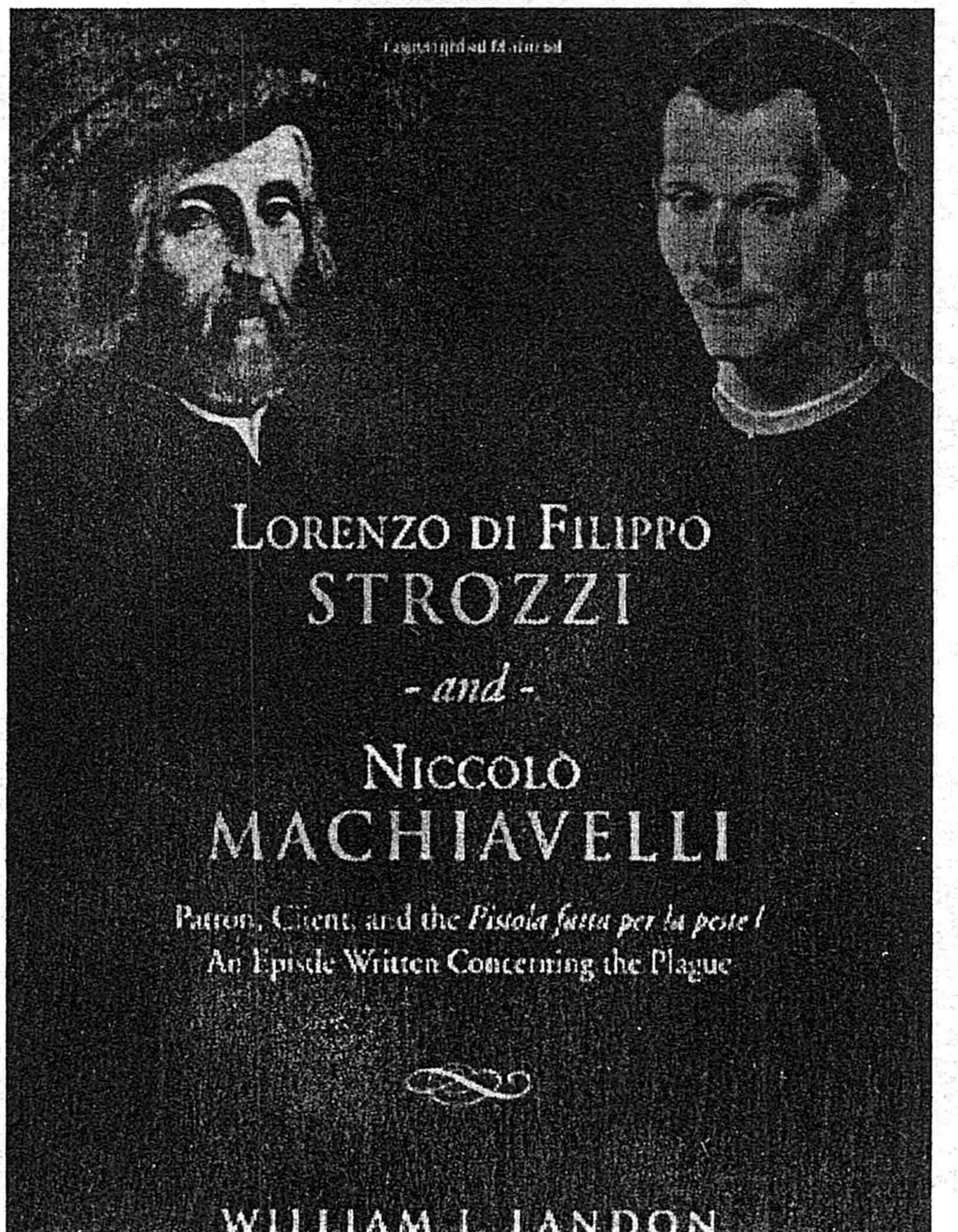
فَنِّ الْحَرْبِ

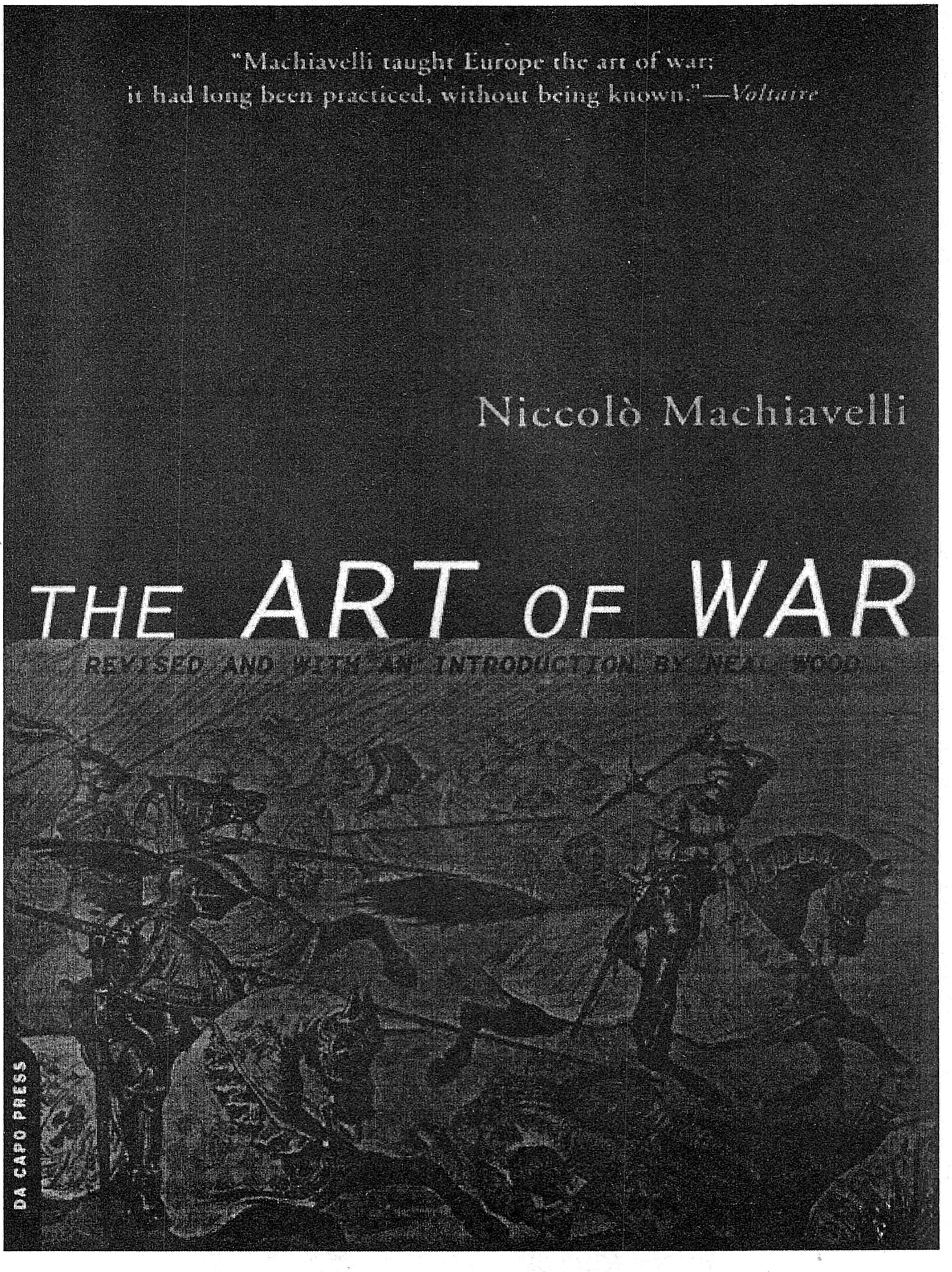
THE ART OF WAR

إهداء إلى لورينزو دي فيليبو ستروزي

LORENZO DI FILIPPO STROZZI

النبيل الفلورانسى





غلاف الكتاب الأصلي

فَنّ الحَرْب

عزيزي لورينزو (Lorenzo) يعتقد الكثيرون من الناس الآن انه لا يوجد ما هو أكثر تعارضا وتنافرا من التعارض والتنافر الموجود بين الحياة المدنية والحياة العسكرية، حيث نجد يوميا أنه بمجرد ذهاب الرجل إلى الجيش يتغير ليس فقط في مظهره الخارجي وإنما أيضًا في سلوكه وصحبته وأهوائه وطريقته في الحديث، كما يميل إلى أن ينزع عن نفسه كل المظاهر التي تجعله يبدو أنه يعيش حياة أو أحاديث طبيعية لأنه يعتقد بأنه إذا أراد أي رجل أن يكون على أتم الاستعداد لمواجهة أي شكل من أشكال العنف فيجب عليه أن يحتقر الزى الرسمي للمدنيين ويؤمن بأنه لا يناسبه أي زى لهذه المهمة إلا الزى العسكري والدرع.

أما بالنسبة للكياسة والأدب، كيف لنا أن نعتقد بوجودهما في شخص يتصور بأن مثل هذه الأشياء سوف تجعله يبدو مخنَّثا وستكون عائقا له في عمله خاصة عندما يعتقد بأن واجبه هو أن يخيف كل من يقابله بوابل من العهود والأيمان وزوج من السوالف الطويلة بدلا من أن يبدو مثل باقي الرجال؟ وهذا بالفعل يعطي بعض التبرير والوجاهة لمثل هذا الرأي ويجعلنا ننظر للجندي كمخلوق مختلف عن باقي الرجال.

ولكن إذا وضعنا في الاعتبار مؤسسات القدماء فسوف نجد أن هناك علاقة حميمة ووثيقة بين هاتين الحالتين، وأنهما ليسا فقط متلائمتين ومتسقتين مع بعضهما، بل حتما هما متصلتان ومترابطتان.

وهذا لأن جميع الفنون والآداب التي نشأت في المجتمع من أجل المنفعة البشرية المشتركة وكذلك جميع القوانين الوضعية والطقوس الدينية التي وُضعت لكي تجعل الناس تعيش في خوف من الله والخضوع للقوانين البشرية ستكون عبثا وتكاد لا

تُذكر إذا لم تدعمها وتدافع عنها القوة العسكرية، تلك القوة التي إذا ما تم أداؤها وتطبيقها بطريقة سليمة فسوف تحافظ على تلك القوانين والطقوس وتحافظ على استمرار سلطتها بالرغم من أنها ربما تكون غير كاملة أو خالية من العيوب، ولكن أفضل القوانين والطقوس في العالم سوف يتم احتقارها وتُدهس تحت الأقدام إذا لم تحظ بالدعم من القوة العسكرية؛ كما ينبغي لها أن تكون؛ فهي مثل قصر مهيب مكشوف بلا سقف، مليء بالجواهر والأثاث الباهظ، بالتأكيد سيتحول في الحال إلى خراب ودمار لأنه لا يوجد معه سوى بهائه وثرواته للدفاع عنه من ويلات الطقس فالجيش للدولة كالسقف للقصر يحمى ما بداخله.

لذلك أعطى المشرعون القدامى وحكام الممالك والجمهوريات أهمية كبيرة لإلهام وحث رعاياهم وخاصة جنودهم على الإخلاص وحب السلام والخوف من الله.

وإلا فقل لي من يجب أن يكون أكثر إخلاصا من رجل اؤتمن على بلده وتعهد بالدفاع عنها لآخر قطرة من دمه؟

ومن ينبغي له أن يكون محبا للسلام أكثر من هؤلاء الذين لا يمارسون أو يعانون من شيء إلا الحرب؟

ومن يخضع لالتزامات وواجبات لعبادة الله أكثر من الجنود الذين يتعرضون لمخاطر لا حصر لها ووهم الرجال الذين يحتاجون إلى أكبر من حمايته لأنهم يتعرضون يوميا لمخاطر لا حصر لها؟

هذه الضرورة وضعت في عين الاعتبار عند هؤلاء الذين حكموا الدول أو قادوا الجيوش في العصور السابقة كما فرضوها على الآخرين الموجودين تحت حكمهم وكان لهذا تأثيره الكبير على سلوك وتصرفات الجنود لدرجة أن حياة الجندي كان يتم تعديلها لكي تكون نموذجا يُحتذَى به عند الآخرين.

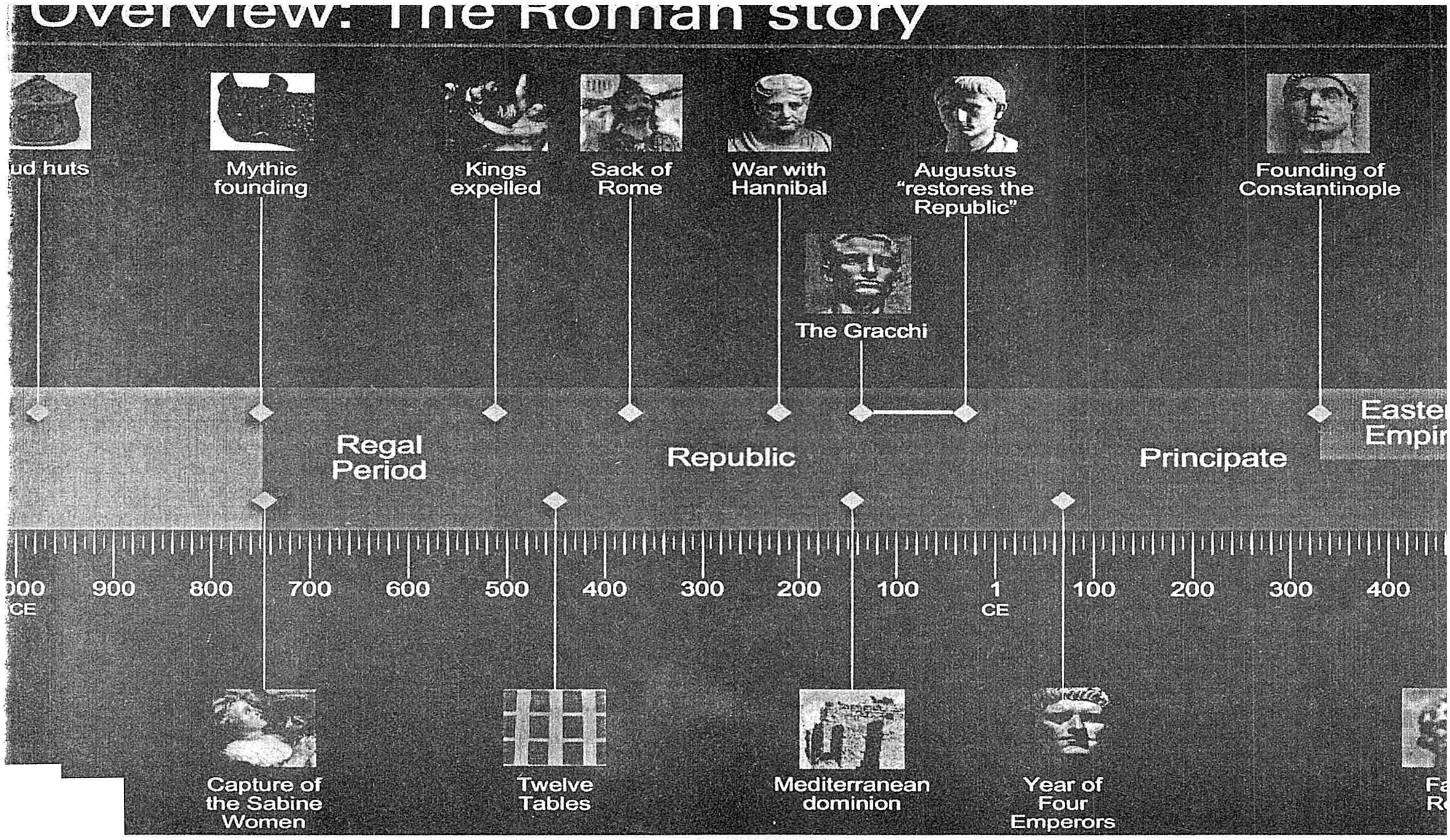
ولكن لأن الانضباط لدينا انحرف إلى مثل هذه الدرجة المختلفة تماما عما كان عليه في العصور القديمة، فلا عجب أن الرجال الآخرين يصبح لديهم رأيٌ سيئ للغاية عن الحياة العسكرية وكذلك يحاولون بقدر استطاعتهم تجنب مرافقة أو محادثة من يعملون في الجيش.

وبالنسبة لرأيي، وبناء على ما استنتجت مما قرأت وشاهدت، لن يكون مستحيلا علينا إحياء انضباط ونظام أجدادنا إلى حد ما، وأيضا إحياء فضائلنا الضائعة، لذلك كتبت الأطروحة التالية فيما يتعلق بفن الحرب والهدف الأكبر هو تشجيع استحسان الآخرين الراغبين في تقليد القدماء في المآثر الحربية، ولتحقيق سعادتي الخاصة ورضائي الذاتي، ولتجنب قضاء وقت فراغي في الكسل.

وعلى الرغم من أن التعامل مع فن لم يسبق لي أن زاولته أو مارسته ربما يكون غرورا، لا يسعني التفكير إلا بأنني لديَّ العذر أكثر من بعض الأشخاص الذين أخذوا على عاتقهم الممارسة الفعلية للحرب، لأن الخطأ في كتاباتي يمكن أن يتم تصحيحه بسهولة دون إيذاء أي شخص، ولكن أي خطأ في ممارستهم ربما يدمر دولة بأكملها.

لورينزو (Lorenzo) الصالح؛ انظر في طبيعة هذا العمل الأدبي ثم أضفى عليه بحرية إما اللوم أو الثناء، كما تعتقد أنه يستحق بالفعل.

أهدى لك هذا العمل ليس فقط كدليل على امتناني وعرفاني بالجميل كما أنى أعي وأدرك أنه شيء بسيط مقارنة بالمعروف والجميل الذي تلقيته منك ولكن أيضًا لأنه من الطبيعي إهداء مثل هذه الأعمال من هذا النوع إلى أشخاص مميزين بنبلهم وثرائهم وموهبتهم الكبيرة وكرمهم، وأنا أعلم جيدًا أنه في الأصل والثروة ليس لك مثيل إلا القليل وأقل منهم في الموهبة والكرم والجود.



التاريخ العام للرومان

الكتاب الأول

إشادة فابريزيو الدائمة بالقدماء - تحليل الظروف البائسة التي حلت بالفن العسكري الإيطالي - التشجيع بقوة على إحياء هذا الفن عن طريق ميلشيا من المواطنين - آراء تفصيلية عن تجنيد الرجال والضباط للجيش وأسلوب اختيارهم وصفاتهم[1].

---

1. هذه هي الموضوعات الرئيسية للكتاب أو الفصل الأول لكتاب فن الحرب تسهيلا على القراء الكرام لأن ماكياڤللي لم يكتب عناوين للفصول كما فعل في كتاب الأمير وسوف تستمر العناوين في الفصول السبعة إن شاء الله للمترجم إلى العربية.

في اعتقادي إنه من الطبيعي والمنطقي أن نتحدث بمدح وإطراء عن أي شخص بعد مماته حيث إنه لن يكون هناك أدنى شبهة أو اتهام في الإطراء أو الثناء عليه، لذلك عن طيب خاطر أرغب في انتهاز هذه الفرصة لإنصاف ذكري صديقي العزيز المتوفى كوزيمو روسيللاى (Cosimo Rucellai)؛ الذي لا أكاد أتذكر اسمه إلا والدموع في عينيَّ، عرفته بامتلاك كل المزايا والمؤهلات التي يتمنى أصدقاؤه وبلاده أن تكون موجودة في كل رجل جدير بها أو مواطن صالح، أنا متأكد أنه كان ليضحي مبتهجًا بكل ما يمتلكه في العالم ويضحي بالحياة نفسها من أجل أصدقائه، وكانت لا توجد أية مجازفة إلا ويجازف بها إذا كانت لصالح بلده مهما كانت مدى صعوبتها وخطورتها.

ويجب أن أعترف بكل بساطة أنه من بين كل الرجال الذين عرفتهم أو ارتبطت بهم، لم يسبق لي أن قابلت أي أحد قبله أكثر استعدادا للأعمال العظيمة والسخية منه.

عند وفاته، أخبر أصدقاءه وهو على فراش الموت أن الشيء الوحيد الذي يندم عليه هو إحساسه أن قدره أن يموت صغيرا في منزله بدون تحقيق المجد والرضا الناتج عن خدمة أي شخص بفاعلية، كما كان يرغب هو أن يفعل بكل شغف، وبعد معرفة هذا تجد أنه لا يوجد أي شيء يقال عنه بعد مماته أكثر من أنهم قد فقدوا صديقا جيدا، هنالك العديد من الناس وأنا معهم يستطيعون إعطاء شهادة كاملة ليس فقط عن فضائله ولكن أيضًا عن مدى المزايا النبيلة والودية التي يمتلكها بالرغم من أنه لم يتبق منها الآن سوى آثار قليلة.

لقد احتفظت فورتونا (fortuna) أو إلهة الحظ بالفعل ببعض العينات الصغيرة التي تدل على حيوية عبقريته وتتكون بصورة رئيسية من المقالات القصيرة وأغاني الحب التي (وبالرغم من أنه لم يكن عاطفيًا بدوره) قام بتأليفها في أوقات فراغه خلال فترة شبابه، ليتجنب الخمول التام حتى يجد الوقت الضروري لكي يوظف أفكاره في الموضوعات ذات الطابع الأعلى والأكثر جدية، وتشير حتى هذه العينات القليلة إلى أي مدى كان يشعر بالسعادة وهو يعبر عن أفكاره، ويا تُرى ما التكريم والتشريف الذي كان سيحظى به لو أنه منح نفسه تماما للشعر.

ومع ذلك، بما أن فورتونا (fortuna) قد حرمتنا من صديق عزيز، فإن العلاج الوحيد المتبقي لنا لنعزى به أنفسنا بقدر استطاعتنا هو ذكرى صحبته وأن نتذكر مثل تلك الأشياء سواء كانت أحداثًا سارة أو جادة، حيث إننا لطالما أعجبنا به في حياته.

وبسبب المحادثة الأكثر انتعاشا والتي عاشت في ذاكرتي وهى تلك التي حدثت بينه وبين فابريزيو كولونا (Fabrizio Colonna) منذ فترة ليست بطويلة في حدائقه فيما يتعلق بفن الحرب (حيث كنت أنا وبعض الأصدقاء الآخرين حاضرين)، يجب أن أسعَى وأجتهد في تذكر ما يمكنني منها وإخضاعها للكتابة لأن فابريزيو كشف أسرار هذا الفن بوضوح كبير من ناحية، ومن ناحية أخرى طرح كوزيمو العديد من الأسئلة ذات الصلة، وذكر العديد من الاعتراضات ودعمها بحجج متنوعة بنفس القدر من استخدام قوة المنطق والعقل.

إن بيان موجز عن هذا المؤتمر قد يعمل على إحياء ذكرى قدراته في ذهن هؤلاء الأصدقاء الذين تجمعوا سويا، ولجعل بعض الغائبين يشعرون بالأسف لأنهم لم يكونوا أيضًا موجودين، ولكي أقوم بتلخيص جوهر الموضوعات المختلفة (التي سوف تكون مفيدة في الحياة المدنية والحياة العسكرية) التي سبق وتم مناقشتها ببراعة من رجل عظيم ومتمرس.

أثناء عودته من الحروب في لومباردي (Lombardy)، حيث كان قد قاد قواته الملكية الكاثوليكية العظيمة لفترة طويلة وبشهرة كبيرة؛ كان فابريزيو كولونا مارا من طريق فلورنسا ليحصل على راحة لبضعة أيام قليلة في المدينة ولكي يزور الدوق وبعض النبلاء الذين كان يعرفهم لذلك دعاه كوزيمو روسيللاي (Cosimo Rucellai) ليقضي معه يوما في حدائقه، ليس فقط لمجرد إرضاء طبيعته بكرم الضيافة والكياسة، ولكن أيضًا أملا في إمكانية الخوض في محادثة طويلة معه فيما يتعلق بعدة أشياء أراد أن يعرفها وقد اعتقد أنه لن يحصل على فرصة أفضل للتحدث مع رجل عظيم جدًّا ليخبره عنها.

قبل فابريزيو الدعوة بسعادة وحضر إلى الحدائق في الموعد المحدد، حيث استقبله كوزيمو وبعض من أصدقائه المقربين؛ وكان من بينهم زانوبي بوندلمونتي (bondelmonti Zanobi)، باتيستا ديلا بالا (batista della balla)، ولوجي لاماني (loggi lamani)، كان هؤلاء الشباب ذوى معزة وقرب من قلب كوزيمو كما كانوا معروفين بفضائلهم وصفاتهم ومزاياهم الرائعة للجميع لذلك فهم ليسوا في حاجة إلى قول أي شيء عنهم لتمجيدهم، وكان لدى هؤلاء الشباب نفس الميل والنزعة في المعرفة.

ولكي أكون مختصرا بقدر الإمكان، تمتع فابريزيو هناك بكل المظاهر الممكنة من التشريف والاحترام، ولكن بعد نهاية الشكليات الممتعة والمعتادة رسميا، والتي عادة ما تكون قليلة وقصيرة بين الرجال الذين لديهم رغبة أكثر في الشعور بالشهية العقلانية، ولأن المحاورات امتدت لأيام طويلة وليس يوما واحدا، والطقس شديد الحرارة قام كوزيمو بأخذ ضيوفه لتجنب الحرارة إلى أكثر جزء مريح وظليل في حدائقه.

وعندما جلس الجميع البعض منهم على العشب؛ الذي كان شديد الخضرة واللطف، وجلس البعض الآخر على مقاعد وضعت تحت أعلى وأجمل الأشجار، قال فابريزيو إنها كانت أكثر الحدائق روعة وعندما دقق النظر إلى بعض الأشجار، ظهر أنه لا يعرف أسماءها.

فقال كوزيمو في الحال؛ مدركا ومتداركا للموقف: (ربما لا تعرف بعض هذه الأشجار، ولكن لا تندهش من الأمر لأنها قديمة جدًّا وكانت شائعة بين أجدادنا أكثر منها في وقتنا الحاضر).

ثم أخبره بأسمائها وأن جده برناردو (pernardo) الذي كان مولعا بزراعة مثل تلك الأشجار قام بزراعتها بنفسه.

أجاب فابريزيو؛ كنت أفكر في هذا، وذكرني كل من القصر والأشجار ببعض الأمراء في مملكة نابولي؛ حيث كانوا يستمتعون كثيرا بزراعة البساتين والعروش الظليلة بالطريقة القديمة، ثم توقف هنا لفترة قصيرة، وبعد التوقف قليلا متأملا في تلك الطريقة قال: (لو لم أكن خائفا من ارتكاب إهانة أو إساءة لكنت أعطيتك رأيي في تلك الأشياء ومع ذلك أنا اعتقد أن لا أحد منكم سوف يشعر بالإهانة مما يقال بين أصدقائه في محادثة حرة.)

وقال إنه ليس لديه النية للحط من قدر أو إهمال مثل هذا الذوْق، ولكن من أجل القليل من الجدل البريء. ثم إنه إلى أي مدى كان أحرى وأفضل بكثير لهؤلاء الأمراء (أنا اذكر ذلك بدون أي نية للنبش في ذكراهم) إذا كانوا قد سعوا لتقليد القدماء في المصاعب والمتاعب والأعمال الجادة، بدلا من ترك أنفسهم للراحة والدعة والكسل، أيهما أفضل لو كانوا قاموا بأداء هذه المآثر في ضوء الشمس وليس في الظل، أيهما أفضل اتباع سنتهم عندما كانوا نافعين صادقين أم عندما أصبحوا غير شرفاء

وفاسدين لأنه بمجرد أن شدت هذه المتع نظر أجدادنا الرومان سقطت بلادنا في الحال في الدمار والخراب.

فأجاب كوزيمو: (و لكن لتجنب التكرار الممل لجملة قال هذا، وجملة قام واحد آخر بالرد، من الآن فصاعدا سوف أبدأ بذكر أسماء المتحدثين وماذا قالوا في سياق المحادثة)

كوزيمو: لقد قدمت الآن موضوعًا كنت أتمنى لفترة طويلة أن أسمع عنه مناقشة مستفيضة، ولذلك ينبغي لي أن أعتبرها خدمة شخصية أن تتحدث عن مشاعرك بحرية وبدون تحفظ أو خوف من إغضاب أو إهانة أي شخص هنا. ومن جانبي فستكون لي حرية طرح بعض التساؤلات والشكوك عليك لأنه يجب أن أكون مقتنعا راضيا، إذا بدا أنني قمت في أسئلتي أو إجاباتي بالتشكيك أو تبرير سلوك أي شخص، فإنه لن يكون لمجرد توجيه اللوم أو الدفاع عنه ولكن بهدف الحصول على معلومات أفضل.

فابريزيو: سيكون من دواعي سروري أن أريحكم وأمنحكم الرضا والاقتناع بقدر استطاعتي في مثل هذه المسائل التي تعتقد أنني سأصلح لها، ولكنى لن أدعى أنني سأتطفل عليكم بقول إن آرائي حاسمة ومعصومة، عندما تسمعها احكم أنت بنفسك عليها، وربما في المقابل بين الحين والآخر سأطرح عليك سؤالا، وليس لدي أي شكوك أنني على الأقل سأحصل على إجابة منك ترضيني بنفس مقدار رضائك عن إجاباتي حيث يحدث في كثير من الأحيان أن يثير سؤال ذو صلة بالموضوع في ذهن الإنسان أشياء أخرى كثيرة، وترشده إلى العديد من الأشياء الأخرى التي لولا هذا السؤال لم يكن ليفكر بها أو يعرفها على الإطلاق.

كوزيمو: حسنا لنستكمل إذا سمحت، بالنسبة لما قلته عن جَدي والآخرين الذين

تعتقد أنه كان أفضل لهم في حياتهم أن يقلدوا القدماء في حياتهم النشيطة والشاقة أفضل من تقليدهم في الحياة السهلة اللينة سأقدم نوعا من الاعتذار بالنسبة لجدي، وأترك لك الآخرين تتعامل معهم كما يحلو لك، لأنني لا أعتقد أن هناك رجلا كان يكره الحياة اللينة والرقيقة أكثر منه، أو محبا لحياة التقشف التي تمجدها أكثر منه.

ومع ذلك أدرك جدي أنه من المستحيل سواء لنفسه أو لأبنائه اتباع ما كان يريده من حياة التقشف حيث كان الفساد منتشرا في العصر الذي عاش فيه؛ وإذا ما حاول أي شخص لديه جرأة كافية أن يبتعد قيد أنملة عن العادات الأكثر شيوعا في تلك الأوقات، لضحك عليه الجميع وسخروا منه وكأنه شخص عرض نفسه عاريا لحرارة الشمس على الشاطئ في منتصف الظهيرة، أو شخص دحرج نفسه في الثلج في قمة الشتاء؛ كما فعل ديوجينس (Diogenes)، سوف يظنه الناس مجنونا بالتأكيد، وإذا قام شخص بتربية أولاده في الأكواخ والمزارع كما فعل أهل إسبرطة (Spartans)، أو قام بتعويدهم على النوم في العراء ويسيرون أيضًا عراة الرأس وحافيين الأقدام كما يقوموا بالاستحمام في أبرد الأنهار وذلك ليس فقط من أجل تعليمهم تحمل المشاق بطريقة أفضل، ولكن أيضًا لكي يحتقروا كلا من الحياة والموت، لاعتقد الناس أن من يفعلون ذلك وحوشا وليسوا بشرا، وعلاوة على ذلك لو كان جدي عاش على الكفاف واحتقار المال، مثل فابرسيوس (Fabricius)، ربما أعجب به قلة من الناس ولكن لم يكن ليتبعه أحد. لذلك أصاب جدي الإحباط واليأس من الممارسات العامة في تلك الأوقات واضطر إلى تقليد القدماء في تلك الأشياء وحتى لا يكون مثارا للشكوك والاتهامات من أهل بلده أرضى نفسه وجعل آخرين ينفذون ما كان يحب.

فابريزيو: سيدي، لقد قدمت اعتذارا لائقا لجدك في هذا الخصوص، وهناك في الواقع الكثير من الحقيقة والمنطق في كلامك. ولكن عندما كنت أتحدث عن طريقة

تقشف القدماء، كنت لا أقصد أن تصل الأمور إلى مثل هذه الحدود القصوى كما يبدو أنك فهمت، ولكن أردت اقتراح بعض الأشياء الأخرى ذات طبيعة أكثر لطفا وعملية من ذلك حتى تكون أكثر ملاءمة لوقتنا الحاضر، والتي أعتقد أنه كان يمكن إنشاؤها وإدارتها عن طريق بعض رجال السُّلطة في الحكومة خاصة إذا وضعنا في الاعتبار الممارسات والعادات والتقاليد والقوانين التي لاحظها واعتنى بها الرومان القدماء - لأنني مولع بالتوصية بمثالهم ونموذجهم - سنجد أشياء كثيرة تستحق التقليد، يمكن بسهولة إدخالها لأية دولة أخرى إذا لم يكن قد أصابها الفساد التام.

كوزيمو: ما هي تلك الأشياء التي كان يمكن لك أن تقدمها لمحاكاة القدماء؟

فابريزيو: تشريف وتكريم الفضائل، وعدم ازدراء الفقر، تقدير قيمة النظام الجيد والانضباط في جيوشهم، حث وتشجيع المواطنين على حب بعضهم البعض، ترك النزاع والشقاق والفرقة، تفضيل المصلحة العامة على أية مصلحة خاصة أو شخصية، وغيرها من المبادئ التي يمكن أن تتناسب بسهولة مع عصرنا الحاضر. قد يكون من السهل إدخال هذه المبادئ إذا اتُخذت الوسائل اللازمة لهذا الغرض لأنها تبدو معقولة في ذاتها، ولأن منفعتهم الخاصة واضحة جدًّا للمنطق السليم لدرجة أنه لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يعارضها، فمن يتخذ هذا المنهج كمن يزرع الأشجار ذات الظل وبها يحصل على أكبر متعة لنفسه ومزيد من الأمن أكثر مما نحن فيه الآن.

كوزيمو: ما قلته في هذه المسألة لا يقبل المعارضة، لذلك يجب أن أترك الأمر للنظر والحكم الأفضل لصحبتنا الحاضرة، ولكن أود أن أعرف لماذا أنت نفسك -يا من تلوم الآخرين على عدم التشبه بالقدماء في أمورهم وشؤونهم ذات الوزن والأهمية- لم تجد طريقة مناسبة لتقليدهم في انضباطهم العسكري وفن الحرب، والتي هي مهنتك التي منها اكتسبت شهرة وسمعة كبيرة طبقت الآفاق.

فابريزيو: لقد وصلت الآن إلى النقطة التي توقعتها، حيث إن ما قلته يجب أن يجعلك بشكل طبيعي تسأل هذا السؤال، ويجب أن أرضيك في إجابتي بقدر ما أستطيع، على الرغم من أنني من الممكن أن أقدم لنفسي عذرًا صغيرًا وجاهزًا لأعمالي في هذا الشأن، وبما إنه لدينا الكثير من وقت الفراغ وكذلك المكان الملائم، فسوف أناقش هذه المسألة باستفاضة، خصوصا أنها سوف تعطيني متعة كبيرة للغوص أكثر عمقا فيما يبدو أنك حريص جدًّا على معرفته.

يجب أولا أن يتأكد الرجال الذين لديهم أعمال وأفكار كبيرة في عقولهم من توافر كافة الاستعدادات اللازمة لذلك، وعندما تتاح الفرصة المناسبة يقومون بتنفيذها وفقا لما صمموه وخططوه، وعندما تتم هذه الاستعدادات بحذر وفى السر لا يعرفها أحد ولا يناقشها آخرون، ولأنه لا يمكن لوم إنسان على إهماله أو تقصيره في هذا المجال المعين ما لم يحدث شيء يدل على عدم اتخاذ الاستعدادات اللازمة لتنفيذ خطته أو أنه لم يفكر في تلك الخطة على الإطلاق، وبناء على ذلك، وبما أنه لم تتح لي الفرصة أبدا لشرح الإعدادات التي قمت بها لإحياء الانضباط العسكري للقدماء فيما بيننا، لا يمكن أن يلومني شخص عاقل لعدم قيامي بذلك. قد تكون هذه الإجابة بمثابة الرد الكافي على اتهامك.

كوزيمو: في الواقع قد تكون كذلك إذا كنت متأكدا من أن الفرصة لم تتح لك بعد.

فابريزيو: بما أن لديك شكًا في ذلك، سوف أعرض عليك باستفاضة -إن كان لديك الوقت لتسمعني- الاستعدادات الضرورية لهذا الغرض، نوع الفرصة المطلوبة، العوائق التي قد تعيق التحضيرات وتمنع تلك الفرص من الحدوث، وأخيرًا (والذي قد يبدو تناقضًا في المصطلحات)، إن تحقيق هذا الغرض هو أسهل شيء وأصعب شيء في العالم في نفس الوقت.

كوزيمو: لا يمكن أن تمنحني سعادة أكثر من هذا، وإن كنت لم تتعب من الكلام، فاطمئن بأننا لن نتعب من الاستماع إليك أبدا، ولكن بما أن هذا الموضوع عميق ومتشعب وهناك الكثير يمكن أن يُقال عنه، يجب على أن ألتمس الحصول على المساعدة من هؤلاء الأصدقاء بين الحين والآخر. نتمنى جميعا أن لا تشعر بالإساءة أو الإهانة إذا قمنا بمقاطعتك بين الحين والآخر بأسئلة ربما تبدو غير ضرورية أو غير منطقية.

فابريزيو: أرحب بكل حرارة بأية أسئلة ترونها مناسبة لأنني أرى أن حماس وإبداع الشباب يجعلكم تنحازون إلى رأى مؤيد وإيجابي عن مهنتي كما يجعلكم تنصتون السمع إلى ما يجب أن أقول عن واجباتها، ولكن عندما يكبر الرجال ويشيب شعرهم ويتجمد الدم في عروقهم فإنهم بصفة عامة إما يكرهون كلمة جندي أو يكونون ايجابيين ويحبونها ولا يمكن لك أن تغير آراء الطرفين في تلك السن، لذلك اسألوا بحرية وبلا تحفظ لأن هذا سوف يعطيني الفرصة للتنفس قليلا أحيانا ومن ثم الاستمتاع والرضا بالرد على أسئلتكم ردا سوف يظل عالقا بأذهانكم وعقولكم بلا شك.

لنبدأ إذا بما قلته أنت بنفسك، وهو أنني في فن الحرب؛ وهى مهنتي، لم أحتذِ بالقدماء بأي شكل من الأشكال على الإطلاق، وأنا أجيب، بما أن الحرب ليست باحتلال حيث يمكن للإنسان عن طريقها كسب عيش كريم في جميع الأوقات، فلا يجب على أي إنسان أن يتعامل مع الحرب كعمل تجارى إلا الأمير أو الحاكم؛ وإذا كان الأمير أو الحاكم رجلا حكيما فلن يسمح لأي من رعاياه أو مواطنيه باتخاذها كمهنة وحيدة له، لم يفعل هذا أي رجل صالح إطلاقا، لأننا لا يمكن أن نطلق على إنسان رجلا صالحا وهو من أجل إعالة نفسه يقوم بامتهان حرفة تلزمه في جميع

الأوقات أن يكون جشعا ومحتالا وقاسيا، أو بالطبع جميعهم في نفس الوقت، بغض النظر عن مكانة من يمتهنون التجارة في الحروب، فالحرب لن تبقى عليهم في وقت السلام، ولذلك يصبح من الضروري لهم إما السعي لمنع السلام، أو اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لجمع كل الإمدادات والمؤن لأنفسهم في وقت الحرب، بحيث لا يحتاجون هذه الأشياء بعد انتهاء الحرب.

ولكن لا يتفق أيا من هذه المسارات مع الصالح العام؛ يجب تجريم كل من يجمع ما يكفيه في وقت الحرب لكي يدعم نفسه للأبد عن طريق السرقة والقتل والكثير من العنف تجاه أصدقائه فضلا عن أعدائه، وسعيا لمنع السلام يلجأ كثير من القادة إلى العديد من الحيل اللئيمة الوضيعة، كما يقومون بالاحتيال على من يوظفوهم، ولكن إذا فشل هؤلاء القادة في تحقيق أهدافهم، ووجدوا أنهم لن يستطيعوا منع السلام، فالذي يحدث غالبا أنه بمجرد إيقاف رواتبهم ويجدون أنهم لم يعودوا قادرين على كسب لقمة العيش يقومون بإعداد أنفسهم كجنود المال والثروة بشكل غير قانوني ثم يقومون بنهب ثروات كل الناس والدول بدون أخلاق وبلا رحمة.

يجب أن نتذكر عند انتهاء الحروب الأخيرة في إيطاليا، كانت البلاد مليئة بالجنود الذين تم تسريحهم فشكلوا من أنفسهم مجموعة من العصابات أطلقت على أنفسها جماعات وعشائر، حيث قامت بنهب بعض المدن، ووضع البعض الآخر تحت وصايتها بدفع الإتاوات، يجب أيضًا أن تكون قد قرأت كيف أن الجنود القرطاجيين (Carthaginian) (بعد نهاية الحرب الأولى حيث قاتلوا مع الرومان) قاموا بتجميع أنفسهم تحت راية ماثو وسبنديوس (Matho and Spendius) (اثنين من الضباط قاموا باختيارهما بطريقة مضطربة ليقوموا بقيادتهم) وخاضوا حربا ضد بلدهم أكثر خطورة من الحرب السابقة.

في أيام أجدادنا. فرانسيسكو سفورزا (Francesco Sforza)، من أجل إعالة نفسه ولكي يعيش في أبهة وعظمة في وقت السلام، لم يقم فقط بخيانة أهل الميلانو (Milanese) الذين كان يعمل في خدمتهم، ولكن أيضًا حرمهم من حرياتهم وأعطى لنفسه السيادة بأن يصبح هو حاكمهم.

كل من تبقى من جنودنا الإيطاليين الذين جعلوا الحرب مهنتهم الوحيدة لعبوا في تلك الأوقات أدوارا مشابهة، وحتى إن لم يتمكنوا من أن يصبحوا دوقات ميلانو (Milan) عن طريق لؤمهم وشرورهم فقد لقوا منا استهجانا لا يقل عن سفورزا، لأنه إذا أخذنا في الاعتبار أعمالهم وسلوكهم سنجد أن مخططاتهم كانت ظالمة مليئة بالشر والإثم والخطيئة كمخططاته. سفورزا؛ والد فرانشيسكو (Sforza, the father of Francesco)، أجبر جيوفانا؛ ملكة نابولى (Giovanna, queen of Naples) على إلقاء نفسها في أحضان ملك أراجون (Aragon) بعد أن تخلى فجأة عن خدمتها وتركها بلا جيش أو سلاح في وسط أعدائها، وذلك ببساطة لأنه أراد حرمانها من مملكتها، أو على الأقل ابتزاز مبلغ كبير من المال منها.

لقد سعى براتشيو دا مونتون (Braccio da Montone) لجعل نفسه ملك نابولي (Naples) باستخدام نفس الوسائل، ولو لم تتم هزيمته وقتله في أكويلا (Aquila)؛ من المؤكد أنه كان سينفذ خطته.

ولأن مثل هذه الشرور سببها هؤلاء الذين يجعلون حروب المرتزقة مهنتهم الوحيدة فعليك أن تعرف المثل القائل: (تصنع الحرب اللصوص ويعلقهم السلام على حبل المشنقة)، فعندما لا يجد أولئك الذين لا يعرفون سبل الحصول على قوتهم أي شخص في حاجة إلى خدماتهم؛ وهم أنفسهم ليس لديهم فضيلة كافية لتحمل معاناة الفقر والإفلاس بشرف؛ فإنهم يضطرون للجوء إلى سبل عادة ما توصلهم لحبل المشنقة.

كوزيمو: لقد كنت أعتقد أن مهنة الجندي هي أعظم وأشرف مهنة في العالم؛ ولكن لأنك وضعتها تحت هذه الأضواء أصبح لدى رأي سيئ جدًّا عنها لدرجة أنه إذا لم يكن لديك شيئ آخر تقوله عن مزاياها فسوف تترك الشكوك تخيم على تفكيري تجاهها لأنه إن كان ما قلته صحيحا؛ فكيف لنا أن نخلد ذكرى القيصر (Caesar)، بومبى (Pompey)، سكايبيو (Scipio) مارشليو (Marcellus)، والعديد من جنرالات الرومان الآخرين؟

فابريزيو: أنا لم انته من مناقشة النقطتين اللتين ذكرتهما منذ قليل، وهما، أن الإنسان الصالح لا يمكنه أن يجعل الحرب هي مهنته الوحيدة، وأنه لا يوجد أمير حكيم أو حاكم لدولة يسمح لأي من رعاياه أو مواطنيه بالقيام بذلك. لقد قلت كل ما حدث لي فيما يتعلق بالنقطة الأولى، والآن سأنتقل لمناقشة النقطة الثانية؛ حيث سأنتهز الفرصة للرد على سؤالك الأخير.

إنني أعتقد أن كلا من القيصر وبومبى وتقريبا جميع جنرالات الرومان الذين عاشوا بعد الحرب البونيقية الثانية (Punic War)؛ اكتسبوا سمعتهم بأنهم رجال ماهرون، وليسوا كمواطنين صالحين، ولكن الذين عاشوا قبل هذه الفترة نالوا مجدهم لأنهم كان لديهم كل من المهارة والعقل المتحضر والمتمدن.

وسبب ذلك في رأيي هو أن قيصر وبومبى جعل الحرب مهنتهما الوحيدة، لكن الآخرين لم يفعلوا ذلك، وطوال استمرار الجمهورية الرومانية في عدم الفساد، لن يستطيع أي مواطن مهما كانت قوته أن يخطر له أن يستفيد من تلك المهنة في وقت السلم بحيث يدوس على القوانين وينهب البلاد أو يتحول إلى طاغية ويستعبد بلده وشعبه، كما لم يجرؤ أي جندي على الحنث بيمينه أو قسمه، أو الانتماء إلى أي فصيل أو التآمر للتخلص من ولائه لمجلس الشيوخ، أو بدعم أي محاولة طاغية للاستبداد

بحريات الرعايا بغية تمكين نفسه من الحياة على مهنة السلاح طوال الوقت، القادة الحقيقيون كانوا على العكس من ذلك يكتفون بشرف الانتصار، وبرغبة شديدة يعودون لنظم حياتهم السابقة، كما كان الجنود العاديون يضعون أسلحتهم بسعادة أكبر مما حملوها بها ويستأنف كل منهم العمل الذي كان يحصل به على قوته لم يكن لدى أحد منهم أية رغبة في الحياة على السلب والنهب.

لدينا دليل واضح وملحوظ عن هذا في مثال اتيليوس رجوليس (Atilius Regulus)؛ والذي كان قائدا للجيوش الرومانية في أفريقيا بعد أن قام بهزيمة القرطاجيين، طلب الإذن من مجلس الشيوخ للعودة إلى وطنه والاهتمام مرة أخرى بمزرعته الصغيرة التي أهملها خدمه، يبدو بوضوح من هذا أنه لو كانت الحرب مهنته الوحيدة وأنه قد خطط أن يصنع ثروته منها، لم يكن ليطلب الإذن بالعودة للاهتمام بممتلكاته الصغيرة في حين أن لديه الكثير من الأقاليم والبلاد تحت رحمته يمكنه أن يكسب يوميا من نهبها أكثر بكثير مما تساوى ممتلكاته كلها. ولكن بما أن الرجال الصالحين هم الذين لا يجعلون من الحرب مهنتهم الوحيدة، لذلك لا يتوقعون أية مكافأة إلا العناء والكدح والخطر ثم المجد لقاء خدماتهم وعندما كانوا يحصلون على ما يريدون يعودون مسرورين إلى نهج حياتهم السابق.

أما بالنسبة لعامة الجنود، نرى أنهم كانوا يتصرفون بنفس الطريقة، على الرغم من أنهم دخلوا في الخدمة طَوعا، فلم يكونوا أقل سعادة من القادة بالعودة إلى أسرهم عندما تنتهي مهمتهم ويتم تسريحهم، تتجلى هذه الحقيقة في العديد من الظروف والمناسبات، ولا سيما في الامتياز الهام الذي حصل عليه المواطنون الرومان من بعد إجبارهم على دخول الجيش رغما عنهم.

على أية حال، طوال استمرار الحكم الجيد في روما (Rome) (وكان ذلك حتى

وقت الجراتشى Gracchi)، لم يكن هناك على الإطلاق أي جندي جعل من الحرب مهنته الوحيدة، ولكن حدث أن قلة منهم كانت فاسقة أو فاجرة وتمت معاقبتهم بشدة، وبالتالي، يجب أن تحرص كل مقاطعة أو دولة ذات حكم رشيد على أن تجعل ممارسة فن الحرب وقت السلم للتدريب فقط، وفى وقت الحرب يكون بدافع الضرورة أو لاكتساب المجد لا غير، كما ينبغي ممارسة فنون الحرب عن طريق الدولة وحدها كما كانت الحال في روما، لأنه إن كان لدى أي مواطن غاية أو خطة أخرى للاستمرار في مزاولة هذه المهنة؛ فهو ليس برجل صالح، وإن تصرفت الدولة على هذا النحو يكون أيضًا حكمها غير رشيد.

كوزيمو: أنا راض تماما بمدى معقولية ومنطقية ما قلته حتى الآن بشأن هذه المسألة. كما أعترف أن الملخص الذي قدمته فيما يتعلق بالدولة أو الجمهورية صحيح وعادل جدًّا، ولكن لا أستطيع القول بأنه سيكون جيدًّا فيما يتعلق بالأمراء والحكام، حيث أعتقد بأن الأمراء والحكام سيريدون إحاطة أنفسهم ببعض الأشخاص الذين يجعلون من الحرب مهنتهم الوحيدة.

فابريزيو: يجب أن تحذر الممالك ذات الشرعية والحكم الرشيد من مثل هؤلاء الأشخاص، لأن هؤلاء فقط هم من سيفسدون أمراءها وحكامها ويصبحون وزراء الطغيان. ولا جدوى من حث ومطالبة أي نظام ملكي حالي ليكون على عكس ذلك، لأن تلك النظم ليست شرعية أو ذات حكم رشيد. حيث إن الدولة ذات الحكم الرشيد لا تعطى أبدا السلطة المطلقة لحاكمها في كل شيء، إلا قيادة الجيش، وذلك لأن القرارات الحاسمة والمفاجئة غالبا ما تكون مطلوبة في مثل هذا المجال، لذلك يجب تواجد قيادة عليا في الأمور الأخرى، ينبغي على الأمير عدم فعل شيء دون استشارة مجلسه. لذلك يجب على مستشاريه إعطاء أهمية خاصة بعدم ترك

الأشخاص الذين يستمرون دائما في نصحه بإعلان الحروب لأنهم لا يستطيعون إعالة أنفسهم بدون حرب لذلك لا يجب تركهم قريبين جدًّا من الحاكم.

لكن يجب على التوسع أكثر في هذه المسألة، وعدم الاكتفاء فقط بالممالك الشرعية ذات الحكم الرشيد المثالي، ولذلك سأتحدث - على سبيل الجدل - عن الممالك التي نراها اليوم، وحتى هذه أرى أن الحكومات فيها يجب عليها الحذر من مثل هؤلاء الأشخاص الذين يمتهنون الحرب، وذلك لأنه من دون شك؛ تتركز قوة كل الجيوش في قوات المشاة الخاصة بها.

وإذا لم يكن لدى الأمير السلطة الكافية عند انتهاء الحرب لحل وتسريح قوات المشاة وجعلهم يعودون مسرورين لوظائفهم السابقة، فإن الأمير يصبح في الطريق إلى الخراب والدمار. حيث إنه لا يوجد أخطر من قوات المشاة التي تتألف من رجال يتخذون من الحرب هدفهم الوحيد، لأنه يجب على الأمير أو الحاكم وقتها إما جعلهم يستمرون في خوض الحروب، أو الدفع لهم باستمرار في وقت السلم، أو سيتعرض لخطر أن يجردوه من مملكته، ولكن لأنه من المستحيل عليه أن يجعلهم مستمرين في خوض الحروب، أو أن يستمر في الدفع لهم للأبد بعد انتهاء الحرب، لذلك يجب على الأمير مواجهة خطر فقدان مملكته.

وحيث إن الرومان كانوا لا يزالون يتمتعون بالحكمة والصلاح، فلم يسمحوا لأي من مواطنيهم بامتهان مهنة الحرب - كما قلت من قبل - على الرغم من مقدرتهم على الدفع لهم باستمرار لأنهم كانوا في حالة حرب مستمرة. ولكن من أجل تجنب المتاعب التي قد تنتج عن التسامح في مثل هذه التقاليد والأعراف، كانوا يقومون بتغيير قواتهم (ولأن هذه العصور لم تتغير)، بحيث في نهاية كل خمسة عشر عاما تمتلئ الجيوش برجال جدد في زهرة شبابهم تتراوح أعمارهم بين ثمانية عشر وخمسة وثلاثين

عامًا، في كامل صحتهم وقوتهم، ولم يكن يتم الإبقاء عليهم بعد تقدمهم في العمر وعجزهم، مثلما فعل نفس الشعب لاحقا في العصور الأكثر فسادا.

كان أوجستس (Augustus) ومن بعده طبريا (Tiberius) أكثر اهتماما بزيادة سلطتهم ونفوذهم أكثر من اهتمامهم بالنهوض بالصالح العام، فبدءوا بنزع السلاح من الرومان (لجعلهم أكثر خضوعا لطغيانهم) ومن أجل الحفاظ على نفس الجيوش باستمرار ضمن حدود الإمبراطورية. ولكن بالتفكير بأن تلك الجيوش كانت غير كافية للحفاظ على مجلس الشيوخ وفى نفس الوقت العمل على إرهاب الشعب وخوفه، فقاموا بتأسيس قوة أخرى، سميت بالحرس الإمبراطوري، حيث تم إيواؤهم دائما في أو بالقرب من المدينة، ولم يكن عملهم فقط حراسة الإمبراطور نفسه ولكن لكبح جماح الشعب أيضا.

بعد ذلك، عندما سمح الأباطرة لهؤلاء الرجال الذين يتألف منهم هذا الحرس بتنحية كل وظائفهم الأخرى جانبا، وجعل الحرب مهنتهم الوحيدة، سرعان ما أصبحت هذه القوى هائلة في العدد والوقاحة ليس فقط بالنسبة لمجلس الشيوخ، ولكن للأباطرة أنفسهم، فقد تسبب هذا الحرس الجمهوري في موت العديد من الأباطرة، ثم تصرفوا في الإمبراطورية كما يحلو لهم، أخذ إمبراطوريات من البعض وأعطوها للبعض الأخر. وقد حدث في كثير من الأحيان أن أباطرة مختلفين انتخبتهم جيوش مختلفة في نفس الوقت، وهى التي تسببت فيما بعد في انقسام الإمبراطورية، وأخيرا الدمار التام.

لذلك فإن الأمير الذي من شأنه حفظ الأمن، يجب عليه اختيار قوة المشاة الخاصة به من هؤلاء الرجال الذين سيقومون مبتهجين بالخدمة عند الضرورة في وقت الحرب، ويكونون أكثر سعادة بالعودة إلى ديارهم بعد انتهائها. وسوف يكون هكذا

الحال دائما مع من يملكون مهنًا ووظائف تمكنهم من العيش ولبلوغ هذه الغاية، عندما يتم عقد السلام، يجب عليه أن يأمر الجنرالات والضباط بالعودة إلى حكومة ولاياتهم، ويأمر السادة بالعودة إلى رعاية ممتلكاتهم، وعامة الجنود يأمرهم بالعودة إلى أعمالهم الخاصة، حتى يتسنى للجميع الدخول في الحرب رغبة في تحقيق السلام العادل، ولكن لن يقوم أي شخص بتعكير صفو السلام لإثارة الحرب.

كوزيمو: حقا سيدي إنني أعتقد بوجود الكثير من الحقيقة والمنطق في ما قلته، ومع ذلك، لأن المضمون مختلف تماما عن الحكم الذي كنت قد كونته سابقا بشأن هذه الأمور، فأنا لا استطيع القول بأنني راض تماما عن بعض الأمور، لأنني أعرف العديد من الأمراء والسادة الذين تم دعمهم في وقت السلم من خلال مهنة الحرب فقط، مثلك أنت على سبيل المثال، وآخرين من مرتبتك ونظرائك؛ يحصلون على معاشات من الأمراء ومن دول أخرى. كما أنني أرى العديد من الجنود، خاصة الفرسان والجنود المسلحين، ما زال يتم الدفع لهم لتأمين القلاع والمدن الأخرى، بحيث يبدو لي أن هناك العمل الكافي لهم والفرص المناسبة لجميعهم في وقت السلم.

فابريزيو: بالتأكيد لا يمكن أن يكون لديك مثل هذا الرأي، وحيث إنه لا توجد أسباب كافية لإقناعك بعكس ذلك، فعدد الرجال الصغير الذي يتم الاحتفاظ به لحماية المواقع العسكرية سيكون الرد الكافي على اعتراضك.

ما هي النسبة الموجودة بين عدد قليل من أفواج المشاة اللازمة للدفاع عن بعض المعاقل في وقت السلم في مقابل من سيتم دفع الأجر لهم عند شن الحروب؟ في وقت الحرب ليس هناك حاجة لزيادة الأعداد لتعزيز هذه المواقع قارن هذا بالأعداد التي يتم توظيفها في أرض المعركة ويتم دائما الاستغناء عنها بمجرد حلول السلام؟

بالنسبة إلى عامة الحراس الدائمين، وهم أمر ضروري لأي دولة (ولكن ليس بالضرورة بأعداد كثيرة) .

فقد أظهر البابا يوليوس الثاني (Pope Julius II)، وجمهوريتك أنت للعالم مدى إيمانهم بخطورة هؤلاء الأشخاص الذين جعلوا الحرب مهنتهم الوحيدة بالقيام بعزلهم لوقاحتهم وبذاءتهم، واستبدالهم بحرس سويسري (Swiss)؛ حيث إنهم لم يولدوا ويترعرعوا فقط على الامتثال الصارم للقوانين، بل أيضًا تم انتقاؤهم واختيارهم بطريقة حكيمة ومنتظمة من مختلف المهن الخاصة بهم، وبالتالي فمن الطبيعي أنه يجب أن يسقط اعتراضك بأن الجنود من كل نوع وفئة يمكنهم بالضرورة إيجاد العمل الملائم لهم في وقت السلم تماما مثل وقت الحرب.

ولكن السبب في استمرار الدفع للفرسان المسلحين في وقت السلم ربما يكون غير واضح، ومع ذلك، إذا نظرنا إلى الأمر بدقة، يمكن لنا تبريره بسهولة، لقد كانت عادة سيئة صنعها تجار الحروب، والتي تؤدى إلى العديد من العواقب الخطيرة للدول التي يوجد بها عدد كبير من الرجال الذين مازال يتم دفع الأجر لهم، ومع ذلك، بما أنه نادر أن يجد هؤلاء الرجال ما يكفى لتكوين جيش من أنفسهم، فهم لا يمكنهم التسبب في كثير من الضرر في الوقت الحاضر، على الرغم من أنهم قد فعلوا ذلك في الماضي، كما ذكرت في حالات مثل فرانشيسكو سفورزا (Francesco Sforza)، ووالده، وبراتشيو دا مونتون (Braccio da Montone)، ومع ذلك هي عادة وتقليد سيء يمكنه أن يؤدى إلى الكثير من المتاعب.

كوزيمو: إذا، لو لم يكن لديك جيش على الإطلاق كيف كنت ستقوم بجمعه وتنظيمه؟

فابريزيو: كنت سأجمعهم ليس مثل فرسان فرنسا المسلحين، فهم في نفس خطورة

ووقاحة وغطرسة فرسانكم، ولكن على طريقة القدماء، حيث إنهم كان يقومون باختيار فرسانهم من رعاياهم، وبعد انتهاء الحرب، يقومون بإعادة إرسالهم إلى منازلهم مرة أخرى، ليقوموا بإعالة أنفسهم عن طريق وظائفهم السابقة كما سأقوم بتوضيح المزيد من التفاصيل قبل الانتهاء من هذا الموضوع.

ولذلك إذا تم الاحتفاظ بالفرسان معا، ودفع الأجر لهم لكي يعيشوا عليه تماما حتى في أوقات السلام، فهذا نتيجة لوجود الفساد والحكومة السيئة، وعلى الرغم من أنني أنا نفسي وبعض القادة نتلقى معاشات ورواتب تقاعدية، يجب أن أعترف أن هذا عرف سيئ. حيث يجب على الجمهورية الحكيمة والرشيدة أن لا تستمر أبدا في دفع مثل تلك الأجور الثابتة للقادة، بدلا من ذلك تقوم بتوظيف مواطنيها في زمن الحرب، وتقوم فيما بعد بتسريحهم لمتابعة وظائفهم السابقة.

هكذا أيضًا يجب على الحاكم الذكي عدم السماح لأي شخص بالحصول على معاش أو راتب في وقت السلم، إلا كمكافأة على خدمة متميزة، أو من أجل أن يحيط نفسه ببعض الرجال الشجعان في وقت السلم كما في وقت الحرب.

ولأنك قد قمت باختياري كمثال على هذا النوع، فيجب أن أتحمل المسئولية وأقدم أفضل اعتذار في استطاعتي تقديمه عن ذلك، ولذلك فأنا أرى أنني لم أكن أبدا لأجعل من الحرب مهنتي ووظيفتي الوحيدة، فمهنتي هي أن أقوم بحكم شعبي ورعاياي جيدًا وأن أقوم بالدفاع عنهم وحمايتهم، ولهذا الغرض أقوم بدراسة كلا من فن السلام والحرب. وإن تمت مكافأتي وتقديري من قبل الأمير الذي أتشرف بخدمته، فإن ذلك لن يكون بسبب خبرتي في الشؤون العسكرية بقدر ما سيكون بسبب سعادته بالاحتفاظ بى كواحد من مستشاريه في وقت السلم، لذلك يجب على الأمير إن أراد أن يحكم بحكمة ورشاد أن لا يضع ثقته في أي نوع آخر من

الأشخاص؛ لأنه لو كان مستشاروه مولعين جدًّا إما بالحرب أو بالسلام، فسوف يقودونه إلى الأخطاء والعقبات الخطيرة.

بهذا القدر شعرت بنفسي ملزما أن أتحدث كنتيجة لما كنت قد اقترحته في البداية، وإن لم يكن ما قلته مرضيا بدرجة كافية؛ فلا شك أنك سوف تجد الكثير من الآخرين يستطيعون إعطاءك معلومات أفضل فيما يتعلق بالأمور التي بدا أنك كنت حريصا جدًّا على معرفتها. ومع ذلك أتجرأ على القول بأنك كنت قد بدأت تدرك مدى صعوبة إحياء الانضباط العسكري للقدماء في وقتنا الحاضر، والاستعدادات المطلوبة لمثل هذا الغرض، والمناسبات والفرص التي نفتقر إليها لتحقيق هذا الغرض. ولكن إن لم تكن بالفعل قد تعبت مما قلت، فيمكنني إلقاء القليل من الضوء على هذا الموضوع من خلال مقارنة تفاصيل ممارستنا العملية الحديثة وقوانيننا مع انضباط القدماء.

كوزيمو: إن كنا في البداية حريصين على سماعك وأنت تبدأ في مناقشة مثل هذه الأمور، فيمكننا أن نؤكد لك بأن ما قد قلته الآن ضاعف من رغبتنا في سماعك. لذا نشكرك من أعماق قلوبنا على الرضا والإقناع الذي قدمته لنا، ونرجوك بكل صدق أن لا تحرمنا من البقية.

فابريزيو: بما أن هذا يسركم، فسأقوم إذًا باستخلاص هذه المسألة من منبعها، حتى أستطيع طرح رأيي بطريقة أكثر وضوحا، ولكي تتمكنوا من فهمي بشكل أفضل.

يجب على كل من يقوم بالمشاركة في حرب استخدام كل الوسائل الممكنة لوضع نفسه في موقع يسمح له بمواجهة عدوه في الميدان، وهزيمته هناك إن أمكن. لذلك كان من الضروري تشكيل جيش، ولتشكيل جيش، لا يجب عليه فقط جمع الرجال، وإنما التسليح، والانضباط، والقيام بتدريبهم عمليا وبشكل متكرر على كلا من

تشكيلات المعارك الكبيرة والصغيرة، يجب تعليمهم كيفية إقامة المعسكرات وكيفية شد الرحال، ويجب عليه أن يجعلهم على دراية أكبر بعدوهم تدريجيا، بالسير بالقرب منه أحيانا، وأحيانا أخرى عن طريق اتخاذ مركز في الموقع الذي يجعلهم على مرأى ومسمع منهم، هذه الاستعدادات ضرورية للغاية في أرض الميدان، فهي أكثر ضرورة وأكثر تقديرا في جميع الحروب.

الجنرال الذي يعلم كيفية إدارة مثل هذه الحروب من أجل تشكيل وإعداد الجيش، ومحاربة العدو بطريقة سليمة ومناسبة للجنود، لا يمكنه أن يخطئ كثيرا في النواحي الأخرى، ولكن إن كان مقصرا في هذه الناحية من مهنته على الرغم من أن لديه القدرة في نواحٍ أخرى، فإنه لن يقوم أبدا بإنهاء الحرب بنهاية سعيدة، إلى جانب ذلك فإنه إن فاز في معركة، فإنه يلغى كل أخطائه وغلطاته الأخرى، ولكن إن خسر واحدة، فإنها تمحى ذكرى كل ما قدمه من مزايا وخدمات سابقة.

وبالتالي، لتشكيل جيش، يجب أولا اختيار الرجال المناسبين لهذا الغرض. أطلق القدماء على هذه العملية مصطلح الانتقاء، ولكننا نسميها بالتجنيد العسكري، لذلك، قام أولئك الذين شرَّعوا قوانين فن الحرب بالموافقة بالإجماع على أن مثل هؤلاء الرجال يجب أن يكونوا تحديدا من المناطق ذات المناخ المعتدل، حيث إنهم ربما يكونون شجعانا وحذرين على حد سواء.

حيث لُوحظ أن البلدان ذات الحرارة المرتفعة تُنتج وتقدم رجالًا متميزين بالسرعة والفطنة وحدة الذهن، ولكنهم ليسوا شجعانا، ومن ناحية أخرى، فإن معظم سكان البلدان الباردة أقوياء وشجعان، ولكنْ مملون ولديهم بلادة وبُطء في الفهم. في الواقع، يمكن تطبيق هذه القاعدة على حاكم يملك العالم كله تحت أمره، ويمكنه اختيار الرجال من أي مكان يشاء، ولكن، لوضع قاعدة يتم تنفيذها من

قبل أية دولة، فأنا أرى أن تقوم كل جمهورية أو أمير باختيار رجاله من مقاطعاته الخاصة سواء الباردة أو الحارة أو المعتدلة، لأننا نرى من خلال الأمثلة التي قدمها لنا القدماء أن الانضباط الجيد والتدريب يخلق جنودًا جيدين في أية دولة، وأن عيوب الطبيعة يمكن إصلاحها من خلال الفن والصناعة والمثابرة، والتي في هذه الحالة سوف تكون أكثر فاعلية من الطبيعة نفسها.

إلى جانب ذلك، فإن اختيار الرجال من بلاد أخرى لا يمكن أن نطلق عليه انتقاء أو التجنيد العسكري، وذلك لأن هذا المصطلح يدل على اختيار وانتقاء أفضل الرجال في الإقليم أو المنطقة، متضمنا القدرة على اختيار كل من المستعدين وغير المستعدين للمشاركة في الحروب. وهذا لا يمكن القيام به في أي بلد إلا بلدك، حيث إنه بالنسبة للأقاليم التي تخضع لدولة أخرى، يجب أن ترضى بهؤلاء الرجال الذين هم على استعداد لخدمتك، ولا تتوقع أن تقوم باختيار ما يحلو لك منهم.

كوزيمو: ولكن يمكنك إما أن تقبل أو ترفض من تعتقد أنه مناسب من هؤلاء المستعدين لخدمتك، لذا، يمكن أن نطلق عليه تجنيد أو انتقاء.

فابريزيو: أنت على حق في أحد الجوانب، ولكن ضع في اعتبارك الخلل الذي سينتجه اختيارك، وستجد أنه في الواقع لا يوجد أي خيار على الإطلاق. في المقام الأول، بالنسبة لأولئك الذين ليسوا من رعاياك ومستعدين للدخول في رعايتك وخدمتك فهم بعيدون تمامًا عن كونهم أفضل الرجال لأنهم عادة ما يكونون الأسوأ في أية دولة، لأنه إذا كان هناك من البشر فاسقون من أهل الفضائح أو عاطلون أو فاسدون أو ملحدون أو بؤساء أي من الهاربين من أهاليهم أو كفار أو محتالون، أو من بدءوا أو انغمسوا في كل شكل من أشكال الخِسة والنذالة، هؤلاء الناس هم عادة من يكونون مستعدين للخدمة تحت رايتك.

فأي نوع من الجنود ترجح أن تختاره وتكونه، سأترك الحكم لكم!، أما عندما يكون لديك الكثير من النبلاء الصادقين الذين يقومون بعرض خدماتهم عليك، يمكنك وقتها بالتأكيد أن تختار من بينهم، ولكن لا يمكنك أبدا القيام باختيار جيد من خارج بلدك لأن جميعهم سيؤون.

ومع ذلك، فإنه غالبا ما يحدث أنك لا تجد ما يكفيك لملء كتائبك، حتى من هؤلاء، بحيث يتوجب عليك أخذهم جميعهم، ولذلك لا يمكنك القول تماما بأنك قمت بالانتقاء، أو الاختيار، ولكنك قمت بتعيين جنود. تتألف اليوم جيوشنا الإيطالية ومعظم الدول الأخرى باستثناء ألمانيا، من مثل هؤلاء الأشخاص غير المنضبطين، وذلك لأن أمراءنا ليس لديهم سلطة لجعل أي إنسان يشارك في الحرب دون إرادته، لذلك، بالنظر فيما بينكم، فهل من الممكن إحياء انضباط القدامى في الجيوش التي تم اختيارها بمثل هذه الطريقة.

كوزيمو: إذا، ما الطريقة الأخرى التي يمكنك استخدامها لتجميعهم؟

فابريزيو: الطريقة التي رجحتها من قبل. أنه يجب أن يختار الأمير جيشه من رعاياه، ويقوم باستغلال سلطته للقيام بمثل هذا الاختيار.

كوزيمو: هل تعتقد أنه قد يتم إحياء أي شكل من أشكال الانضباط للقدماء في مثل هذا الجيش الذي يتم اختياره بهذه الطريقة؟

فابريزيو: دون أدنى شك قد يحدث، إذا كان الجيش تحت قيادة الحاكم الطبيعي في الإمارة، أو في الجمهورية أو دولة ديموقراطية عن طريق تعيين قائد عام خلال فترة السلطة القائمة، وإلا ستكون تلك المسألة صعبة للغاية.

كوزيمو: لماذا؟

فابريزيو: سأشرح لك بالمزيد من التفاصيل في الوقت المناسب. ولنكتفي في الوقت الحاضر بالقول بأن لا خير يمكن إتمامه بأية وسيلة أخرى.

كوزيمو: حسنا إذن، بما أن عمليات التجنيد هذه ستتم تحت سيادتك، فهل من الأفضل اختيار الرجال من المناطق الريفية أو من المدن؟

فابريزيو: اتفق جميع المؤلفين الذين كتبوا عن هذا الموضوع على أنه من الأفضل اتخاذهم من المناطق الريفية، حيث اعتاد مثل هؤلاء الرجال على تحمل المشاق والصعاب، وتحمل كل أنواع الطقس، واستخدام المجارف، وحفر الخنادق، وتحمل الأعباء الثقيلة، فهؤلاء الرجال بصفة عامة أكثر اعتدالا وأَقل فسادا من غيرهم. ولكن نظرا لأهمية كل من سلاح الفرسان وقوات المشاة للجيش، فأنصح بأن يتم اختيار الفرسان من المدن، وقوات المشاة من المناطق الريفية.

كوزيمو: في أي عمر تختارهم؟

فابريزيو: إن كنت سأقوم بتكوين جيش جديد، فسأختار الرجال من سن السبعة عشر إلى سن الأربعين، ولكن إن كنت سأقوم باختيار مجندين لجيش قديم، فلن أختار من يزيد أعمارهم عن سن السبعة عشر.

كوزيمو: لا أفهم هذا التصنيف بشكل واضح.

فابريزيو: لذا سأقوم بالتوضيح لك. إذا كنت سأقوم بتجنيد جيش أو إنشاء ميليشيا في حالة عدم وجودهما من قبل، فمن الضروري اتخاذ أفضل وأكفأ الرجال من كل الأعمار المتوفرة والمتاحة سواء كانوا صغارا جدًّا أو كبارا من أجل تنظيمهم بطريقة سوف أخبرك بها في المكان المناسب لها. ولكن إن كان لي اختيار رجال لتجنيدهم في جيش مستمر منذ فترة، فلن أختار من هم أكثر من سبعة عشر عاما،

حيث إنه يحتوى بالفعل على ما يكفى من الرجال في سن ناضج لتحقيق هدفي في مثل هذا الجيش.

كوزيمو: ومن ثم سيكون لديك ميليشيات مماثلة للموجودة في مدينتنا؟

فابريزيو: نعم، ولكنى سأقوم بتسليحهم وتعليمهم الانضباط وتدريبهم وتنظيمهم بطريقة أتصور أنها مجهولة في بلادكم.

كوزيمو: هل تفضل تنظيم مليشيات؟

فابريزيو: ولِـمَ لا يا سيدي؟

كوزيمو: لأن العديد من الحكماء قد رفضوا ذلك.

فابريزيو: تناقضُ نفسك عندما تقول أن الحكماء لا يوافقون على مرسوم أو تنظيم قانون المليشيات، فقد يبدو بعض الرجال حكماء ومتمكنين، على الرغم من أنهم ليسوا كذلك في الحقيقة.

كوزيمو: يبدو أن تجربتنا المؤسفة مع هذا القانون أو المرسوم تبرر ذلك.

فابريزيو: هل أنت متأكد أنه ليس خطأ منكم أنتم أكثر من كونه خطأ في القانون؟ ربما أقنعك بذلك، قبل أن ننتقل من هذه النقطة.

كوزيمو: سوف تتفضل علينا كثيرا بفعل ذلك. ولكن سوف أخبرك لماذا تم انتقاد مرسوم قانون المليشيات في المقام الأول، ربما تقوم بالتفنيد والرد على الاعتراضات بشكل أفضل. فكما يقال، إذن، أن مليشيات المواطنين التي وضعها هذا المرسوم إما قليلة أو معدومة، وبالتالي، إذا قام أي أمير أو دولة بالاعتماد عليها، فمن المؤكد أنه سيتراجع عن ذلك، أو إذا تألفت المليشيا من جنود يتبعون الفصائل والجماعات، فربما

يقوم القائد باستغلال ذلك بشكل جيد للاستيلاء على السلطة الحكومية. ويستشهد الناس على ذلك بمثال الرومان الذين فقدوا حرياتهم بالاحتفاظ بمليشيات من المواطنين.

كما تم الاستشهاد أيضًا بأمثلة أهل البندقية والملك الفرنسي لنفس الغرض، حيث قام أهل البندقية باستخدام القوات الأجنبية لمنع أي من مواطنيها بتنظيم انقلاب، بينما قام الملك الفرنسي بنزع السلاح من جميع رعاياه ليحكمهم بسهولة، ولكن هناك أكثر من ذلك بكثير يمكن تعلمه من عدم صلاحية ميليشيات المواطنين للاستخدام، وذلك لسببين؛ أولا أنهم خام سذج وعديمو الخبرة، وثانيا، أنه تم إجبارهم على الخدمة بالقوة، فعندما يصل الأشخاص إلى سن النضج، فإنهم نادرا ما يتعلمون شيئا بشكل كامل، ولذلك لا يمكن توقع أي خدمات من رجال تم إجبارهم على دخول الجيش سواء إذا كانوا سينجحون أم لا.

فابريزيو: يبدو أن تلك الاعتراضات تأتى من رجال يعانون من قصر النظر، كما سأوضح حالا، بالنسبة إلى عدم قابلية مليشيات المواطنين أو الجيش الوطني للاستخدام، فأنا أرى انه لا يوجد قوة أكثر فاعلية من تلك التي تم انتقاؤها من رعاياك، وأيضا لا يمكن اختيار هؤلاء الرعايا بطريقة أفضل ومناسبة أكثر ولكن لأن هذا لا يسبب أي جدال، فلا يجوز أن أضيع المزيد من الوقت ساعيا لإثبات ذلك، خاصة مع وجود ما يكفى من الأدلة في تواريخ جميع الأمم التي تثبت ذلك.

اعتبر أن ما قد قيل بشأن عدم الخبرة والإجبار صحيحًا ومنطقيًّا، حيث إن قلة الخبرة هي أساس الجُبن، والإكراه يصنع رجالًا متمردين وساخطين، ولكن كلا من الخبرة والشجاعة يمكن اكتسابهما بالتسليح، والممارسة، والانضباط الصحيح للرجل، كما سأثبته لك بوضوح. بالنسبة لمسألة الإكراه، فأنا أريد بأن الرجال

المُختارين عن طريق أميرهم، لا يجب أن يكونوا جميعهم متطوعين أو مجبرين على الخدمة، حيث إنه لو كان جميعهم من المتطوعين فإن الصفات السيئة التي ذكرتها للتو ستترتب على ذلك، فلا يمكن أن نقول إنه تم انتقاؤهم، وسيكون القليل منهم على أتم الاستعداد للخدمة.

من ناحية أخرى، فإن الإجبار سيجلب عددًا غير قليل من المتاعب، ولذلك يجب الاعتماد على الوسطية وهى عدم استخدام العنف التام لإجبار الرجال، أو الاعتماد الكلى على طواعيتهم. حيث يمكن أن يكون دافعهم للطاعة هو اعتقادهم بأنه يمكنهم تعريض أنفسهم لقليل من المشقة الحالية بدلا من تكبد استياء حكامهم وبهذا أعنى (أن إرادتهم التي يبدو أنها حرة هي في حقيقتها نوع من الإجبار المهذب)، وبالطريقة الوسطية سوف تمنع بسهولة تلك الآفات التي قد تنجم عن روح الفجور أو السخط.

ومع ذلك، فلن أتجرأ بالقول بأن الجيوش التي تتكون من مثل هؤلاء الرجال لا تُقهر، لأن حتى الجيوش الرومانية تمت هزيمتها، وتمت هزيمة حنبعل (هانيبال) نفسه. فكما ترى، إنه من المستحيل أن نضع نموذجا لجيش لا يقهر على الإطلاق. ولذلك، ينبغي على الرجال المتمكنين والحكماء الذين قد تكلمت عنهم حتى عدم نطق كلمة غير قابلين للاستخدام فيما يخص القوات لمجرد أنهم خسروا معركة. عند النظر في أسباب الهزيمة، ربما تكون بسبب سلوك سيئ للقائد أكثر من كونها خللًا في النظام أو المؤسسة نفسها. لذلك، أتمنى من حضراتكم بدلا من إدانة أحدهم يجب عليكم السعي لتصحيح الآخر، وسأريكم كيف نقوم بعمل ذلك كلما تقدمنا في الحوار.

وفى نفس الوقت، سأحاول إقناعكم كيف أن الأساس المبني عليه اعتراضكم

ضعيف وهش وهو أن مثل هذه المليشيات تحت قيادة أحد الرعايا أو المواطنين الطامحين قد تحرم أميرًا أو جمهورية من سلطتهم وأملاكهم؛ لأنه من المؤكد أنه لا أحد من الرعايا أو المواطنين تم تسليحه بشكل قانوني وحافظ عليه قادته في نظام وانضباط قام بعمل حتى أقل شكل من أشكال الفساد في أية دولة. على العكس من ذلك، لقد قدموا دائما أعلى مستوى من الخدمة للحكومات وقاموا بالمحافظة عليها حرة وغير فاسدة لوقت أطول مما لو كانوا غير موجودين.

ظلت روما حرة لمدة أربعمائة عام، وإسبارطة ثمانمائة، على الرغم من كون مواطنيها مسلحين كل هذا الوقت، ولكن العديد من الدول الأخرى التي تم نزع السلاح منها فقدوا حرياتهم في أقل من أربعين عامًا. وبالتالي، لا يوجد دولة يمكنها حماية نفسها بدون جيش. إن لم يكن لدى الدولة جنود خاصة بها، فتصبح مضطرة لتوظيف قوات أجنبية؛ وذلك أخطر بكثير حيث سيجعلها أكثر عرضة للفساد وتصبح خاضعة لطموح المواطن القوى الذي عندما لا يجد أمامه من يتعامل معه إلا العديد من العزل والغير مسلحين، ربما يقرر ويخطط بسهولة وبمساعدتهم الاستفادة من هذا الموقف عن طريق الإطاحة بالحكومة الموجودة.

إلى جانب ذلك، يجب على كل دولة بطبيعة الحال أن تحذر من نوعين من الأعداء وليس نوعا واحدا، فالدولة التي تقوم بدفع رواتب للقوات الأجنبية يجب أن تكون متخوفة منهم، وكذلك من قواتها الخاصة، في الواقع إن كنت تتذكر ما قد قلته للتو بشأن فرانشيسكو سفورزا، فسترى أن هناك سببا كافيا لذلك. في حين أن الدولة التي لا تستخدم أي قوات إلا التي تتألف من رعاياها، لديها عدو واحد تخشاه.

ولكن حتى لو تجاهلنا جميع الأدلة الأخرى التي يمكن الاستشهاد بها لدعم هذه النقطة، فسأقوم فقط بإرساء الحقيقة المؤكدة بأنه لا يوجد أبدا إنسان قام بتأسيس

ملكية أو جمهورية دون أن يكون متأكدا تماما أن رعاياه مسلحون فيكونون دائما جاهزين ومستعدين للدفاع عن الملكية أو الجمهورية.

لو كان أهل البندقية قد تصرفوا بحكمة في هذا الصدد كما في غيره لكانوا قد أقاموا نظاما ملكيا عالميا جديدا، إنهم جميعا يستحقون اللوم والاستهجان لإهمالهم هذا، حيث كانت لديهم أسلحة وضعت في أيديهم من قبل المشرعين الأوائل. ولكن لأنهم لم يمتلكوا الكثير من الأراضي على اليابسة؛ فقد قاموا بتوظيف قوتهم بصورة رئيسية في البحر، حيث استمروا في حروبهم بروح عظيمة، وقاموا بعمليات فيها سيطرة ومكاسب كبيرة، ومع ذلك، في النهاية، عندما اضطروا للمشاركة في حرب على اليابسة لإغاثة فيسنزا (viscenza)، بدلا من الثقة في البعض من مواطنيهم لقيادة قواتهم قاموا بالدفع لماركيز مانتوفا لهذا الغرض وقد كانت هذه الخطوة الخاطئة السبب في قص أجنحة طموحهم ووضع حد للمزيد من مطامعهم، وقد نتجت عن الاعتقاد بأنهم رغم مقدرتهم على الحروب في عرض البحر، فهم لا يعرفون كيفية فعل ذلك على البر؛ لكن هذا الحذر لم يكن قائمًا على أساس؛ لأنه بالنسبة لضابط بحري اعتاد على مواجهة الرياح بالإضافة إلى مواجهة عدوه، سيجعله ذلك في الحال ضابطا جيدًّا على الشاطئ أو البر، حيث لن يكون لديه أي شيء يتعامل معه إلا العدو، وهذا أسهل للضابط البحري بكثير مما يمكن للضابط العسكري أن يفعل إن أصبح قائدا بحريا.

ومع ذلك، فإن الرومان الذين كانوا الأكثر خبرة في الحروب البرية وكانوا يعرفون القليل من الشؤون البحرية؛ بمجرد اشتباكهم مع القرطاجيين الذين كانوا أقوياء جدًّا في عرض البحر، فلم يقوموا بضم القوات اليونانية أو الإسبانية لخدمتهم على الرغم من أنهم كانوا أفضل بحارة في ذلك الوقت، بدلا من ذلك، سمحوا بأن يقود

تلك الحملة ضباط الجيش الخاص بهم والذين هبطوا على ساحل العدو وأخضعوا البلد بأسرها.

ولكن إن كان أهل البندقية قد تصرفوا على هذا النحو، للخروج من التخوف بأنهم قاموا بخلاف ذلك، لقام واحد من مواطنيهم بالاستيلاء على الحكومة نفسها، كانت مخاوف بدون حكمة، (و لعدم تكرار ما قد قلته سابقا)، إن لم يقم أي من قادة البحرية بفرض نفسه والاستيلاء على مدينة على سواحلهم، فإنه من غير المناسب أن تكون لديهم مخاوف إن أيًّا من مواطنيهم الذين قادوا جيوشهم سيقومون باستخدام هؤلاء القادة لهذا الغرض. لذلك؛ فإن القرار الذي قاموا باتخاذه في تلك المسألة غير حكيم إطلاقا، وجلب لهم الكثير من العار والعديد من المصائب. أما بالنسبة للخطأ الذي ارتكبه ملك فرنسا بنزع السلاح من رعاياه بدلا من إبقائهم منظمين وعلى استعداد للحرب، (وهو مثال تتخذه ضدي)، فيجب على كل رجل نزيه غير متحيز أن يعترف ويقر بوجود نقص كبير في الحكم وضعف كثير بتلك المملكة.

لقد قمت بالخروج عن الموضوع كثيرا، وربما يبدو أنكم قد نسيتم موضوعي، ولكنى كنت مُلزما للقيام بهذا إلى حد ما، وذلك للرد على اعتراضاتكم ولكي أريكم أن الدولة يجب أن تعتمد فقط على القوات التي تتألف من رعاياها، وأن هؤلاء الرعايا لا يمكن تربيتهم بشكل أفضل إلا من ميليشيات المواطنين، وأنه لا يوجد طريقة أفضل من ذلك تم ابتكارها لتشكيل الجيش أو لتقديم حسن النظام والانضباط بين الجنود. إن كنت قد قرأت القوانين والنظم التي أنشأها أول ملوك روما؛ ولاسيما التي أنشأها سرفيوس توليوس، فيجب أن تتذكر أن التصنيفات التي شكَّلها كانت الأساس لميليشيا المواطنين التي يمكن تجميعها بسرعة في أية حالة طوارئ مفاجئة للدفاع عن الدولة.

ولكن للعودة إلى مرسوم قانوننا، فأنا أقول لك مرة أخرى إن كنت سأقوم باختيار جنود لجيش قديم، فسأختار رجالًا في حوالي السبعة عشر عاما، ولكن إن كنت سأقوم بتجميع جيش جديد وأجعله ملائما للخدمة في وقت قصير، فسأختار من جميع الأعمار التي تتراوح بين سن السبعة عشر والأربعين.

كوزيمو: هل ستعطى أي اهتمام إلى أعمالهم ومهنهم وحرفهم ووظائفهم؟

فابريزيو: قال بعض المؤلفين الذين كتبوا حول هذا الموضوع، إنه لن يتم اختيار صائدي الطيور، وصيادي الأسماك، والطهاة، ومدبرين المنازل، أو نوع آخر من الناس يمكن أن تعتبر مهنته هواية أو رياضة، إنهم يفضلون الرجال الذين يعملون في الحرث، والحدادين، وصانعي الحدوات، والنجارين والجزارين، وصائدي الحيوانات، ومثل هذه المهن. من جانبي، لا أضع كثيرا في اعتباري أن طبيعة مهنة الأشخاص تحدد فضائلهم الأخلاقية والتي بها يمكن تنفيذ معظم المهام، لهذا السبب، فأنا أفضل اختيار الفلاحين والرجال الذين اعتادوا على العمل في الحقول، حيث إنهم أكثر إفادة في الجيش من غيرهم، إلى جانب ذلك، أحب اختيار الحدادين والنجارين وصانعي الحدوات والحجارين لأننا غالبا ما نكون في حاجة إليهم، ولأنه شيء جيد أن يكون لديك رجال يمكنهم استخدام يديهم الاثنتين في الكثير من الأشياء بدلا من يد واحدة.

كوزيمو: ولكن كيف للمرء التمييز إن كان مثل هؤلاء الرجال صالحين للحرب أم لا؟

فابريزيو: سأخبركم أولا بالطريقة التي سأستخدمها لزيادة القوات من أجل تشكيل جيش جديد، لأنه ستتاح لي الفرصة لذكر العديد من الأشياء الضرورية لتجنيد الرجال لجيش قديم في نفس الوقت. لذلك، أرى أنه يجب الحُكم على الفضيلة

الأخلاقية للرجل الذي خدم بالفعل إما عن طريق التجربة التي مررنها بها فيما يخص سلوكه السابق أو من خلال الحدس المحتمل، ولكن بالنسبة للرجال الجدد الخام الذين لم يسبق لهم الخدمة يجب علينا أساسا اختيار معظم الجيوش الجديدة منهم إن لم يكن كلها، ولأنه لا يمكن أن يكون لدينا أية خبرة فيما يتعلق بفضائلهم الأخلاقية، فيجب علينا اللجوء إلى استخدام الحدس الذي يمكننا استخلاصه من سنهم، ووظيفتهم ومظهرهم.

لقد تكلمنا عن أول شيئين، وبالتالي يتبقى لنا الحديث عن الشيء الثالث؛ قد يختار البعض مثل بيروس (Pyrrhus) أن يكون لديه جنود طوال القامة، وقد يفضل الآخرون مثل يوليوس قيصر (Julius Caesar)، الرجال ذوي النشاط والأقوياء، حيث يقومون بتشكيل حدَسهم عنهم عن طريق التناسق في أطرافهم، وبفضل مظهرهم. كما يوصى بعض الرجال الذين تعاملوا في هذا الشأن بالذين لديهم أعين سريعة وحيوية، لديهم عضلات بأعناقهم، وصدور عريضة، مفتولو العضلات، لديهم أصابع طويلة، بطون صغيرة، أطراف مستديرة، سيقان عريضة وأقدام صغيرة، ولأنه غالبا هذه هي علامات القوة وخفة الحركة فيجب على الجندي أن يتوافر لديه اثنتان من هذه الصفات على الأقل.

ولكن قبل كل شيء، يجب أن نكون صارمين فيما يتعلق بأخلاقهم وسلوكهم، وإلا فسنقوم باختيار رجال ليس لديهم كل من التواضع والصدق، وسوف يكونون بمثابة عار على الجيش، ولن يصبحوا فقط متمردين وغير محكومين، ولكن أيضًا سيزرعون بذور الفساد بين الآخرين. هل يمكنك توقع وجود أي نوع من الفضائل أو الصفات المحمودة في مثل هؤلاء الرجال؟

في هذه المرحلة، لن يبدو الأمر غير مرتبط بموضوع البحث، بل بالعكس من

الضروري أن أذكرك بالطريقة التي استخدمها القناصل الرومان بمجرد استلامهم وظائفهم لجمع القوات اللازمة للقيام بالخدمة تلك السنة؛ وبالتالي قد تصبح أكثر قناعة بأهمية مثل هذا الاختيار.

على ذكر هذا، حين كانت جمهوريتهم مشتركة في حروب مستمرة بلا توقف ومُلزمة باختيار رجال سبق لهم الخدمة وآخرين لم يسبق لهم الخدمة على الإطلاق، كان لديهم الفرصة في إحدى الحالات باتخاذ القرار بشأن الرجال ذوى الخبرة الملائمين لهذا الغرض، وكانوا مجبرين في حالة أخرى لاستخدام رجال افترضوا أنهم قد يكونوا مناسبين.

وبالمثل، ينبغي مراعاة أن هذه القوانين تم وضعها للخدمة الفورية للقوات المجنَّدة، أو لوضع الاحتياط لكي يمكن استخدامها في وقت لاحق عندما يحين الوقت. ولكن بما أنني لم أتحدث إلى الآن إلا على من يتم تجميعهم للخدمة المستقبلية في البلاد التي ليس لديها جيش سابق، وبناء على ذلك لا يمكن اتخاذ أي خيار مناسب عن تجربة هؤلاء الرجال الملائمين ليكونوا جنودًا، وسأكمل في هذا الموضوع، لأنه من السهل سواء تجميع المجندين بشكل جيد، أو تشكيل جيوش للخدمة الفورية في الأماكن التي تم تأسيس قوتها العسكرية من قبل، خاصة إن كان لدى حكام الدولة السلطة الكافية لتطبيق ذلك، كما فعل الرومان فيما مضى، ومثلما تفعل سويسرا اليوم.

على الرغم من أنه بالتأكيد يجب أن يحتوى الجيش على العديد من الأشخاص الجدد في هذا التجنيد، ولكنه سيحتوى أيضًا على العديد من المخضرمين الذين سيجعلون معا الجيش رائعا في التو والحال. ومع ذلك، عندما بدأ أباطرة الرومان في وضع الثكنات والجيوش النظامية حول حدود الإمبراطورية، اعتقدوا أنه من المُستحسن تعيين بعض السادة أو المدربين لتعليم وتأديب الجموع أو المجندين الجدد

الفنون الحربية والمناورات، كما نرى في حياة الإمبراطور ماكسيمينوس (Emperor Maximinus) .

فقط عندما تكون روما حرة، نلاحظ هذه القوانين في الوطن وليس في المخيمات والمعسكرات لأن داخل الوطن كان يتم بالفعل تدريب الرومان الشباب ويعتادون على هذا النوع من الانضباط، ويصيرون جنودا ممتازين عندما يكون انتقاؤهم واستدعاؤهم ضروريا لخدمة بلدهم. ولكن في وقت لاحق، عندما تم إيقاف قانون تدريب الشباب داخل الوطن من قبل الأباطرة، فأصبحوا مجبرين على استغلال الوسائل التي ذكرتها للتو.

ولكن، دعونا نرجع إلى الطريقة التي لاحظها الرومان في وضع القوات المجندة الخاصة بهم، فبمجرد أن يقوم القناصل الذين يعملون دائما بإدارة حروبهم باستلام وظائفهم يشرعون في تعبئة الجيوش وتم تخصيص اثنين من الفيالق لكل قنصل بحيث تتألف من المواطنين الرومان فقط، فقد كانوا الأساس والقوة الرئيسية لجيوشهم ولهذا الغرض يتم تعيين أول أربعة وعشرين من المدافعين العسكريين عن الشعب (tribunes)[1]، بحيث يوضع ستة على كل فيلق، وكانت وظيفته مشابهة لوظيفة العقيد لدينا، أو قادة الكتائب. وبمجرد القيام بذلك، يقومون باستدعاء كل الرجال القادرين على حمل السلاح معا، ووضع المدافعين عن الشعب في كل فيلق على حدة ثم يقوم الضباط بعمل قرعة لكي يحددوا أي فصيل أو جماعة يجب أن يبدأ اختيارهم بها ثم يقوموا باختيار أفضل أربعة رجال من الفصيل الذي تقع عليه القرعة أحدهم اختاره المدافعون من الفيلق الأول وآخر من الفيلق الثاني والذي يليه من الفيلق الثالث وآخر المشاركين من الفيلق الرابع، بعد ذلك، يقومون باختيار

1- المنبر أو المدافع عن الأمة ومصالحها في الإمبراطورية الرومانية – المترجم إلى العربية

أربعة آخرين، الأول منهم يختاره مدافعون الفيلق الثاني، والثاني يختاره مدافعون الفيلق الثالث، والثالث من الرابع، والرابع من الأول. وعندما يتم الانتهاء من هؤلاء، يتم إخراج أربعة آخرين، كان يتم أخذ أولهم من الفيلق الثالث، وأخذ ثانيهم من الرابع، ورابعهم من الثاني.

وبالتالي يكون هناك تباين في اختياراتهم من جميع الفصائل والجماعات، وحتى تصبح جميع الأربعة جحافل متساوية وكاملة ويمكن استخدام هذه القوات في الخدمة الفورية، كما قلت من قبل، حيث إنها تتألف من رجال شارك الكثير منهم في الحروب، وتمرن الباقي بشكل جيد ومنتظم في الوطن، فإن هذا الاختيار سيعتمد جزئيا على الخبرة، وجزئيا على التخمين والحدس. ولكن عندما يكون الرجال بلا خبرة على الإطلاق وغير مجربين وواجب عليهم الممارسة والانضباط من البداية ليصبحوا مناسبين للخدمة في المستقبل فيجب أن يتم الاختيار عن طريق الحدس فقط، ويمكن أيضًا أن يتم بناء على السن والمظهر فقط.

كوزيمو: يبدو ما قلته صحيحا حقا، ولكن قبل المتابعة أكثر من ذلك، أتمنى منك إرضاء فضولي حول نقطة كنت قد ذكَّرتني بها بالقول إنه عندما يكون لديك قوات لم يسبق لها الخدمة العسكرية، يجب اختيارهم عن طريق الحدس. لقد سمعت أن خطأ كبيرا قد حدث مع الميليشيات الخاصة بنا في كثير من النواحي خاصة فيما يتعلق بعددهم. يرى البعض أنه لو كان عددها أقل قد يتم الاختيار بشكل أفضل لأنها لن تتسبب في الكثير من الاضطرابات والمضايقات للبلد ولا للرجال أنفسهم، وربما يتم زيادة أجرهم مما سيجعلهم أكثر سعادة واستعدادا لطاعة أوامرك. لذا أود أن أعرف، إذا ما كنت تفضل أن يكون لديك عددٌ صغير أم كبير من هؤلاء الرجال، وكيف لك أن تقوم باختيارهم في كلتا الحالتين.

فابريزيو: دون أدنى شك، إنه أفضل بكثير أن يكون لديك عدد كبير منهم بدلا من عدد صغير، ففي الواقع، إن لم يكن هناك عدد هائل منهم، فمن المستحيل أن يكون لديك ميليشيا جيدة. أما بالنسبة للاعتراضات التي تقول إن البعض قد قدمها، فسأظهر لك عدم جدواها في الحال. في المقام الأول، صغر العدد لا يصنع أبدا جنودا أفضل في بلد مليئة بالرجال، كما في توسكانا (Tuscany)، على سبيل المثال.

إن كنت ستختارهم عن طريق الخبرة، فستجد عددهم قليلا في تلك البلد التي ليست لديها أية تجربة لأنها لم تخض الكثير من المعارك، ومن ضمن هذا العدد القليل، لا يكاد يوجد منهم من يكون قد قدم أي مؤشر على استحقاقه بأن يكون مفضلا لدى الآخرين، ولذلك كل من يرغب في تجميع رجال من هذه البلدة لا يمكنه الاعتماد على الخبرة، ولكن يجب أن يعتمد كليا على الحدس. وبما أن هذا هو الحال، إذن، أود أن أعرف ما أنا على وشك القيام به، وما القواعد التي يجب أن استخدمها لاختيار عدد معين، إذا تم إحضار عشرين من الرجال من ذوي المظهر الحسن أمامي، بالتأكيد يجب على الجميع الاعتراف بأنه سيكون من الأفضل تسليح وتدريب جميع هؤلاء الرجال نظرا لأنه سيكون من المستحيل الحكم عليهم من الوهلة الأولى وكل منهم يحاول أن يثبت أنه الأفضل، وتقوم أنت بتأجيل اختيارك حتى يصبح لديهم جميعا نفس التدريبات والتوجيهات، ومن ثم فإنك ستدرك بسهولة من منهم الأكثر نشاطا وحماسا ومن المرجح أن يقدم المزيد من الخدمات. على العموم، إن العبرة من اختيار العدد القليل إنه ربما سيكون أفضل هو أمر بسيط وليس له أساس من الصحة.

أما بالنسبة أن العدد الكبير مزعج وغير مريح للبلد وللناس أنفسهم، فأرد بأنه لا يوجد أي عدد من الرجال سواء كان صغيرًا أو كبيرًا يمكنه أن يكون مزعِجا وغير مريح لأي أحد في حد ذاته، لأنه لا يوجد أحد تم منعه من مواصلة نشاطه المعتاد أو

متابعة أموره الضرورية لمجرد كونه فردًا من الميليشيا، حيث إن المليشيا تلزمهم فقط بالمقابلة وإجراء المناورات في العطلات فقط، لا يمكن أن يصبح هذا مزعجا للدولة أو لأي من الرجال، على العكس من ذلك، سيعتبر ترفيهًا لكل منهم، لأنه بدلا من الخمول في تلك الأوقات، أو ربما قضاء وقت فراغهم في شيء أسوأ من الخمول، سيقوم الناس بحضور هذه التدريبات بكل سعادة، وسيحصل الآخرون على متعة كبيرة من مشاهدة مثل هذا المشهد.

في الرد على الاعتراض بأن العدد القليل يتم دفع رواتب له بشكل أفضل، وبالتالي سيجعله هذا أكثر رضا وطاعة للأوامر، لنضع في اعتبارنا أنه لا يوجد عدد من المليشيات مهما كان صغيرا، يمكن أن يتم الدفع لـ بشكل مستمر ليجعله دائما راضيا عن ذلك. دعونا نفترض، على سبيل المثال، أن ميليشيا تتكون من 5000 من الرجال، الذين لكي يتم الدفع لهم بشكل يرضيهم سوف يصل إلى ما لا يقل عن 10000 دوقية شهريًّا. أولا 5000 من المشاة ليس بعدد كاف لتعويض جيش، وثانيا فإن 10000 دوقية شهريا عبئا لا يُطاق على معظم الدول، ويظل غير كاف لجعل جنودهم سعداء ومطيعين.

لذلك، على الرغم من أن تلك النفقات ستكون باهظة، سيصبح جيشكم مستهانًا به لدرجة أنه لن يكون قادرا على الدفاع عن الممتلكات الخاصة بكم، ناهيك عن القدرة على الهجوم. وإذا قمت بزيادة الأجر أو العدد، فسيصبح حتى أكثر صعوبة أن تدفع لهم، وكذلك إن قمت بتقليص الأجور، فسوف يصبحون غير راضين وعديمي الفائدة. أولئك الذين يتحدثون عن إنشاء ميليشيا والدفع لهم في حين أنهم ليس لديهم شيء يفعلونه لهم، فهم إما يتحدثون عن أشياء مستحيلة أو إنها لن تحقق أي غرض، ولكني أعترف أنه من الضروري للغاية أن يتم الدفع لهم وبصورة جيدة

أيضًا عندما يتم استدعاؤهم لخدمة بلدهم. ومع ذلك، إن تسبب هذا التنظيم بأي اضطراب في وقت السلم، وهذا نادر ما يحدث، فبالطبع هذا لا يمكن مقارنته بالحد الكبير من الراحة والمميزات الناتجة عنه، حيث إنه لا يمكن للناس العيش في أمن بدون وجود ميلشيا دائمة وجيدة التنظيم.

أختتم إذا بأن أولئك الذين يرجحون إبقاء عدد صغير في المليشيا من أجل أن يتمكنوا من الدفع لهم بشكل أفضل، أو لأي سبب من الأسباب المزعومة، فهم مخطئون في سياستهم، حيث إن (وهذا لا يزال يؤكد صحة رأيي) أي عدد مهما كان كبيرًا، سيحدث له باستمرار إقصاءٌ كبير على يديك بسبب الكثير من الحوادث التي لا يمكن تجنبها، ولذلك فإن الصغيرة سوف تتضاءل بسرعة وتتحول إلى لا شيء. إلى جانب ذلك، يمكنك إن كانت المليشيا كبيرة، إذا أتيحت الفرصة، توظيف قوة كبيرة في آن واحد، وهذه القوة الكبيرة ستكون دائما أكثر فاعلية من الصغيرة وتقوم بتعزيز سمعتك وشهرتك أكثر من ذلك بكثير. وأود أن أضيف، أنه إن قمت بتجميع عدد قليل من رجال المليشيات في بلد كبير وأردت أن تقوم بتوزيعهم جيدا، فإنهم بالطبع سيصبحون جميعا على مسافة كبيرة من بعضهم لدرجة أنه لن يمكن تجميعهم في الأوقات والأماكن المحددة لهذا الغرض دون إحداث مشاكل كبيرة واضطرابات، وإن لم يقوموا بالمناورات اللازمة، فلن يصبحوا جيدين على الإطلاق، كما سأظهر لكم في الوقت المناسب.

كوزيمو: لا بد أن أعترف، لقد فندت تماما الاعتراضات التي قدمتها لك، ولكنى لدى مشكلة أخرى أود حلها. يعتقد الأشخاص الذين ذكرتهم من قبل أن الأعداد الكبيرة من الرجال المسلحين يجب أن يتسببوا بطبيعة الحال في الكثير من الارتباك والاضطراب، والشغب المتكرر في البلاد.

فابريزيو: أرجو أن أكون قادرا على إقناعكم بأن تلك الفكرة ليس لها أساس كما فعلت مع الفكرة التي تمت مناقشتها بالفعل. أي اضطراب يمكن لمليشيا أن تُحدثه، فإما أن تحدثه بين أنفسها أو بين الآخرين، لكن يمكن منع هذا بسهولة إن لم يتم إنشاء وتنظيم هذه المؤسسة نفسها بشكل سيئ يتسبب في نهاية مؤسستها. لأنه لو قد تم إنشاؤها بشكل صحيح لكانت قد أوقفت تلك الاضطرابات بشكل طبيعي بدلا من إثارتها بين هيئاتها، لأنهم تحت قيادة رؤسائهم، إن كان سكان البلاد حيث تقوم بتجميع الميلشيا، إما أنهم لم يعتادوا على خوض الكثير من الحروب لدرجة أنهم غير مسلحين، أو متحدين جدًّا فيما بينهم لدرجة أنه ليس لديهم طوائف أو انقسامات، فإن هذا سيحميهم من الخوف من القوات الأجنبية، ولكنه لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يسهم في تقسيمهم.

بالنسبة للرجال المنضبطين جيدا، فسوف يكونون دائما حذِرين بشأن انتهاك القانون عندما يكون لديهم أسلحة في أيديهم، كذلك إذا لم يكن لديهم، وسوف يستمرون في ذلك إن لم يقم قادتهم بإفسادهم. كما سأريك في الوقت الحاضر، إنها مسألة لن يكون من الصعب منعها. ولكن إن كانت الناس تميل إلى الحرب ومنقسمين إلى طوائف، فيمكن أن يقوم مثل هذا القانون بجمع شملهم، لأنه بالرغم من أن لديهم أسلحة وقادة خاصة بهم، فإن أسلحتهم لن يكون لديها أي عمل في بلدهم، ولا تعمل قادتهم إلا على الانقسامات والعداوات، بدلا من تعزيز الوحدة والطمأنينة.

في حين أن هذا القانون قام بتزويدهم بالأسلحة التي تخدم بلدهم وبالقادة لقمع خلافاتهم. حيث إنه عندما يشعر أي رجل في بلد منقسمة بالضرر أو الإهانة، فإنه يقوم في الحال بالتقدم إلى قائد جماعته من أجل الحفاظ على مصالحه وسمعته، وهذا

القائد مُلزم بمساعدة هذا الرجل في الأخذ بالثأر، بدلا من الحث على نبذ العنف. ولكن القائد الذي عينته الهيئة العامة يتصرف بطريقة مختلفة تماما. وذلك من خلال إنشاء ميليشيا منظمة جيدا، وإخماد الانقسامات، واستعادة السلام لدرجة أن بعض الرجال المكتئبين وفاقدي الروح المعنوية الغير مسلحين، ولكنهم متحدين يستمرون في وحدتهم ويصبحون مستعدين للحرب وشجعانا، والآخرون الذين كانوا شجعانا ومسلحين، ولكنهم تحولوا في السابق إلى الفصائل والخلافات توحدوا وانقلبوا ضد أعداء بلدهم مستخدمين تلك الأسلحة والشجاعة التي طالما استخدموها ضد بعضهم البعض.

ولكن لمنع المليشيا من إلحاق الضرر بالآخرين، أو الانقلاب على القوانين وحريات بلدهم (والذي يمكنه فقط أن يحدث نتيجة لسلطة وأخطاء القادة)، فمن الضروري الحرص على أن لا يمتلك القادة الكثير من السلطة على رجالهم.

والآن،هناك نوعان من السلطة إما طبيعية أو عرضية، للوقاية من النوع الأول، ينبغي الاحتياط بأن لا يكون للضابط أية قيادة على الرجال الذين تم جمعهم من المنطقة التي وُلدوا فيها، ولكن يقوم بقيادة أي رجال تم اختيارهم من أماكن ليس له اهتمام أو صلات بها.

للوقاية من الآخر، في معظم الأحيان يمكن الوقاية منه عن طريق استبدال الضباط وإرسالهم للخدمة في أماكن مختلفة كل عام، لأن استمرار تلقى الأوامر من نفس الأشخاص لفترة طويلة قد ينتج عنه اتحاد صارم جدًّا بينهم، والذي يمكن تحويله بسهولة إلى انحياز ضد الحكومة.

تظهر بوضوح مدى فائدة هذه الطريقة للذين قاموا باتباعها، وكيف هي مميتة وقاتلة لمن أهملوها في تواريخ الإمبراطوريات الآشورية والرومانية، حيث نجد أن الأولى استمرت لأكثر من ألف سنة بدون أية فتنة أو حرب أهلية، وكان السبب في

كل هذا يرجع إلى عُرف وتقليد استخدمته الحكومة بتغيير قادة جيوشهم كل عام وإرسالهم إلى محافظات مختلفة.

على العكس من ذلك، بعد يوليوس قيصر، أدى إغفال هذا العرف في الإمبراطورية الرومانية إلى الحروب الأهلية بين قادة الجيوش المختلفة وجميع المؤامرات التي قام بها هؤلاء القادة ضد الأباطرة. ولكن إذا كان أي من الأباطرة السابقين، وخاصة ذوى السمعة مثل هادريان، وماركوس أوريليوس، وسيفيروس ((Hadrian, Marcus Aurelius, Severus، أو آخرين مثلهم حذرين بما فيه الكفاية للقيام بتغيير جنرالاتهم في أوقات معينة، لكانت تمتعت هذه الإمبراطورية بالمزيد من الهدوء ولعاشت لفترة أطول، وفى ذلك الحين، لم يمكن لهؤلاء القادة الحصول على فرصة للتمرد؛ ولعاش الأباطرة في أمان أكثر، وامتلكوا المزيد من السلطة، وبالتالي، لكانوا تصرفوا بحكمة أكثر في اختيار خليفتهم. ولكن، سواء كان هذا ناتجا عن جهل البشر أو الإهمال، أو الخمول وأنا لا أعرف، فمن المؤكد أن العادات السيئة نادرا ما تتغير، بغض النظر على من الذي يقوم بالقيادة أو أي مثال يمكن استخدامه لتشويه سمعة هذه العادات أو ترجيح العادات المضادة لها.

كوزيمو: أخشَى أنني بطرح الأسئلة غير ذات الصلة بالموضوع أكون قد قمت بكسر النظام الذي اقترحته لنفسك وأخذتك بعيدا عن موضوعك. فها نحن انتقلنا من الحديث عن التجنيد إلى موضوع آخر، لذلك إن لم أكن قد طلبت معذرتك في إعطائي بعض الحرية عندما بدأنا هذا الحوار، فأنا ملزم بطلب العفو منك عن ذلك.

فابريزيو: لا حاجة لك إلى الاعتذار يا سيدي لأن ما قيل ضروري لإظهار طبيعة الميليشيا، ولأن قانون الميليشيا هذا أدانه من قبل الكثيرون، فلقد تعهدت على نفسي وأخذت على عاتقي الدفاع عنه وتفسير ذلك، راغبا في نفس الوقت أن أشير إلى

أفضل الطرق لتشكيل واحدة. ولكن قبل الدخول في جزئيات أخرى، يجب أن أقول شيئا ما يتعلق باختيار سلاح الفرسان. اعتاد القدماء على اختيار هذه القوات من بين أغنى المواطنين مع المراعاة الواجبة لأعمارهم ومؤهلاتهم الأخرى، ومع ذلك، لم يكن يوجد منهم سوى 300 في الفيلق، بحيث لم يمتلك الرومان أكثر من 600 من الخيالة في الجيش القنصلي.

كوزيمو: هل كنت تقوم أيضًا بتدريب تلك القوات داخل الوطن وتعليمهم الانضباط من أجل توظيفهم وتشغيلهم عند الحاجة؟

فابريزيو: بالتأكيد، فإنه من الضروري جدًّا أن تفعل ذلك إذا أردت امتلاك سلاح فرسان قوي خاص بك، بدلا من الذين يقومون بالتجارة عن طريق تأجير أنفسهم لأى شخص يريدهم.

كوزيمو: وبأي طريقة سوف تختارهم؟

فابريزيو: كنت سأقلد الرومان، وكنت سأختار الأكثر ثراء من بين الناس، وكنت سأمنحهم رواتبهم كما نفعل في الوقت الحاضر، وكنت سأقوم بتسليحهم وتدريبهم بشكل جيد.

كوزيمو: هل سيكون من المناسب إعطاؤهم أية أجور؟

فابريزيو: بالتأكيد، ولكن فقط بقدر ما يكفى للمحافظة على خيولهم، فإن كنت ستعطيهم أكثر من ذلك، فإنه سيكون عبئا على رعاياك لدرجة أنهم سيئنون بالشكوى.

كوزيمو: ما العدد الذي سيكون لديك؟ وكيف كنت ستقوم بتسليحهم؟

فابريزيو: هذا موضوع آخر، وسأعطيك الإجابة على سؤالك بعد أن أكون قد قلت لك كيف يجب على قوات المشاة أن تكون مسلحة ومستعدة للحرب.



ملابس الحرب الرومانية في كل فروع الجيش

الكتاب الثاني

مناقشة التسليح المناسب والتنظيم وتدريب الميلشيا

فابريزيو: الآن وبعد أن تزودنا بالرجال، فقد حان الوقت لتسليحهم لذلك فأنا أعتقد أنه يجب علينا أن نرى الأسلحة التي كان القدماء يستخدمونها بصورة رئيسية، ومن ثم فسوف نختار الأفضل من بينها، وأريد أن أخبرك بأن الرومان قد قسموا جنود المشاة إلى قسمين منهم من يحمل الأسلحة الخفيفة ومنهم من يحمل الأسلحة الثقيلة وذلك التقسيم طبقا للكتائب المسلحة، وكان يُطلق على الأسلحة الخفيفة اسم المشاة (VELITES) (فيليتس) وتحت هذا الاسم كان يندرج كل أولئك الذين كانوا يستخدمون حبال الرفع والأقواس والسهام للدفاع عن أنفسهم والجزء الأكبر منهم كان يرتدي الخوذات فوق الرؤوس ونوع من التروس يرتدونه في ذراعهم الأيسر، وكانوا يقومون بالقتال في أماكن بعيدة بمسافة كافية من جنود المشاة المختصين بالأسلحة الثقيلة، والذين كانوا يرتدون خوذات تتدلى من على أكتافهم، ودروع وملابس حربية تغطي أجسادهم وأفخاذهم وكذلك قفازات تغطي الذراعين والساقين ويرتدي الجندي منهم درعا طوله حوالي أربعة أقدام طوليا واثنين عرضيا مطليا بطبقة من الحديد على حافته حتى يحميه من ضربات الأسلحة الحادة وبطبقة أخرى من الحديد عند القاع لحمايتها من التلف بفعل الاحتكاك المتواصل بالأرض والمتكرر، وأسلحتهم الهجومية كانت تتكون من السيف والذي يبلغ طوله ياردة واحدة ويوضع هذا السيف على الجانب الأيسر أما الجانب الأيمن فيوضع فيه خنجر وفي أيديهم كانوا يحملون رمحا يسمى (بيلوم PILUM) والذي كانوا يقومون بإلقائه على الأعداء في بداية المُهمة، وبمثل هذه الأسلحة قام الرومان بغزو العالم.

ويقول بعض الكتاب القدماء أنهم بجانب هذه الأسلحة كان لديهم رمح صغير (SPONTOON) أو نصف رمح، ولكني لا أستطيع أن أتخيل كيف يمكنهم أن يستخدموا أسلحة مزعجة مثل هذه في حين أنهم كانوا يحملون دروعا وهذه الدروع تمنعهم من استخدام أيديهم الاثنين في نفس الوقت، ويمكن أن يكون هذا غير عملي أو ثقيلًا جدًّا على الاستخدام باليد الواحدة، بجانب ذلك فإن مثل هذه الأسلحة يمكن أن تكون غير مُجدية، ماعدا في الخطوط الأمامية للجيش عندما يكون هناك مجال لاستخدامها وهذا الشيء يمكن أن يكون مستحيلا في الخطوط الأخرى كما سأوضح لك، إنها يجب وضعها قريبة من بعضها البعض وتلك هي الطريقة المثلى لتكوين الجيش، فبالرغم من أنها تجلب بعض المضايقات فإن هذه الأسلحة التي يبلغ طولها أربع أقدام لا يمكن استخدامها في القتال المتلاحم لأنه إذا كان لديك أحد هذه الرماح وكنت مُجبرا على استخدام كلتا اليدين مع افتراض أن درعك ليس في متناولك، فإنك لن تستطيع مهاجمة العدو الذي يهاجمك من الخلف أو المؤخرة، ولكن إذا قمت باستخدام يد واحدة فقط من أجل الاستفادة من درعك في اليد الأخرى فيجب عليك الإمساك به جيدًا إذا كنت في منتصف الكتيبة ومن ثم سيكون جزء كبير منه خلفك وبالتالي من يقفون في الصف الخلفي سوف يمنعونك من استخدامه.

ولكي أقوم بإقناعك بعد ذلك بأن الرومان لم يكن لديهم أي من هذه الرماح أو إذا كان لديهم من هذه الأسلحة فإنها كانت بكميات قليلة من حيث الاستخدام وفائدتها بسيطة، ويجب عليك أن تقرأ مخطوطات (ليفي LIVY) عن أكثر المعارك الرومانية شهرة في تاريخ حروب الرومان وحينها سوف تجد أنه نادر جدًّا ما يذكر أحد أي شيء عن الرماح ولكنه يخبرنا بأنه عندما يلقون سهامهم فإنهم كانوا ينقضون على العدو بسيوفهم وحينها لاشيء أفعله بهذه الرماح، ولكن ثِقْ بأن السيف والترس وغيرهما من الأسلحة قد استخدمها الرومان.

إن تسليح الإغريق (GREEKS) لم يكن بهذا الثقل كما كان عند الرومان ولكنهم فيما يتعلق بالأسلحة الهجومية فإنهم كانوا يعتمدون بصورة أساسية على الرماح مقارنة بالسيوف وخصوصا الفيالق المقدونية (MACEDONIAN PHALANX) والتي كان يتم تسليحها برماح يصل طولها إلى أكثر من عشرين قدما وكانوا يطلقون عليها اسم ساريسى (SARISSAE) والتي كانوا يقصمون بها العدو وينقضون عليه، وبها أيضًا كانوا يحافظون على حسن النظام في صفوفهم وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المؤلفين يقولون بأنهم أيضًا كان لديهم دروع وللأسباب المذكورة أعلاه فكيف يمكن استخدام الدروع مع الرماح أوالحراب، بجانب ذلك فإنه أثناء المعركة التي دارت بين (أميليوس بولوس AEMILIUS PAULLUS) ضد (بيرسيوس PERSEUS) ملك مقدونيا فإني لا أتذكر أي شيء مصنوع من الدروع ولكن فقط ساريسى والتي كانت مزعجة للغاية للرومان، لذلك فإني أتخيل أن الفيالق المقدونية كانت تشبه الكتائب السويسرية التي توجد الآن والتي تكمن قوتها في رماحها ذات الأسنان المدببة.

أما بالنسبة للمشاة الرومان فإنهم بجانب دروعهم فإنه كان يوجد ريش وعلامات أعلى الخوذات والتي تمنح إشارات مألوفة لزملائهم وتقوم بدورها في بث الرعب في نفوس أعدائهم.

كما أن الدروع الخاصة بسلاح الفرسان كانت تتكون أولا من درع مستدير وخوذة وباقي أجسامهم لم تكن مغطاة وأسلحتهم كانت السيف ورمحًا طويلًا رفيعًا ذا رأس حديديٍّ ولذلك فهم في حاجة إلى الدرع وحربة في نفس الوقت، وكانوا يستخدمونها بصورة صحيحة، ولأن أجسامهم كانت مكشوفة إلى حد كبير فإنهم كانوا معرضين بشكل كبير للعدو، ولكنهم في وقت لاحق تم تسليحهم مثل المشاة ماعدا أنهم ظلوا

يحملون درعا صغيرا مربعا ورمحا سميكا مدببا من كلا الطرفين بحيث إذا كُسر أحد الأطراف يكون بمقدورهم استخدام الطرف الآخر.

وبمثل هذه الأسلحة وهذه الأنواع من الدروع التي كان يقتنيها الفرسان والمشاة استطاع الرومان أن يقوموا بإخضاع العالم أجمع، ومن المنطقي والمعقول نتيجة لنجاحهم الكبير أن نعتقد أنهم كانوا أفضل الجيوش الموجودة في العالم على الإطلاق، حتى ليفى نفسه عندما قارن قوتهم مع قوة العديد من الجيوش غالبا ما كان يخبرنا عن القيم والفضائل والأسلحة والنظام والانضباط التي كانت الهدف الأسمى للجيش الروماني.

ولهذا السبب فقد اخترت الحديث بصورة خاصة عن الجيوش والدروع الخاصة بالغزاة أكثر من المهزومين.

وينبغي على الآن أن أتحدث عن بعض الأشياء التي مازالت مُستخدمة في الوقت الحالي حيث إن المشاة يغطون أجسامهم بما يسمى درع الصدر الحديدي والذي يتدلى إلى أسفل الخصر ولديهم رماح يصل طولها ثمانية أقدام بالإضافة إلى قطعة من الحديد مطوية إلى جانبهم. وهذه هي طريقتهم الشائعة في تسليح أنفسهم، والقليل منهم فقط من يرتدي ظهورًا مصنوعة من الحديد ودرعًا للساق أو قفازات ولا يرتدى أحد منهم خوذة، وتلك القلة تحمل أسلحة نارية أو الهركوبة بدلا من الحراب ذات الست أقدام طولا والأسنة المدببة الحادة، وحاملو الأسلحة النارية هؤلاء بدلا من الرماة الذين استخدمهم القدماء.

هذه الأسلحة وهذا النوع من الدروع اخترعها الألمان، ولا تزال تُستخدم وخصوصا بواسطة السويسريين، وبما أنهم كانوا فقراءَ وفي نفس الوقت كانوا حريصين على الدفاع عن حرياتهم ضد الأمراء الألمان الطامحين والذين كانوا أغنياء

ويستطيعون الحفاظ على سلاح الفرسان، الأمر الذي لم يستطع السويسريون فعله بسبب فقرهم، حيث كان السويسريون مضطرين لمجابهة العدو سيرا على الأقدام، وبالتالي فقد حافظوا على الطريقة القديمة في القتال من أجل إحراز تقدم ضد غضب فرسان الأعداء المنصب عليهم.

مازالت هذه الضرورة تجبرهم على استخدام الرمح، سلاح ليس فقط يمكنهم من صد سلاح الفرسان، ولكن أيضًا في أغلب الأحيان لكسرهم وإلحاق الهزيمة بهم، بدون المبادئ التي تبناها القدماء،يقول أكبر خبراء الشؤون العسكرية أن قوات المشاة لها فائدة قليلة أو لا شيء. وفقا لذلك وضع الألمان كثير من الثقة في هذا النوع من المشاة بأنهم سيهاجمون أي عدد من الفرسان بحوالي 15000 أو 20000 منهم. لدينا مؤخرا العديد من الأمثلة على ذلك وهذا هو الرأي العام الذي يميز هذه القواعد، فمن العديد من الخدمات الرائعة التى قاموا بها، منذ حملة (تشارلز الثامن Charles VII) إلى إيطاليا، أن اعتمدت جميع الدول الأخرى في أوروبا على نفس الأسلحة وطريقة القتال - والأسبان على وجه الخصوص حصلوا على سمعة كبيرة جدًّا منها.

كوزيمو: أية طريقة تسليح توصي بها، الألمانية أم الرومانية القديمة؟

فابريزيو: الرومانية، دون أدنى شك، وسأظهر لك مزايا وعيوب كليهما. قوات المشاة الألمانية ليست فقط قادرة على تحمل صدمة الفرسان،و لكن على كسرها، فهم أسرع في تنظيم وتشكيل أنفسهم، لأنهم ليسوا مثقلين بالأسلحة، وعلى الجانب الآخر ولأن تسليحهم خفيف جدًّا فهم معرضون لكل نوع من أنواع الجروح، عندما يقاتلون من على مسافة وعندما يكونوا ملتحمين، لا توجد فائدة كبيرة منهم حين يلتقون مع قوى المقاومة في اقتحام بلدة، أو حتى في ميدان المعركة. ولكن الرومانية

مثل الألمانية، عرفت قوات المشاة كيفية التعامل مع الفرسان كما كانت دروعهم قوية لدرجة أنهم لم يكونوا عُرضة للإصابة في كل من القتال القريب أو البعيد، كانوا يقومون بالهجوم ويواصلون الهجوم بسبب دروعهم، كما كانوا يسببون ضررا أكبر بسيوفهم عندما يقاتلون العدو يدا ليد أكثر مما كان يستطيع الألمان برماحهم، وعلى الرغم من أن الألمان أيضًا كان لديهم سيوف، لم يستطيعوا فعل الكثير بها لأنهم ليس لديهم دروع، ولكن الرومان كانوا مسلحين جيدًّا وآمنين تحت مأوى من دروعهم التي كانت مفيدة للغاية في اقتحام الثغرات. وبالتالي فإنهم لم يواجهوا أية صعوبة إلا من وزن دروعهم، ولكنهم استغلوها بأفضل ما يمكن من خلال تعويد أنفسهم على تحمل أعباء ثقيلة وتحمل كل الأنواع الأخرى من المشقة والتعب، الأمر الذي جعل هذه المسألة سهلة ومألوفة بالنسبة لهم.

يجب أيضًا أن تأخذ بعين الاعتبار أن المشاة غالبا ما يُرغمون على مقاتلة قوات المشاة الأخرى والفرسان معا، وأنه إذا لم يتمكنوا من الحفاظ على الاصطدام بالفرسان، أو حتى إذا كان بوسعهم، ولكنهم كانوا خائفين من مواجهة أفراد أخرى من المشاة أفضل تسليحا وانضباطا منهم. إذن، إذا كنت ستقارن جنود المشاة الألمان مع الرومان، فستجد أن الألمان مناسبون جدًّا لمواجهة الفرسان، كما قلت من قبل، ولكن بالتأكيد سوف يكونون في موقف ضعيف إذا قاتلوا قوى المشاة الأخرى حتى ولو لم تكن أفضل منهم إن كانوا مسلحين ومنظمين جيدًّا مثل الرومان، وإذا كان لواحدة الأفضلية على الأخرى فهى للرومان لأن الألمان مناسبون للتعامل مع سلاح الفرسان، ولكن الرومان عرفوا كيفية التعامل مع كل من الفرسان والمشاة.

كوزيمو: يجب أن أعتبر هذا تأييد إذا، وعلى سبيل التوضيح، أرجو أن تعطيني مثالًا خاصًّا لهذا.

فابريزيو: ستجد الكثير في تاريخنا، حيث تعرضت قوات المشاة الرومانية للهزيمة مرات لا حصر لها من الفرسان، ولكن لم تُهزم من قبل أي قوة مشاه أخرى أبدا ولو حتى بسبب نقص بالأسلحة أو أفضلية للعدو. لأنه حتى لو كان لديهم عجز في الأسلحة أو سلح الآخرون أنفسهم بطريقة أفضل لم يكن من الممكن للرومان أن يقوموا بمثل هذه الغزوات والفتوحات الهائلة دون تحديد وفرض طريقتهم الخاصة وتسليح أنفسهم بنفس الطريقة أو أفضل، ولكن نظرا لأنهم لم يهزموا بهذه الطريقة، ربما نستخلص إلى حد ما أنهم لم يجدوا أي أشخاص تفوقوا عليهم بهذا الصدد.

ولكن مثل هذا لا يمكن قوله عن المشاة الألمانية، لأنهم دائما ما تمت هزيمتهم عند التحامهم مع مشاة ثابتين وتمت قيادتهم بشكل جيد مثلهم - يجب أن يكون هذا نتيجة لأفضلية أسلحة العدو عليهم. (فليبو فيسكونتى Filippo Visconti) دوق (ميلانو Milan)، تم غزوه من قبل جيش من 18000 سويسرى، فأرسل لهم الكونت (كارمنولا Carmagnola)، الذي كان في ذلك الوقت قائدا لقواته. ولكن لم يكن لدى كارمنولا أكثر من 6000 من سلاح الفرسان ومجموعة صغيرة من المشاة في جيشه، عندما جاء للقتال معهم، هُزم على الفور مع خسارة كبيرة. ومع ذلك، لأنه كان جنديا متمكنا، رأى الأفضلية التي كانت لدى العدو تعتمد على قوة الفرسان، لذلك أنشأ جيشا آخر وذهب للبحث عن الجيش السويسري للمرة الثانية، ولكن عندما اقترب منهم، أمر كل رجاله المسلحين بالترجل والقتال سيرا على الأقدام. فعلوا هذا بنجاح كبير حيث قاموا بقتل 15000 من العدو، ولم يجد البقية أي إمكانية للهروب فألقوا أسلحتهم واستسلموا.

(كوزيمو) . كيف يمكن تبرير هذا؟

فابريزيو: أخبرتك منذ قليل؛ ولكن حيث يبدو أنك إما نسيت أو لم تفهم

ما قلته، فسأكرره: المشاة الألمانية، كما قلت من قبل، عندما تم تزويدهم بدرع دفاعي واستخدام السيف والرمح لأسلحتها الهجومية ولكن بلا مبالاة، وأتوا لقتال عدو مسلح جيدًّا بجميع النقاط -كما كانوا الرجال المسلحة الذين قام كارمنولا بترجلهم- تم التعامل معهم بسهولة، حيث لم يكن لدى العدو أي شيء يقوم به سوى تلقى رماحهم في درعه والإسراع برفع السيف باليد. بعد هذا انتهى الخطر بصورة رئيسية، حيث إنْ رماح الألمان كانت طويلة جدًّا بحيث لم يستطيعوا الاستفادة منها في القتال القريب، وكذلك سيوفهم لن تفيدهم كثيرا، حيث إنهم أنفسهم كان لديهم القليل من الدروع أو ليس لديهم وهم يتقاتلون مع أعداء مغطاة من الرأس للقدم بالدروع. وبالتالي، كل من يضع في الاعتبار مزايا وعيوب كل جانب سوف يرى أن هؤلاء المسلحين بشكل سيئ ليس لديهم سبيل انتصاف أو علاج ضد عدو مدرع بالكامل عندما ترك وطنه وتكبد عناء أول هجوم للرماح. لأنه عندما يعقد جيشان النية للقتال ويتقدم أحدهما على الأخر، فإنه يجب أن يقتربوا من بعضهم البعض في الحال، رغم أن بعض رجال الصفوف الأولى بأحد الجانبين إما قُتلوا أو تم الإطاحة بهم من قبل رماح الجانب الأخر، فسيتبقى ما يكفى لتحمل اليوم. وبالتالي ظهر كارمنولا وكأنه فقد القليل أو لم يفقد أحدًا من جانبه وهكذا استطاع ذبح العديد من السويسريين.

كوزيمو: يجب اعتبار أن قوات كارم نولا على الرغم من كونهم على الأقدام، كانوا رجالًا مسلحين وتغطيهم الدروع، وبالتالي، تمكنوا من فعل ما قاموا به. لذلك يجب أن أفكر إنه سيكون جيدًّا تسليح المشاة بنفس الطريقة.

فابريزيو: إن كنت تتذكر ما قلته بشأن دروع المشاة الرومانية المُستخدمة، سيكون رأيك مختلفًا، الرجال الذين لديهم خوذات تحمى رؤوسهم، أجسامهم محمية بالدروع ودروع الصدر، وأرجلهم وأذرعهم مغطاة بدروع الساق والقفازات أكثر قدرة على

الدفاع عن أنفسهم ضد الرماح والاندفاع عليهم من الرجال المسلحين السائرين على الأقدام. وسأضرب لك مثالا عصريا أو اثنين. تم نقل مجموعة من المشاة الأسبان من جزيرة (Sicily) صقلية إلى مملكة (نابولي Naples) للتخفيف عن (Gonzalo de Cordoba) جونزالو دى كوردوبا، الذي كان محاصرا في (Barletta) بارليتا عن طريق الفرنسيي (MonsieurdAubigny المسيو دى أوبينى)، وقطع المشاة الأسبان مسيرتهم مع بعض الرجال المسلحين وحوالي 4000 من المشاة السويسريين. عندما بدأوا القتال، ضغط السويسريون بشدة على العدو برماحهم وسرعان ما اخترقوا صفوفهم، لكن الأسبان، بحماية من ترسهم، اندفعوا بسيوفهم، وقاتلوهم بشراسة حتى إنهم ذبحوا السويسريين وحصدوا نصرا كاملا. يعرف الجميع ما العدد المشاة السويسرية الذين تم تقطيعهم إلى أشلاء في معركة رافيننا (Ravenna)، لأنه بمجرد أن اقترب المشاة الأسبان من السويسريين استخدموا سيوفهم جيدًا لدرجة أنه لم يكن ليبقى أي واحد من السويسريين على قيد الحياة لو لم يأت مجموعة من سلاح الفرسان الفرنسيين لإنقاذهم، عندئذ، ومع ذلك، انسحب الأسبان معا وقاموا بتراجع ذكى وبخسارة ضئيلة أو معدومة. ولذلك، أختتم بأن قوة المشاة الجيدة يجب أن تكون قادرة ليس فقط على الصمود أمام سلاح الفرسان، ولكن لمواجهة أي نوع آخر من المشاة بدون خوف، وهذا، كما سبق وقلت مرارا وتكرارا، يجب أن يكون بالكامل نتيجة لانضباطهم وأسلحتهم.

كوزيمو: كيف إذًا كنت ستقوم بتسليحهم؟

فابريزيو: كنت سآخذ بعضًا من الأسلحة والدروع الرومانية، وبعضًا من الألمانية، نصف رجالي سيتم تسليحهم بواحدة ونصف بالأخرى لأنه لو من بين كل 6000 من المشاة، تم تزويد 3000 منهم بالسيوف والدروع مثل الرومان، و200 بالرماح

و1000 بالأسلحة النارية مثل الألمان، سيكون كافيا لتحقيق غرضي - كما سأوضح لك حالا لأنني سأضع الرجال ذوى الرماح الخاصين بى إما بالصفوف الأولى، أو حيث اعتقد أن سلاح الفرسان للأعداء أكثر احتمالا أن يحدثوا أثرا، وكنت سأوزع الآخرين لدعم الرجال ذوى الرماح والمضي قدما عند فتح الطريق أمامهم. اعتقد أن هذه الطريقة لتسليح وإعداد قوات المشاة أفضل من أية طريقة يتم استخدامها حاليا.

كوزيمو: هذا بالنسبة للمشاة. سوف أكون سعيدا الآن لمعرفة ما إن كنت ستوصى بالطريقة القديمة أو الحديثة من تسليح الفرسان.

فابريزيو: نظرا للسروج والركبان المستخدمين بالحرب الآن وغير معروفين لدى القدماء، اعتقد أن رجال اليوم يجب أن يجلسوا بثبات أكثر على ظهور الخيول مما كانوا سابقا، وبالمثل أعتقد أن طريقتنا في التسليح أكثر أمنا وأن رجالنا المسلحين قادرون على ترك انطباعٍ أكبر من أي نوع من الفرسان كان لدى القدماء. ومع ذلك، ليس من رأيي أن نعتمد على سلاح الفرسان أكثر مما فعلوا في العصور السابقة، لأنه كما قلت من قبل، في الآونة الأخيرة شاهدناهم يتعرضون للهزيمة بشكل مخز مرات عديدة على يد المُشاة. في الواقع، يجب دائما أن تكون النتيجة سيئة عند قتالهم مشاة مسلحين ومنظمين بالطريقة المذكورة أعلاه. أحضر (Tigranes) تيجرانس ملك (Armenia) أرمينيا جيشا مكونا من 150000 من الفرسان إلى ميدان المعركة، كان العديد منهم مسلحين مثل رجالنا المسلحين وكان يُطلق عليهم (cataphracti) كاتافراكتى، ضد الجنرال الرومانى (Lucullus) لوكلوس، الذي كان جيشه يتكون من 6000 فقط من الفرسان، و25000 من المُشاة. عندما رأى (Tigranes) تيجرانس جيش العدو، قال

(إنهم يكفوا ملأ قطار سفير)[1] ومع ذلك، عندما تقاتلوا، تمت هزيمة الملك، وينسب المؤرخ الهزيمة كليا للخدمة الصغيرة التي قدمها كاتافراكتى الذين كانت وجوههم مغطاة بطريقة تجعلهم بالكاد يتمكنوا من الرؤية أما العدو الذين كانت أطرافهم مثقلة بالمدرعات الثقيلة وإذا سقط أي منهم من على خيله، بالكاد يستطيع القيام أو استخدام أسلحته مرة أخرى فقد كان الأمر أقل مضايقة بكثير.

لذا أؤكد أن مثل هذه الدول المعتمدة على سلاح الفرسان أكثر من المشاة ستكون دائما ضعيفة ومعرضة للتدمير، كما هي حال (Italy) إيطاليا في عصرنا، شاهدناها تتحول من نهاية إلى أخرى وتم نهبها من قبل الأجانب لمجرد أن أمراءها وضعوا حسابا قليلا أو معدوما للمشاة ووثقوا فقط بسلاح الفرسان. ومع ذلك، إنه من الصواب أن يكون لديك بعض الفرسان لدعم ومساعدة المشاة، ولكن من غير الصائب النظر إليهم كالقوة الرئيسية للجيش. إنهم ضروريون للغاية لمنطقة الاستطلاع، ليجوبوا الطرقات، عمل توغلات، تحويل الدمار إلى أرض العدو، تعقب الهاربين في جميع الجهات، ولإبقائها في حالة مستمرة من التوجس والرعب، وقطع قوافلهم ولكن في أرض المعركة - والتي بها بشكل رئيسي يتم تحديد مصير الأمم، ولأجلها يتم بصفة عامة تصميم الجيوش - وبما أنهم أكثر فائدة في تتبع واقتلاع العدو أكثر من أي شيء آخر، فهم بالتالي أقل شأنا بكثير من المشاة في أرض المعركة.

كوزيمو: تواجهني صعوبتان بالنسبة لهذه النقطة. في المقام الأول، يعلم الجميع أن البارثيين[2] Parthians لم يستخدموا أبدا بحروبهم أية قوة إلا قوة الفرسان، ومع ذلك، فقد تقاسموا العالم مع الرومان. ثانيا، أود منك أن تخبرني كيف يمكن تدعيم

1. كناية عن الاستهانة بصغر العدد - المترجم إلى العربية.
2. الإمبراطورية البارثية القديمة شمال شرقي إيران - المترجم إلى العربية.

وتعزيز قوة الفرسان من المشاة، وكيف وصل سلاح المشاة إلى هذه المزايا وكيف حدث هذا الضعف لسلاح الفرسان.

فابريزيو: إما أنني أخبرتك من قبل، أو قصدت ذلك وهو أنني كنت أنوى أن يقتصر ما أقول فيما يتعلق بفن الحرب على أوروبا. لذا أعتقد أنى سأعفى نفسي من شرح وتبرير أساليب وسلوك الدول الأسيوية. ومع ذلك يجب أن أعترف بملاحظتي أن انضباط البارثيين كان مختلفا تماما عن الرومان. حارب جميع البارثيين على ظهور الخيول بطريقة سائلة وغير نظامية، والتي كانت كأسلوب قتال متقلبة وغير ثابتة. الرومان، يمكن للمرء أن يقول، حاربوا بصورة رئيسية كمشاة في أسلوب دقيق ومنظم - تباين نجاحهم وفقا لطبيعة البلاد التي قاتلوا فيها. في الأماكن المغلقة حصل الرومان عموما على الأفضلية، في حين كان لدى البارثيين ميزة في السهول المفتوحة الكبيرة، وبالتأكيد كانت طبيعة البلاد التي كان عليهم الدفاع عنها مواتية جدًّا لطريقتهم في القتال، كانت مسطحة ومفتوحة، تبعد ألف ميل عن أي ساحل بحري بها عدد قليل جدًّا من الأنهار، قد يسيرون أحيانا يومين أو ثلاثة أيام دون رؤية نهر أو ببلدان قليلة وسكانها أقل، وعلى الجانب الآخر فإن الجيوش الرومانية تباطأت بسبب ثقل الأسلحة والدروع وحسن النظام الذي اتبعوه، والكثير من الإزعاج والاضطراب من قبل عدو نشيط وخفيف التسليح ومحمول على الخيول والذي كان في يوم ما بمكان ما واليوم التالي أبعد 50 ميلا. بهذه الطريقة أفاد البارثيون أنفسهم من سلاح الفرسان بكثير من النجاح حيث دمروا الجيش الذى كان بقيادة (Crassus) كراسوس وسحقوا الآخر الذي كان بقيادة (Mark Antony) مارك أنطونيو إلى أقصى درجات المحن. ولكن، كما قلت من قبل سأكتفي بحديثي عن أوروبا فيما يجب أن أقوله بشأن هذه المسائل وأقتبس الأمثلة فقط من الإغريق والرومان في العصور السابقة والألمان في الوقت الحاضر.

إذا سمحتم، دعونا نصل الآن إلى النقطة الأخرى: أي، ما الذي يجعل المشاة متفوقة على الفرسان. في المقام الأول، أرى أن الفرسان لا يستطيعون المشي بكل الطرق كما يمكن للمشاة، وهم أبطأ في حركاتهم عندما يكون ضروري تغيير تنظيمهم إن كان هناك مناسبة للتراجع عند تقدمهم أو مناسبة للتقدم عند تراجعهم، للتحرك لليمين أو لليسار، للتحرك عند توقفهم أو للتوقف عند تحركهم - فمن المؤكد أنهم لا يستطيعون فعل ذلك بنفس سرعة المشاة، وإن كانوا في حالة ارتباك بسبب بعض الصدمات المفاجئة، لا يمكنهم الالتفاف بسهولة حتى بعد انتهاء الصدمة. إلى جانب ذلك، فإنه غالبا ما يحدث أن يُوضع زميل شجاع وحماسي على حصان مثير للشفقة ويوضع آخر جبان على حصان جامح وغير قابل للتحكم، وفي كلتا الحالتين يجب أن يترتب فوضى على ذلك.

فلماذا إذا يبدو من الرائع أن مجموعة ثابتة ومتحدة من المشاة تكون قادرة على تأمين وتدعيم هجوم الفرسان، خاصة وأن الخيول حيوانات حذرة وعندما تكون متخوفة من خطر ما فلا يمكن بسهولة أن تتقدم بسرعة؟ يجب عليك أيضًا مقارنة القوة التى تشجعهم على التقدم مع التي تجبرهم على التراجع، فسوف تجد أن الأخيرة أقوى بكثير من السابقة لها. في إحدى الحالات، لا يشعرون بأي شيء سوى وخز الحافر، ولكن في الأخرى يرون مجموعة من الرماح والأسلحة الحادة الأخرى موجهة نحوهم. لذلك، يمكنك أن ترى من الأمثلة القديمة والحديثة على حد سواء أن فرق المشاة الجيدة ستكون دائما ليس فقط قادرة على إحراز تقدم ضد الفرسان ولكن بصفة عامة الحصول على الأفضل منهم. ولكن إن كنت تعتقد أن الغضب الذي يحرك الخيول لمواجهة العدو يجعلهم يعتبرون الرمح ليس أكثر من شوكة، فأنا أجيب بأنه على الرغم من أن الحصان يبدأ الانقضاض، فإنه سوف يتباطأ

عندما يتوجه بالقرب من الرماح وعندما يشعر بأسنتهم المدببة، فإنه إما سيقف ثابتا أو ينعطف قبالة اليمين أو اليسار. لكي تقنع نفسك بهذا، انظر إذا كان باستطاعتك ركوب حصان بمواجهة الحائط، أنا أتخيل أنك ستجد مثل هذا الحصان نادرا جدًّا إذا وجد من الأساس بغض النظر عن كم هو متحمس يمكنه القيام بذلك. (Julius Caesar) يوليوس قيصر قبل اشتباكه مع (Helvetii) هيلفتى في (Gaul) بلاد الغال لم يقم فقط بالترجل على الأرض بنفسه فقط بل قام أيضًا بجعل كل خيالته يترجلون، وأرسل الخيول لمكان على مسافة من أرض المعركة، مكان مناسب أكثر للهروب من القتال.

على الرغم من هذه العوائق الطبيعية التي يتعرض لها الفرسان، يجب على القائد الذي يقود جيشًا يتكون أساسا من المشاة أن يقوم دائما بقيادتهم في مسيرتهم على طول الطرق حيث لا يمكن مهاجمته من قبل الفرسان بسهولة وبدون مشاكل واضطرابات كبيرة، يمكن إيجاد مثل هذه الطرق بسهولة في معظم البلاد. إن قام بالسير فوق التلال، فسوف يقوم هذا بحمايته من ضراوة انقضاض الفرسان، والذي يبدو أنك تعتقد أنه لا يقاوم. كذلك إن قام بالسير في البلاد المنبسطة، وذات الأسوار، والخنادق، والغابات فعموما سيعطي هذا أمنا أكثر، كل ضفة ودغل صغير، مهما كان مُستهانًا به، وكل مزرعة كرم أو مزرعة عادية كافية لعرقلة الفرسان ومنع تسببها بأي تأثير مادي شديد، وإن قاموا بالمواجهة، فمن المحتمل أن يواجهوا نفس عقبات المعركة كما في المسيرة حيث تفسد انقضاضهم وتخفف من حدة حماسهم أقل عرقلة. يجب أن أخبرك أن الجيوش الرومانية وضعوا مثل هذه الثقة في دروعهم وأسلوب قتالهم حيث إذا كان بوسعهم الاختيار بين مكان صعب إلى حد ما ومحدود من أجل

حمايتهم من ضراوة فرسان العدو ومنع العدو من توسيع خطوطه، أو مكان حيث يحصل فيه الفرسان عندهم على أكثر المزايا، فكانوا دائما يختارون الأخير.

***

ولكن الآن بعد أن قمنا بتسليح قوات المشاة الخاصة بنا وفقا للاستخدام القديم والحديث، فقد حان الوقت للانتقال إلى المناورات. دعونا إذن ندرس المناورات التي استخدمها الرومان لتدريب قوات المشاة الخاصة بهم قبل السماح لهم بالاشتباك مع عدو. فعلى الرغم من أن الجنود ربما يكون تم اختيارهم وتسليحهم بشكل جيد، فإنهم لن يصبحوا صالحين لأي شيء أبدا إن لم يتدربوا باجتهاد. الآن يجب أن تكون هذه المناورات ثلاثة أنواع: في المقام الأول، يجب أن يتم تعليم الجنود تحمل كل أنواع المشقة والتعب وأن يكون الجندي حاذقا ورشيقا، في المقام الثاني، يجب أن يتعلم الجنود التعامل مع أسلحتهم بشكل جيد، وأخيرا، يجب تعليمهم طاعة الأوامر والحفاظ على صفوفهم ومراكزهم سواء في المسيرة أو في المعركة أو في مكان إقامة معسكراتهم. هذه العمليات الرئيسية الثلاث في الجيش إذا تم تنفيذها بشكل جيد، فسيحافظ القائد على كرامته وشرفه حتى وإن خسر المعركة.

ولذلك، كان لدى القدامى قوانين وأنظمة صارمة للغاية لفرض وتطبيق الممارسة الدائمة لتدريباتهم بكل تفاصيلها وفى كافة المجالات. كان شبابهم معتادين على جرى السباقات، والقفز، وأن يقذف العارضة، ويتصارع، أنتج كل هذا مؤهلاتٍ ضرورية لدى الجنود لأنهم إن كانوا يتمتعون بخفة الحركة، فيمكنهم استباق العدو بالحصول على موقع مفيد، في التحرك تجاهه فجأة وتخطيه عندما يتراجع، وإن كانوا أذكياء، فسيعرفون كيفية تجنب الضربة ولن يجدوا صعوبة في القفز فوق خندق أو تحجيم متراس، وان كانوا أقوياء، فسوف يكونون قادرين على حمل أسلحتهم بسهولة أكثر،

ومهاجمة العدو، أو مواصلة الهجوم بشكل أفضل. ولكن قبل كل شيء، ينبغي تعويدهم على الأعباء الثقيلة. وهذا أمر ضروري للغاية، بشأن بعض الاحتياجات الكبيرة والمُلحة التي يكونوا مجبرين على حملها معهم، بالإضافة إلى أسلحتهم، والمؤن لأيام عديدة، وهو ما لا يمكنهم القيام به لو كانوا غير معتادين على مثل هذه الأمور، بواسطة هذه الوسائل، غالبا ما يتم تجنب المخاطر وأحيانا يتم حصد الانتصارات المجيدة.

ولتعويد شبابهم على دروعهم وتعليمهم كيفية التعامل مع أسلحتهم ببراعة، اعتاد القدماء على تلبيسهم دروعًا ضعف ثقل التي سوف يلبسونها في المعركة، بدلا من السيف، ويضعون في أيديهم هراوة سميكة محملة بالرصاص وأثقل بكثير من السيف، بعد هذا يقومون بتثبيت عواميد بالأرض حوالي ستة أقدام، والتي كانت راسخة جدًّا بحيث لا يمكن لرياح تحريكها، وعليها اعتاد الشباب أن يقوموا بالتدرب باستخدام الهراوة والترس كما لو كانوا أعداء حقيقيين بالفعل، في بعض الأحيان كانوا يقومون بضرب الجزء الأعلى كما لو كان رأس أو وجه رجل وأحيانا الجانب الأيمن أو الأيسر، وأحيانا الجزء الأسفل، في بعض الأحيان اعتادوا التقدم أمامه بخفة، وتارة أخرى، تراجعوا خطوة أو اثنتين. بواسطة هذه الوسائل أصبح لديهم خبرة ليس فقط في الدفاع عن أنفسهم ولكن في مضايقة وإزعاج العدو، وكذلك وزن دروعهم المزيفة الثقيلة يجعل دروعهم الحقيقية تبدو خفيفة وسهلة للاستخدام. وقد علم الرومان جنودهم الطعن بدلاً من القطع بسيوفهم، لأن الطعن أكثر خطورة ويصعب تجنبه، والذي يقوم بالطعن لا يعرض الكثير من جسده للخطر الكبير ويكون أكثر استعدادا لمضاعفة ما هو عليه لتكرار الضربة الكاملة.

ومع ذلك، لا تعتقد أنه من الغريب أن القدماء كانوا دقيقين جدًّا وخاصة في الأمور التي ربما تبدو لك تافهة وسخيفة، ولكن على اعتبار أنه عندما يتقاتل الرجال

يدا إلى يد، فإن أدنى ميزة لها أهمية كبيرة، فيجب أن ألتمس العذر لإخباركم بأن العديد من المؤلفين الجيدين تعمقوا في تفاصيل أكثر دقة وإيضاحا للظروف والأحوال بشأن هذه المسائل مما فعلت أنا. اعتقد القدماء أن لا شيء أكثر ملائمة لرفاهية وأمن بلادهم من وجود عدد كبير من رجال منضبطين جيدًّا ومدربين وعلى استعداد للحرب، عرفوا جيدًّا أن لا الثروة ولا العظمة، ولكن فقط سمعة جيوشهم وأسلحتهم يمكنها إبقاء أعدائهم في رهبة وخضوع دائم، كانوا يعلمون جيدًّا أن العيوب بأشياء أخرى يمكن معالجتها أحيانا، ولكن في الحرب، حيث يتم الشعور بعواقبها القاتلة المميتة في الحال، فإنها لا تقبل العلاج. إلى جانب ذلك، المهارة بتلك التدريبات تجعل الجنود جريئة وشجاعة في المعركة، فبدلا من أن يكون خائفا، يحرص كل شخص على تمييز نفسه فيما يُعرف أنه بارع به. ولذلك، أولى القدماء عناية كبيرة لجعل شبابهم أفضل بجميع التدريبات العسكرية، أيضًا عودوهم على رمى السهام التي كانت أثقل بكثير من التي استخدموها بالحرب بالعواميد التي ذكرتها من قبل وقد علمهم هذا أن يكون لديهم خبرة كبيرة في استخدام الأسلحة وجعل أذرعهم قوية ونامية بالعضلات.

كما تم تعليمهم أيضًا كيفية استخدام القوس والنشاب، والأقواس الطويلة، والحبال، ولكل الأشياء التي برعوا بها تم توفير أساتذة معلمين بغرض إرشادهم. ولذلك، عند استدعائهم للخدمة في الحروب، كانوا على أشد استعداد بحيث لم يفتقروا لأي شيء يجعلهم جنودا ممتازين باستثناء تعليمهم كيفية الحفاظ على صفوفهم بالمسيرة أو بالمعركة وكيفية إطاعة الأوامر، وتعلموا تلك الأشياء فيما بعد بسرعة عن طريق الاختلاط بالآخرين الذين خدموا لفترة طويلة وكانوا ذوى خبرة تامة بهذا الجانب من الانضباط.

(كوزيمو) . ما التدريبات التي توصى بها لمن يقومون بتكوين قوات المشاة الخاصة بنا في الوقت الحاضر؟

(فابريزيو) . معظم التي ذكرتها من قبل، مثل الجري والمصارعة والقفز وحمل الأسلحة الثقيلة واستخدام القوس والنشاب، والأقواس الطويلة والسلاح الناري وكما تعلم أن الأخير سلاح جديد ولكنه مفيد جدا. أود أن يعتاد كل الشباب في البلد على هذه التدريبات ولكن لاسيما هؤلاء من الممكن أو المقرر أن يصبحوا جنودا، لهذا الغرض، كنت سأضع جانبا كل الإجازات والعطلات. كنت سأقوم بتعليمهم السباحة أيضًا وهذا ضروري جدًّا حيث ليس كل الأنهار بها جسور فوقها، ولا يمكن التوقع دائما بوجود القوارب الجاهزة لنقل الرجال، ولذلك إذا لم يستطع جنودك السباحة، فستفقد العديد من المزايا والفرص للقيام بأمور عظيمة. كان سبب تدريب الرومان لشبابهم في (Campus Martius) حقل مارتيوس هو نهر (the Tiber) التيبر الجاري بالقرب منه حتى عندما يكونون مُنهكين، فربما يقومون بإنعاش أنفسهم في النهر وتعلم السباحة. ومثل القدماء، كنت سأختار أيضًا أن يكون لدى هؤلاء الذين تم تدريبهم بشكل صحيح على الخدمة في سلاح الفرسان وهذا ضروري لأنهم لم يتعلموا فقط كيف يركبون الخيول بطريقة جيدة ولكن أيضًا كيف يفيدون أنفسهم من قوتهم بشكل أفضل، ولهذا الغرض كان لدى القدامى خيول مصنوعة من الخشب لكي يتدربوا عليها بصعودهم عليها أحيانا بالدروع وأحيانا بدونها، بامتطائها بدون أية مساعدة، وركوبها من على الجانبين، أيضا، وبناء على إشارة أو كلمة القيادة من مدربيهم كانوا جميعا إما راكبين أو راجلين في لحظة.

الآن ولأن تدريبات الفرسان والمشاة كانت تُمارس بدون أية صعوبة أو اضطراب، فيمكن إدخالها مرة أخرى بسهولة في أوساط شباب أية دولة حالية، إذا كان هذا

يسر ويسعد حكامها، ففي الواقع؛ تم إدخالها في بعض الدول في الغرب حيث قاموا بتقسيم السكان إلى فئات. تأخذ هذه الفئات أسماءها الخاصة من مختلف أنواع الأسلحة التي يستخدمونها بالمعركة، بما أنها تتكون من الرماح، المطرد، الأسلحة النارية، والأقواس، يسمى الرجال الحاملون لتلك الأسلحة الرماحين (pikemen)، رجال المطرد (halberdeers)[1]، حاملي الأسلحة النارية (harquebusiers)، رُماة السهام، أو الرماة. يجب أيضًا على كل فرد من السكان أن يعلن أيًّا من هذه الفئات يقع اختياره ليتم تسجيله. حيث إن بعضهم لا يصلح لحمل السلاح، بسبب سنهم أو بعض العقبات الأخرى، فإنهم يقومون بالانتقاء أو الاختيار من كل فئة، ويدعون من قام باختيارهم (Jurati)[2] أي الصفوة المنتقاة، لأنهم يجعلونهم يحلفون يمين الإخلاص والطاعة. يتم استدعاء هؤلاء الصفوة معا في العطلات وتدريبهم على استخدام مثل هذه الأسلحة التي يأخذون منها أسماءهم، لدى كل فئة مكان معين مخصص لهم من قبل حكام الدولة حيث يلتقون ويتدربون. يأتي كل رجل منتمٍ إلى فئة وكذلك الصفوة ويحضر ومعه حصته من المال لتغطية النفقات الناجمة عن تلك التجمعات. ولذلك، ما قام بعمله الآخرون بالفعل أعتقد أنه يجب أن يقوم به مواطنونا، ولكنهم نشأوا كسولين جدًّا ومتدهورين، لذا فلن يقوموا بمحاكاة كل ما هو جيد. كانت النتيجة تماما بسبب هذه التدريبات أن كان لدى القدامى مثل هؤلاء المشاة الممتازين وأن دول الغرب المذكورة سابقًا كان لديها قوات مُشاة أفضل بكثير مما لدينا في الوقت الحاضر، حيث قام الرومان بتدريبهم إما داخل الوطن في حدود الجمهورية، أو بالخارج، في عهد الأباطرة كما قلت من قبل. ولكن الدول

1. المطرد بكسر الميم سلاح قديم مؤلف من رمح وفأس حرب – المترجم إلى العربية.
2. بحثت عنها لأنها غير موجودة بالقواميس العادية فوجدتها تعنى المختارين المنتقين أقرب إلى كلمة الصفوة لدينا – المترجم إلى العربية.

الإيطالية غير مستعدة لتدريبهم داخل الوطن وغير قادرة على القيام بذلك في الخارج لأنهم ليسوا من رعاياها ولذلك لن يقوموا بشيء إلا ما يحلو لهم. وبالتالي، فإن تلك التدريبات العسكرية مُهملة بالكامل حاليا، وكل نُظم الانضباط انتهت، وهذا هو السبب في أن العديد من الدول وخاصة في هذه البلد أصبحت ضعيفة جدًّا وتافهة بلا قيمة.

ولكن دعونا نستأنف موضوعنا. لصنع جيش جيد فإن تعريض الجنود للمشاق والمتاعب والقوة والسرعة والخبرة بالأسلحة غير كاف، يجب أيضًا أن يتعلموا الحفاظ على صفوفهم، طاعة كلام وإشارات القائد عن طريق الطبول أو البوق، والمداومة على حُسن النظام، سواء في الوقوف، أو التقدم أو التراجع أو السير أو الاشتباك مع العدو، حيث إنه بدون الاهتمام الدقيق بهذه النقاط، لن يكون أي جيش صالح لأي شيء. فمن المؤكد أن الرجال غير المنظمين والغير منضبطين، على الرغم من أنهم شجعان للغاية، لا يتم الاعتماد عليهم بنفس قدر الآخرين الذين ليسوا شجعانا بطبيعتهم ولكن منظمون ومنضبطون بشكل جيد حيث إن النظام الجيد يجعل الرجال شجعانا والارتباك يجعلهم جبناء. ولكن لكي تفهم ما سوف أقوله بشكل أفضل، فمن الضروري معرفة أن كل دولة كان لديها مجموعات معينة من الجنود في جيوشها وميلشياتها تختلف في أسمائها ولكن لا تختلف كثيرا في العدد من الرجال الذي تتكون منه، لأنها عموما تتألف من 6000 أو على الأكثر 8000 من الرجال. وبالتالي، كان لدى الرومان فيالقهم، واليونانيون كتائبهم، والإغريق زمرتهم، وكان لدى السويسريين حاليا (هم الشعب الوحيد الذي مازال لديه أي أثر للمؤسسات العسكرية القديمة فيما بينهم) ما يتعين علينا أن نُطلق عليه في بلادنا أفواج، ولكن قاموا جميعا بتقسيم أنفسهم إلى كتائب أو هيئات أصغر لتناسب أغراضها بشكل

أفضل. دعونا نسميهم بأكثر اسم مألوف لدينا، ونشكلهم تبعا لأفضل الترتيبات التي بُذلت من قبل إما القدماء أو المعاصرين.

حيث قام الرومان بتقسيم فيالقهم والتي تألفت من حوالى5000 أو 6000 من الرجال، إلى 10 أفواج، نحن أيضًا نقسم فوجنا، الذي يتألف من 6000 من المشاة إلى 10 كتائب بكل واحدة 450 رجلًا، منهم 400 يتم تسليحهم بالأسلحة الثقيلة و50 بالأسلحة الخفيفة. من المسلحين بالأسلحة الثقيلة يكون لدى 300 منهم سيوف ودروع ويطلق عليهم حاملي الدروع، وال 100 الآخرون يكون لديهم رماح ويطلق عليهم الرماحين العاديين، وال 50 المسلحين بالأسلحة الخفيفة يكون لديهم أسلحة نارية، القوس والنشاب، فؤوس، دروع ويطلق عليهم بالاسم القديم لقوات المشاة الخفيفة العادية، ولذلك، في ال10 كتائب سيكون هناك 3000 من المدرعين، 1000 من الرماحين العاديين، و500 من قوات المشاة الخفيفة العادية وهذا يعنى 4500. ولكن لأن فوجنا يتكون من 6000 رجل، يجب أن نضيف 1500، منهم 1000 لديهم رماح نُطلق عليهم الرماحين فوق العادة أو الاستثنائيين، والـ500 الآخرون مسلحون بالأسلحة الخفيفة ويُطلق عليهم قوات المشاة الخفيفة الاستثنائية، وبذلك نصف المشاة لدينا سوف تتكون من المدرعين والباقي من الرماحين وباقي الرجال المسلحين بطرق مختلفة. يجب أن يكون لدى كل كتيبة ضابط برتبة مقدم، قائد معين منها، 4 نقباء و40 عريفًا، بالإضافة إلى نقيب و5 عرفاء لقوات المشاة الخفيفة العادية. ومن بين ال 1000 من الرماحين فوق العادة أو الاستثنائيين، يجب أن يكون هناك 3 قادة أو ضباط برتبة عقيد، 10 نقباء، و100 عريف، وفي قوات المشاة الخفيفة الاستثنائية ضابطان برتبة عقيد، 5 نقباء، و50 عريفًا. سأعين عقيدًا أو قائدًا للفوج الكامل، بطبوله وألوانه، يجب أن يكون لدى كل قائد من المذكورين أعلاه ذلك

أيضا. لذلك، سوف تتكون كلها من 10 كتائب، مكونة من 3000 مدرعين، 1000 من حاملي الرماح العاديين، 1000 من حاملي الرماح الاستثنائيين، 500 من المشاة الخفيفة العادية، و500 من المشاة الاستثنائيين أيضًا من كل 6000 رجل. من بينهم سيكون 600 عريف، 15 عقيدًا ملازم أول، 15 من صانعي الألوان والطبول، 65 نقيبًا، والعقيد مع ألوانه وطبوله.

كما ترون، لقد أخطأت ببعض التكرارات، ولكن حتى يتسنى لكم فهمي بشكل أفضل وحتى لا تكونوا في حيرة أو ارتباك عندما أتكلم عن تأسيس جيش من أجل المعركة. إذا، فأنا أرى أن جميع الأمراء وحاكمي الجمهوريات يجب عليهم تسليح ميليشياتهم بهذه الطريقة، وتشكيلهم في مثل تلك الأفواج، وتأسيس أفواج بقدر ما يقبل مجال سيادتهم. عندما يتم تقسيمهم إلى كتائب وفقا للتوجيهات التي أعطيتكم إياها للتو، من أجل أن نجعل انضباطهم كاملا، فسيكون كافيا تدريبهم كتيبة تلو الأخرى، على الرغم من أن الكتيبة الواحدة ليس بها ما يكفى من الرجال لتشكيل جيش منهم، ولكن يجب على كل رجل أن يتعلم القيام بواجباته. حيث يجب أن يتم ملاحظة شيئين في كل جيش، أولا، أن الرجال تم تعليمهم ما عليهم القيام به في كتائبهم الخاصة، ثانيا، أن يتم تعليم كل كتيبة كيفية التصرف عندما تنضم إلى كتائب أخرى لتشكيل جيش.

أولئك الذين أبدوا استعدادًا وخبرة في الأمر الأول سيتعلمون قريبا الثاني، ولكن لهؤلاء الذين ليسوا مثاليين في أمر منهم لا يمكنهم أبدا تعلم الثاني. ثم،يجب أولا تعليم كل كتيبة بشكل منفصل الحفاظ على حسن النظام في صفوفها بجميع المناسبات وفى كل الأماكن، بعد ذلك، ينبغي تعليمها كيفية التصرف عند ارتباطها مع بقية الكتائب، وكيفية الاستعداد والحضور عند سماع الطبول وغيرها من الأدوات التي

يتم من خلالها تنظيم وتوجيه كل الأوامر في وقت المعركة، وكيفية فهم الأصوات المختلفة سواء كانت بالنزول على الأرض، التقدم، التراجع، التأرجح إلى الجانب، أو القيام بتغيير كامل ومفاجئ[1]. ولذلك، عندما يعرف الرجال كيفية الحفاظ على صفوفهم لدرجة أنه لا نوع من الأرض أو أي نوع من المناورات يمكن أن يُحدث لهم أي فوضى، عندما يفهمون ما الذي يتعين عليهم القيام به عن طريق إيقاع الطبول أو صوت البوق، وعندما يعرفون أين مكان مراكزهم، فسيتعلمون قريبا كيفية التصرف بانسجام تام بالاتفاق مع الكتائب الأخرى لأفواجهم عندما يتم تجميعهم لتكوين جيش.

ولكن لأنه من الضروري أحيانا تدريبهم معا، يجب تجميع الفوج كله مرة أو اثنتين في السنة في وقت السلم ليتم تشكيلهم كجيش - مع الأجنحة الأمامية والخلفية في أمكانها الصحيحة أي مقدمة ومؤخرة الجيش - ويتم تدريبهم لبضعة أيام كما لو كانوا يستعدون لمهاجمة عدو. والآن، بما أن القائد يجهز قواته للمعركة إما على مرأى من العدو أو لتخويف آخر ليس بعيدًا عنهم، يجب على جيشه تجهيز المناورات وفقا للمناسبة، يجب إظهار بأي نظام يقومون بالسير أو المشاركة، إن كانت هناك حاجة، ويجب إعطاء تعليمات خاصة حول كيفية التصرف إذا تمت مهاجمتهم من جانب أو من الآخر.

ولكن عند تجهيزه رجاله لمهاجمة عدو على مرأى منهم، يجب على القائد أن يريهم كيف وأين يتم البدء بالهجوم، وإلى أي نقطة يجب عليهم التراجع إن كان عليهم صد الهجوم، ومن يقوم بأخذ أمكانهم، وما الإشارات والأصوات والكلمات

1. التعبير باللغة الإنجليزية an about face وهو يعنى تغييرًا كاملًا في الاتجاه أو الموقف أو المسلك أو وجهة النظر - المترجم إلى العربية.

الخاصة بالقائد التي يجب عليهم ملاحظتها. يقوم القائد بإشراك رجاله في قتال تمثيلي بمثل هذه الطريقة بحيث يكونون راغبين بدلاً من خائفين للدخول بقتال حقيقي. لأنها ليست الشجاعة الطبيعية للرجال هي التي تجعل الجيش جريئا، ولكن النظام والانضباط الجيد هو الذي يجعله كذلك، لأنه، عندما تعرف الصفوف الأولى كل من كيفية التراجع ومن الذي يتقدم في أماكنهم إن تمت هزيمتهم، فسيقاتلون دائما بروح معنوية عالية لأن الراحة في متناول أيديهم من خلال النظام، ولن تكون الصفوف التالية مُتهيبة من التجارب الأولى لأنهم مستعدون لمثل هذا الحدث وربما لن يشعروا بالندم لأنهم يعتقدون أن هذا ربما يعطيهم مجد النصر الذي لم يتمكن آخرون من الحصول عليه.

هذه التمارين لها ضرورة خاصة في الجيوش حديثة التكوين، ولا يجب إهمالها في الجيش الذي يتكون من قدامى المحاربين، بالرغم من أن الرومان تم تدريبهم على استخدام السلاح في شبابهم، ومع ذلك قام جنرالاتهم بتدريبهم دائما بهذه الطريقة باجتهاد كبير لبعض الوقت قبل البدء في أي اشتباك. ويخبرنا (Josephus) جوزفيوس عبر تاريخه أنه حتى تجار المعدات العسكرية الذين اعتادوا على تتبع جيوشهم قاموا غالبا بعمل جيد في المعركة لأنهم عادة ما رأوا تدريبات الجنود، وتعلموا التعامل مع أسلحتهم والحفاظ على ثبات صفوفهم. ولكن الجيوش المؤلفة من الرجال الجدد الذين تم جمعهم إما للخدمة بالوقت الحاضر أو لتشكيل ميليشيا لاستخدامها عندما تسنح الفرصة ستصبح غير صالحة لأي شيء على الإطلاق إن لم يتم تدريبهم بشكل منفصل، وفيما بعد تدريبهم ككل. حيث إن حسن النظام والانضباط ضروريان للغاية، ويجب بالطبع إعطاء عناية خاصة لإبقائهم بين من يعرفون واجبهم حق المعرفة، كما يجب أن تكون هناك عناية أكبر بالطبع لتعليم وإرشاد أولئك الذين

يجهلونها تماما. ولوضع هذه الصفات موضع التأثير، لن يدخر القائد الحكيم أي جهد أو ألم أو سعى.

كوزيمو: يبدو أنك قد انحرفت قليلا عن وجهة نظرك حيث إنك أخبرتنا من قبل كيفية تدريب كتيبة واحدة، وقد وصفت تدريب وإعداد الجيش بالكامل للمعركة.

فابريزيو: أنت على حق. في الواقع أعترف بأن حماسي وتعصبي لتلك التدريبات والنظم والقوانين وقلقي بسبب إهمالهم كثيرا غي الوقت الحالي قد قادني قليلا إلى الخروج عن المسار وسبب لي الخروج عن النظام الذي اقترحته. ولكنى سأعود إليه.

قد تتذكر أنني قلت لك أن انضباط الكتيبة لها أهمية قصوى في احتفاظ الرجال بثبات صفوفهم. ولتحقيق ذلك، من الضروري تدريبهم على ما أطلق عليه القدامى (نمط الحلزون) . بما أنى قد قلت أنه يجب تواجد 400 من المشاة مسلحين بالأسلحة الثقيلة في الكتيبة، فسأبقى هذا العدد. يجب تشكيل هؤلاء ال 400 رجل في 80 صفًّا ومن 5 في كل صف، يجب أن يتعلموا كيفية كل من تمديد أنفسهم وتقليص أنفسهم في ترتيب ملتحم ومتقارب، سواء كانوا يتحركون ببطء أو بخفة إلى الأمام. ولكن كيفية إتمام هذا هو أسهل للفهم من خلال رؤية تنفيذ ذلك على أرض الواقع أكثر من الوصف، ومع ذلك فهو ليس ضروريا للغاية هنا لأن كل من لديه أدنى درجات الخبرة في الشؤون العسكرية يعرف منهجه، ويعرف أن استخدامه.الرئيسي هو لتعويد الرجال على الحفاظ على صفوفهم.

ولكن دعونا الآن نمضي قُدما في وضع الكتيبة. هنالك ثلاث طرق رئيسية للقيام بذلك، الأولى والأفضل هو وضعها متقاربة ومضغوطة على هيئة مربع مستطيل الشكل، الثانية تشكيلها كمربع مع جناحين بالمقدمة، والثالثة هو وضعهم في مربع مع مساحة أو فراغ في الوسط عادة يسمى مربع أجوف. الطريقة الأولى

يمكن إتمامها من خلال وسيلتين: الأولى، من خلال مضاعفة الصفوف، وذلك عن طريق وضع الصف الثاني بالأول، والرابع بالثالث، والسادس بالخامس، وهكذا؛ بحيث لو أن هناك 80 صفا من قبل، ب 5 رجال في كل صف، ربما يتم تقليصهم إلى 40 و10 بالصف، ومضاعفتهم مرة ثانية، فيتم تقليصهم إلى 20 رجلًا في 20 صفًا. وهذا سيصنع مربعا مستطيل الشكل، على الرغم من أنه سيكون هناك العديد من الرجال في الطوابير كما بالصفوف، وحيث إنه يجب على الرجال بصفوف الجيش أن يقفوا بالقرب من بعضهم ومُلامسة بعضهم البعض في حين أن هؤلاء الموجودين في الطوابير يجب أن يكونوا على الأقل أربعة أقدام مبتعدين عن بعضهم، فلم يعد المربع من الأمام للخلف كما هو من نهاية الجهة اليمنى إلى نهاية اليسرى وهكذا لن تكون الطوابير أطول من الصفوف. ويجب عدم خلط ال 50 من قوات المشاة الخفيفة العاديين مع الصفوف الأخرى، ولكن يتم توزيعهم على كل جناح من أجنحة الجيش وفى المؤخرة عندما يتم تشكيلهم.

الطريقة الأخرى لوضع كتيبة متقاربة ومضغوطة على هيئة مربع مستطيل الشكل هو أفضل من الطريقة السابقة ولذلك سأكون أكثر وضوحا في وصفها. من المُسلم به أنك تتذكر عدد الرجال والضباط الذي تحتوى عليه الكتيبة وكيفية تسليحهم. دون المزيد من التكرار، فأنا أرى أن الكتيبة يجب تشكيلها وتوزيعها في 20 صفًّا، و20 رجلًا في كل صف، وهذا يعنى، 5 صفوف من الرماحين بالمقدمة، و15 صفا من المدرعين بالخلف. يجب وجود نقيبين بالمقدمة ونقيبين بالمؤخرة. يجب على ملازم أو قائد الكتيبة بألوانه وطبوله أن يكون لديه موقع في الفاصل بين 5 صفوف الرماحين وال 15 للمدرعين. ويتم وضع العرفاء على الجناحين، واحد على أقصى كل صف، حتى يتسنى لكل واحد أن يكون رجاله إلى جانبه - أولئك الذين على اليمين سوف

يكون رجالهم على اليسار وأولئك الذين على اليسار سوف يكون رجالهم على اليمين. يجب توزيع ال 50 من المشاة الخفيفة العادية على الجناحين والجزء الخلفي من الكتيبة. الآن، من أجل وضعها بهذا الشكل، يجب تقسيمهم إلى 80 صفًّا و5 رجال بكل صف ووضع المشاة الخفيفة أنفسهم إما بالمقدمة أو المؤخرة، يجب على كل قائد وضع نفسه على رأس سريته – 100 رجل أو 20 صفًّا بكل صف 5 رجال – المكونة من 5 صفوف أمامية أو الذين خلفهم مباشرة، يجب أن يكونوا رماحين والبقية مدرعين. يجب وضع العقيد الملازم أو القائد بطبوله وألوانه في الفاصل بين السرية الثانية للرماحين والمدرعين، وتولى موقع ال 3 مدرعين. يجب وضع 20 عريفًا على الأجنحة اليسرى للصفوف التي يتم قيادتها من القائد الأول، ووضع 20 آخرين على الأجنحة اليُمنى للصفوف التي يتم قيادتها من القائد الأخير، إنه من الضروري لعرفاء الرماحين أن يحملوا الرماح بأنفسهم، وأولئك الخاصون بالمدرعين يكون معهم دروع وسيوف. عندما يتم تنظيم الصفوف، إذا رغبت في تشكيلهم في نظام المعركة لمواجهة عدو، يجب أن توقف قائد الـ 20 صفًّا الأوائل مع رجاله، ويستمر قائد ثاني 20 صفًّا في التقدم ولكن ينحرفوا قليلا إلى اليمين، على مقربة من جناح أول 20، حتى يصبح على اطلاع بقائدهم ويتوقف هناك، ثم يتقدم القائد الثالث بطريقة مماثلة مع رجاله على طول الجهة اليمنى للسريتين الأخريين حتى يكون محاذيا لأول قائدين، ويتوقف هناك كما يفعلون، ثم يتحرك القائد الرابع وسريته أيضًا إلى الأمام على طول الجهة اليمنى لمن قاموا بالانضمام بالفعل، ويتوقف عند تقدمه بنفس قدر الثلاثة الآخرين. عندما يتم تنفيذ كل هذه التحركات، يجب أن يقلع اثنان من أولئك القادة في الحال عن الصف الأول ويقومان بأخذ مركز آخر بالخلف، ثم سيتم تشكيل كتيبة كمربع مستطيل الشكل، كما تم بالوسيلة الأخرى. ثم يجب توزيع قوات المشاة الخفيفة أيضًا على كل جناح كما كانوا من قبل.

واحدة من هذه الطرق يُطلق عليها مضاعفة صفوف الخط الأيمن، والأخرى مضاعفتهم عن طريق الأجنحة، السابقة أسهل من الاثنتين، والأخيرة أكثر ملاءمة - فيمكن تكييفها على نحو أفضل لملاءمة مختلف المناسبات. في السابقة، يجب أن تتوافق مع العدد لأن خمسة وعشرة وعشرين يتضاعفون لعشرة وعشرين وأربعين، لذا إن ضاعفت صفوفك بالخط الأيمن، لا يمكنك جعل المقدمة تتكون من خمسة عشر أو خمسة وعشرين أو ثلاثين، أو خمسة وثلاثين، ولكن يتم ضبطهم بمضاعفة عدد الصفوف الأولى. وحيث إنه من الضروري تشكيل جبهة من 600 أو 800 من المشاة، مضاعفة صفوفك بالخط الأيمن ستربك الرجال. لذلك فأنا أفضل الأسلوب الأخير، على الرغم من أنه قد يحتوي على صعوبات أكثر، ولكنه سيتغلب على الصعوبات عن طريق الممارسة والتدريب المتكرر.

أنا أرى إذن أن وجود جنود يعرفون كيفية اتخاذ مراكزهم الصحيحة في لحظة هي مسألة ذات أهمية قصوى. لذلك من الضروري تشكيلهم في مثل هذه الكتائب، لتدريبهم ككل، ولتعليمهم السير بسرعة أو ببطء بكل الاتجاهات، ولإبقائهم على ذلك النظام حتى إنه مهما كان مدى خشونة أو صعوبة الممر أو المضيق، فلن يخرجوا عن صفوفهم. حيث إنه لو أمكن للجنود القيام بذلك، فهم جنود جيدون وربما يُطلق عليهم محاربين. إن خاض هؤلاء الرجال الآلاف من المعارك ولا يعلمون كيفية الحفاظ على حسن النظام، فهم ليسوا بأفضل من المجندين الخام الجدد. ما قيل يتعلق فقط بوضع الكتيبة في ترتيب متقارب عند سيرها في صفوف صغيرة.

تنشأ الصعوبة الرئيسية إذا تعرضت الكتيبة للاضطراب بعد أن تم عمل وتأكيد النظام المتلاحم، إما عن طريق طبيعة البلد المُلزمين بالسير فيها، أو أية حادثة أخرى وتريد عودتها على الفور لترتيبها السابق. يتطلب التغلب على هذا الكثير

من التدريب والممارسة والخبرة. لذلك، لم يدخر القدماء أي جهود لجعل جنودهم جاهزين وخبراء في استعادة قوتهم كلما حدث لهم ارتباك. لهذا الغرض هناك أمران ضروريان، وأعني بهذا أنه ينبغي أن يكون هناك عدة علامات مميزة في كل كتيبة، وأنه ينبغي وضع نفس الرجال بنفس الصفوف دائما. على سبيل المثال، إن كان في البداية جنديا متمركزا بالصف الثاني، دعه يبقى هناك دائما ليس فقط بنفس الصف ولكن أيضًا بنفس المكان، ولكي لا يكون في حيرة حول كيفية القيام بذلك، يجب أن يكون هناك دائما، كما قلت للتو، العديد من العلامات الخاصة لتوجيهه وإرشاده. في المقام الأول، عندما يتم ربط عدة كتائب معا، يجب أن تميز الألوان بسهولة كل كتيبة، ثانيا، يجب على من هم برتبة عقيد ومقدم وملازم أول والقادة والضباط الآخرين ارتداء شارة أو علامة مختلفة، وأخيرا، والأكثر أهمية، ينبغي تمييز كل عريف بعلامات خاصة، كان القدماء حذرين ودقيقين بشكل ملحوظ لدرجة أنهم وضعوا أرقامهم على خوذاتهم وبأشكال كبيرة كالأول والثاني والثالث والرابع وهكذا. ولكن حتى هذا لم يكن كافيا: كان لدَى كل جندي رقم صفه ومركزه منقوشا على درعه. وهكذا يتم تمييز الرجال عن بعضهم البعض وبالتالي يعتادون على معرفة وحفظ مراكزهم فتصبح مسألة سهلة أن يتم حشدهم بعد حدوث ارتباك، لأنه عندما يتم تثبيت الراية أو اللواء، سيعرف القادة والعرفاء مراكزهم ويستأنفونها، سواء على اليمين، أو اليسار، أو على مسافة كافية. أيضًا الجنود المميزون بعلاماتهم المعتادة واختلاف الأعلام، سيجدون في الحال صفوفهم ومراكزهم السليمة، تماما كما تقوم بإعادة تجميع أضلاع أو أجزاء برميل كنت قد قمت بوضع علامات لهذه الأجزاء قبل تقسيمها لقطع، سوف تقوم بذلك بنفس السهولة، في حين أنه إذا لم يتم وضع علامات على الأجزاء، فستجد الأمر صعبا للغاية إن لم يكن مستحيلا. ربما يتم تعلم هذه الأمور قريبا فمن خلال الممارسة والتدريب المتكرر لا يمكن نسيانها بسهولة،

وبالتالي يمكن لدولة أو مقاطعة بأكملها أن تتحول بمرور الوقت إلى جنود جيدين وذوى خبرة عن طريق مثل هذه التدريبات، وعن طريق المجندين الجدد الذين يتم تعليمهم من قدامى المحاربين.

إنه من الضروري أيضًا تعليم رجالك التحرك جميعا في نفس الوقت وفى الحال، عندما تكون هناك مناسبة، بحيث يصبح الجناح أو المؤخرة هي المقدمة، أو تصبح المقدمة هي الجناح أو المؤخرة، ربما يتم هذا بسهولة بأن نجعل كل رجل يتوجه نحو أي جزء معين في حركة واحدة، ثم يصبح هذا الجزء حينئذ هو المقدمة. صحيح أنهم عندما سيواجهون كل جناح سوف يكون هناك بعض التغييرات والتفاوت في صفوفهم لأن المسافة التي سوف تكون بين المقدمة والمؤخرة لن تكون كبيرة الحجم بنفس الدرجة التي بين أحد أطراف الأجنحة والطرف الآخر. وهذا بالطبع مخالف تماما للشكل الذي يجب أن توضع الكتيبة به، ومع ذلك، قد يتم تصحيحها سريعا عن طريق جنود مدربين جيدًا وذوى خبرة، وبالتالي لا يمكن التسبب في الكثير من الاضطرابات. ولكن هناك مناورة أخرى ذات أهمية كبيرة، وتتطلب استعدادا ومهارة أكثر عندما يتم تحريك الكتيبة كلها مرة واحدة مثل جسد واحد صلب متماسك. على سبيل المثال، يحدث هذا عندما تبدأ كتيبة كاملة بالانعطاف إلى اليسار لكي تواجه الجانب الذي كان يوجد به الجناح الأيسر من قبل، ثم أولئك على اليسار، عند طرف الصف الأول، يجب أن يتوقفوا بسرعة ويجب على أولئك الذين بالقرب منهم على اليمين التحرك ببطء حيث إن البقية الذين هم أبعد منهم على اليمين، وأولئك الذين على الطرف الآخر من الصف قد لا يكونوا مضطرين للجري وإلا سيحدث لهم ارتباكٌ كبير.

الآن عندما تتعرض الكتيبة للهجوم على مسيرتها من مكان لآخر، فإنه دائما ما

يحدث أن السرايا غير المتمركزة بالمقدمة تُجبر على القتال إما في أحد الأجنحة أو في المؤخرة، والكتيبة تحت ضرورة مفاجئة لتشكيل جناح للجيش أو ربما مؤخرة، كانت موجودة من قبل، من أجل تشكيل تلك السرايا بتناسب ونظام، يجب وضع كل الرمَّاحين في ذلك الجناح الذي يوشك على أن يكون بالمقدمة، ويجب على العرفاء والقادة والعقداء شغل مراكزهم كما بالطريقة الموضحة سابقا لتشكيل كتيبة. إذن، للقيام بذلك ولتشكيل كتيبة من 80 صفًا و5 رجال بكل صف، يجب أن يسحب جميع الرماحين إلى أول 20 صفًا، مع 5 من عرفائهم بالصف الأول و5 بالصف الأخير من سريتهم، ثم سيتكون الـ 60 صفًا الآخرين أو ال 3 سرايا بالكامل من حاملي الدروع، والذين صفوفهم الأول والأخير يجب أن يتكون من 5 من عرفائهم. يجب على العقيد الملازم برايته وطبوله أن يأخذ مركز في منتصف السرية الأولى لحاملي الدروع، وال 3 قادة على رأس سرياتهم. بذلك عندما يتم تشكيلها، إن كنت تريد جميع الرجال الرماحين على الجناح الأيسر، فيجب عليك مضاعفة السرايا، واحدة تلو الأخرى، ولكن إن أردتهم على الجناح الأيمن، فيجب عليك مضاعفتهم في اليسار. وبالتالي، سوف يكون كل رماحين الكتيبة على جانب واحد، عرفاؤها في المقدمة والخلف، قادتها بالمقدمة، وعقيدها في المنتصف. هذا النظام للمراقبة أثناء السير. ولكن إذا اقترب العدو، وإن أردت مقدمة الكتيبة في مكان شغله أحد الأجنحة من قبل، فكل ما عليك القيام به هو أمر رجالك بمواجهة الجانب الذي يوجد به الرماحون، ثم ستتغير كل الكتيبة بجميع صفوفها وضباطها في الحال وفقا للترتيب الذي ذكرته من قبل سيكون كل رجل في مركزه الصحيح، باستثناء القادة الذين سرعان ما سيقومون باستلام مراكزهم.

ولكن عندما تسير الكتيبة إلى الأمام وتخشى الهجوم الخلفي، يجب التخلص من

الصفوف بحيث يتم توزيع الرماحين مكانهم لهذا الغرض، يجب وضع 5 صفوف منهم في الجزء الخلفي من كل سرية، بدلا من المقدمة حيث يتمركزون، أما في جميع النواحي الأخرى، فدع التنظيم الاعتيادي وفقا للمراسم المألوفة.

كوزيمو: إن كنت أتذكر بشكل صحيح، فقد أخبرتنا بأن هذا النوع من التدريبات يتم إعداده لتقليص ودمج جميع كتائب الفوج في شكل جيش، وأن ذلك كافيا لمثل هذا الغرض. ولكن لكي يحدث هذا فإن هذه الكتيبة من 450 رجلًا تكون مُلزمة للقتال بنفسها، فكيف ستقوم بسحبها في هذه الحالة؟

فابريزيو: في المقام الأول، يجب على العقيد الملازم أن يفكر ويمعن النظر أين سيكون هناك ضرورة قصوى لوضع الرماحين، وتوزيعهم هناك وفقا لذلك. يمكن إتمام ذلك بسهولة دون اضطراب الوضع المذكور سابقًا، على الرغم من أن ذلك هو النظام الذي يجب اتباعه للكتيبة عندما تتحد مع الآخرين ضد عدو، وربما يظل مستخدما في مواقف أخرى. ولكن، لكي أريك الطريقتين الأخريين لتشكيل الكتيبة التي وعدتك بها منذ قليل، فسأجيب عن سؤالك بنقاط ووقائع تفصيلية يتم استخدامها فقط عندما تعمل الكتيبة وحدها وبشكل منفصل عن جميع الآخرين.

إذا، من أجل تشكيل كتيبة بجناحين في المقدمة، فأنت تنشر صفوفك ال 80 المتكون كل منهم من 5 رجال بالطريقة التالية. في المقام الأول، يجب أن تضع قائدًا على رأس كل 25 صفًّا، متكون من 2 من الرماحين على اليسار و3 من حاملي الدروع على اليمين. وبجانب أول 5 صفوف، يجب أن يكون هناك 20 عريفا بالإضافة إلى ال 20 المتمركزين بين الرماحين وحاملي الدروع. بعد وضع هذه الصفوف ال 25 هكذا، ضع قائدا آخر على رأس ال15 صفًّا من حاملي الدروع. في المكان الفاصل بين هذه السرية والثالثة، ويتم وضع المقدم الملازم بألوانه وطبوله في السرية الثالثة،

المتكونة من 15 صفًّا إضافيًّا من حاملي الدروع. يجب تمركز القائد الثالث على رأس السرية الرابعة لل 25 صفًّا، كل واحد منهم به 3 حاملو دروع على اليسار ورماحان على اليمين، بعد أول خمس صفوف، يجب أن يكون هناك 20 إضافيين مع عرفائهم موزعين بين حاملي الدروع والرماحين، وفي مؤخرة هذه السرية يأخذ القائد الرابع مركزه. ثم إذا أردت تشكيل هذه الصفوف وتحويلها إلى كتيبة بجناحين، يجب عليك أن تأمر القائد الأول بالوقوف مع صفوفه ال 25، وتأمر القائد الثاني حينئذ بالتحرك إلى اليمين والتقدم مع صفوفه ال15 من حاملي الدروع من أجل مضاعفة جهة الجناح الأيمن للصفوف ال25 المتوقفة، حتى يصل إلى الخامس عشر من مؤخرتهم - يجب عليه التوقف هناك. بعد ذلك، يقوم العقيد الملازم بصفوفه ال15 من حاملي الدروع بفعل نفس الشيء على الجناح الأيمن لأول سريتين. أخيرا، يجب أن يتحرك القائد الثالث مع صفوفه ال 25 والقائد الرابع في مؤخرتهم إلى اليمين ثم يتقدم على طول الجناح الأيمن للسريات الثلاثة الأخرى، ولكن لا يجب عليه التوقف حتى يصل آخر صف في مؤخرته إلى نفس الخط مع آخر صف في مؤخرتهم، عندما يتم كل هذا، يجب على القائد لأول 15 صفًّا أن يترك مركزه ويذهب إلى يسار آخر صفوف المؤخرة، ويجب أن يذهب القائد الرابع إلى يمينه. بهذه الطريقة، سيكون لديك كتيبة من 25 صفًّا، يتكون البعض من 5 رجال والآخر من 20، مع جناحين - واحد في كل زاوية أمامية - سيتكون كل منها من 10 صفوف و5 رجال في كل صف، وبين الجناحين توجد مساحة كبيرة كافية لاستقبال 10 رجال جنبا إلى جنب. يأخذ العقيد الملازم موقعه في هذه المساحة - قائد واحد في مقدمة كل جناح، وآخر في كل زاوية من مؤخرة الكتيبة، يتم وضع طابورين من الرماحين و20 عريفا على كل جانب. ربما تخدم الأجنحة في حماية العربات والأمتعة، فضلا عن المدفعية، إن كان يوجد أي منها، يتم ترتيب فرق المشاة الخفيفة على طول الجوانب للخارج بعيدا عن الرماحين.

الآن من أجل دمج وخفض هذه الكتيبة المجنحة إلى مربع أجوف، تحتاج فقط إلى أخذ 8 من مؤخرة الـ15 صفًّا الذين بكل واحد منهم 20 رجلًا، ووضعهم مباشرة أمام الجناحين، ثم ستصبح هذه الأجنحة مربعًا أجوف. ويأخذ العقيد الملازم بألوانه وطبوله مركزه بالمنطقة المتبقية بالمنتصف، قد تذهب العربات والأمتعة هناك أيضا، ولكن ليس المدفعية، التي يتم تركيزها إما في المقدمة أو على الجوانب. هذه هي الأساليب التي يمكن اتخاذها لتشكيل كتيبة واحدة عند مرورها بمفردها من خلال أماكن خطرة ومشتبه بها، ولكن الكتيبة المدمجة المتحدة، بدون الأجنحة أو المساحة في وسطها، هي بالتأكيد أفضل، ومع ذلك، قد تكون واحدة منهما أو الأخرى من هذه الأشكال الضرورية أحيانا لحماية العربات، والأمتعة الخ.

لدى السويسريين أيضًا عدة أشكال لوضع الكتائب، واحد منها على شكل صليب، في الفراغات بين الأسلحة يقومون بوضع الأسلحة النارية الخاصة بهم لحمايتهم من الضربة الأولى للعدو، ولكن منذ أن تلك الكتائب صالحة فقط للمشاركة بمفردها، وأنا أنوي توضيح كيف تقاتل عدة كتائب متحدة، فلن أتكبد عناء وصف النظام الذي اتبعوه.

كوزيمو: أعتقد أنني قد فهمت بما فيه الكفاية الطريقة الواجب اتباعها لتدريب الرجال في هذه الكتيبة، ولكن، إن لم أكن مخطئا، قلت إنك ستضيف 1000 رماح فوق العادة أو استثنائيين و500 مشاة خفيفة فوق العادة أيضًا إلى كتائب الفوج الخاص بك. ألن تقوم بتدريبهم أيضا؟

فابريزيو: بالطبع، وبشكل جيد جدًّا كذلك. على الأقل سأدرب الرماحين بالسرايا، إن لم يكن على الكل، على انضباط الكتيبة، حيث يجب أن أوظفهم أكثر من الرماحين العاديين خاصة على العمليات الخاصة - بالقوافل والحراسة والغنائم

وما شابه. أما بالنسبة للمشاة الخفيفة، قد يكفي تدريبهم على حدة داخل الوطن بطريقة معينة من القتال بدون إحضارهم إلى الميدان، لأنهم سيقاتلون في طريق كبير ومنفصل، فليس هناك حاجة لاستدعائهم معا عندما يتم جمع باقي الكتيبة للمشاركة في المناورات الجماعية.

لذلك يجب عليك كما قلت من قبل وسأقولها مرة أخرى إعطاء عناية كبيرة لتدريب كتائبك لكي يتعلم الرجال الحفاظ على صفوفهم، ومعرفة مراكزهم الصحيحة، وحشد أو تغيير أنفسهم بسرعة عند حدوث ارتباك أو التخوف من التعرض لهجوم أو حدوث اضطراب من قبل العدو، لأنه عندما يصبحون مثاليين في هذه الأمور، فسيصبح الأمر سهلا أن يتعلموا أين موقع الكتيبة وما يجب عليها فعله عند انضمامها إلى الكتائب الأخرى لتشكيل جيش. ولذلك إن تكبد أي أمير أو حاكم عناء إنشاء وتفعيل هذا الانضباط وهذه التدريبات، فسوف يكون لديه دائما جنود جيدون بما فيه الكفاية لفرض سيادتهم وتفوقهم على جيرانهم، كما ستمكنهم هذه الجنود من فرض قانونهم على الآخرين بدلا من أن تُفرض عليهم من الآخرين. ولكن مثل هذا الانحطاط الذي نعيش فيه في هذا العصر يجعل هذه الأمور بعيدة تمام البعد عن الوجود أو الاحترام ممن يعيشون في الوقت الحاضر، ففي الواقع، هي بالنسبة لهم مُهملة تماما بل ويسخرون منها، وهذا هو السبب في أن جنودَنا الآن غير صالحين لأي شيء، وإن كان هناك بينهم ضباط أو رجال أفاضل بطبيعتهم، فهم غير قادرين على إظهار ذلك.

كوزيمو: كم عدد العربات التي كنت ستحددها لكل كتيبة؟

فابريزيو: في المقام الأول، لا يُسمح لأي قائد أو عريف بالركوب خلال المسيرة، وإن أراد العقيد الملازم الركوب، فيجب أن يكون على بغل، وليس حصانًا. إلا

أنني كنت سأسمح باثنتين من عربات الخيول بالأمتعة، واحدة لكل قائد، وعربتين بين كل ثلاثة عرفاء، لأنه إن كانوا في مخيم، فسأقوم بإيداع كل ثلاثة منهم معا، كما سأريك في الوقت المناسب. وبالتالى، كل كتيبة سيكون بها 36 حصانًا لحمل خيامها، والغلايات، والفؤوس، والمعاول، والمجارف فضلا عن مثل هذه الأدوات وغيرها من الأواني اللازمة للمعسكر، وأي شيء مفيد آخر أو من وسائل الراحة يمكن إضافته إن كان له مساحة.

كوزيمو: على الرغم من أنني أعتقد أن كل الضباط في كتيبتك لهم ضرورة، ومع ذلك، أخشى أن يسبب هذا العدد الكبير منهم فوضى.

فابريزيو: قد يكون ذلك هو الحال، إذا لم يكونوا جميعا تحت قيادة شخص واحد، ولكن نظرا لأنهم كذلك، فهم يعملون على صيانة وتدعيم حسن النظام، وفى الواقع، سيكون من المستحيل الحفاظ على النظام بدونهم. حيث إن الجدار الضعيف والمترنح من جميع الجوانب يمكن دعمه بالعديد من الدعائم والركائز أفضل من العدد القليل فعلى الرغم من أن هذه الدعائم بمفردها ضعيفة إلا أنها ستكون داعمة على الدوام، ولذلك مهما كانت قوة الضباط، فلا يمكنهم الخدمة إلى مسافة بعيدة. لهذا السبب، يجب تعيين عريف على كل عشرة جنود بكل الجيوش، يجب أن يكون هذا العريف رجلًا نشيطًا وشجاعًا - أو على الأقل ذا سلطة أكبر - أكثر من الآخرين لكي يثير فيهم روح الحماسة ويلهمهم بكلماته وأفعاله، ينبغي عليه أن يحثهم باستمرار للحفاظ على ثبات صفوفهم وأن يتصرفوا مثل الرجال. وقد تظهر مدى أهمية هذه الأمور بوضوح حتى في مثال جيوشنا التي لديها جميعا عرفاء، وطبول وألوان، على الرغم من أن لا أحد منهم يقوم بواجبه. أما بالنسبة للعرفاء، إن كانوا سيحققون الغاية التي تم تعيينهم من أجلها من البداية، ينبغي لكل واحد منهم أن يكون لديه رجال

خواص تحت إمرته، يجب أن يقيم معهم، يجب أن يقوم بالحراسة معهم، ويجب عليه دائما السير معهم بنفس الصف، لأن هؤلاء العرفاء سوف يحافظون على الرجال منظمين ومتحدين ومتلاحمين في المواقف العديدة التي تحدث لهم لدرجة أنه سيبدو الأمر مستحيلًا تقريبا على أي عدو أن يقوم باقتحامهم وإحداث اضطراب فيما بينهم، وإذا قُدر وحدث هذا، ربما يقومون بلم شعثهم واستجماع قواهم في الحال، ولكن في هذه العصور التي نحياها يتم تعيين العرفاء لأهداف أخرى ذات طبيعة مختلفة، ولا يقوموا بشيء كما ينبغي لهم، على الرغم من أن رواتبهم ليست بقليلة. نفس الشيء فيما يتعلق بالألوان، والتي مازالت تستعمل لإقامة عرض جيد بدلا من أي استخدام عسكري آخر. ولكن استفاد القدماء أنفسهم من هذه الألوان كدليل وراية لاستجماع القوى وإعادة الحشد في حالة الفوضى والاضطراب، حيث إنه بمجرد تثبيت الرايات بألوانها، يعرف كل رجل موقعه ويعود إليه. عرفوا أيضًا كيف ومتى يتحركون ومتى يتوقفون عن طريق حركة الألوان أو عدم حركتها، ولذلك، فمن الضروري أن يكون هناك العديد من الفيالق بالجيش، ويجب أن يكون لدى كل فيلق حامل الراية الخاص بها وعلامات التمييز، لأنه سيعرف ما يجب عليه فعله، ويتصرف بنشاط وروح معنوية عالية.

إذًا، يجب على الجنود أن يراقبوا ويتابعوا حركات حامل الراية، وحاملو الرايات يراقبون دقات الطبول، بحيث إنه عند إدارة الإيقاع بطريقة سليمة، فهو توجيه للجيش كله ليعمل ويتحرك بمقياس ووتيرة معينة وفقا للملاحظات والأصوات المختلفة لكي يعرف الجيش كيفية الحفاظ على الوقت والنظام بالطريقة المناسبة. لهذا الغرض، كان لدى القدماء المزامير والناي والأنواع الأخرى من الآلات الموسيقية العسكرية الملائمة تماما لمختلف المناسبات، وكما يرقص الإنسان ويحتفظ بوقت

للموسيقى فلا يمكنه عمل خطوة خاطئة، فكذلك الجيش إذا كان مراقبا ومتابعا لإيقاع الطبول بشكل صحيح لا يمكن حدوث أي خلل أو اضطراب به بسهولة. وبالتالي، اعتاد القدماء على تغيير الأصوات والعلامات الموسيقية للموسيقى العسكرية الخاصة بهم اعتمادا على ما إذا كانوا يريدون إثارة أو تهدئة أو إظهار حماس جنودهم. ولأن إيقاعهم ومسيراتهم مختلفة فقد أطلقوا عليها أسماء مختلفة أيضا، تم وضع دوريك (Doric) لإلهام الرجال في التصميم والقرار والحسم، وفريجيان (Phrygian) لإثارة حماس الدفاع عن النفس، أو بالأحرى الغضب. يقال إنه ذات يوم على العشاء سمع (Alexander the Great) الإسكندر الأكبر أصوات مسيرة الفريجيانى، وأنه تفاعل معها بشدة حتى إنه قفز فوق الطاولة وأخرج سيفه كما لو كان على وشك مقابلة عدو. إذن، سيكون من المفيد جدًّا إحياء هذه الإجراءات أو ابتكار أخرى جديدة لهذه الأغراض، ولكن إن كان هذا لا يمكن القيام به، فعلى الأقل تعليم الجنود طاعة الأوامر عن طريقها فلا يجب أن تكون مُهمَلة أو موضوعة جانبا، يمكن تنويع وتكييف تلك الرايات والأصوات وفقا للمناسبة والتي من خلال الاستخدام المتكرر والتدريب يمكن للجنود تعلم كيف يميزون بينها ومعرفة معانيها. ولكن في الوقت الحاضر تعمل طبولنا بشكل أساسي على صنع الضجيج والعروض العسكرية.

كوزيمو: أنا سعيدا جدًّا لمعرفة أنك فكرت وتدبرت كيف وصلنا إلى هذا التدهور والانحطاط والإهمال ليس فقط في هذه التمارين بل في كل طرق وأساليب الانضباط العسكري التي أصابها الهجر والإهمال فيما بيننا.

فابريزيو: سأعطيك رأيي في هذه المسألة بحرية تامة. إذن، يا سيدي أنت تعرف أنه كان هناك العديد من المحاربين المعروفين في أوروبا ولكن قلة في أفريقيا،

وأقل في أسيا، والسبب في ذلك هو أن آخر جزأين مذكورين من العالم كان لديهما مملكة واحدة أو اثنتان وعدد قليل جدًا من الجمهوريات، على العكس من ذلك، كان لدى أوروبا العديد من الممالك ولكن لديها جمهوريات أكثر. ويصبح الرجال ممتازين كما يظهروا مزاياهم وفضائلهم وفقا لكيفية توظيفهم وتشجيعهم عن طريق حكامهم، سواء كانوا ملوكا، أو أمراء أو رؤساء جمهوريات، لذلك؛ حيث توجد العديد من الدول، سيكون هناك العديد من الرجال العظماء، ولكن حيث يوجد القليل من المدن، لن يكون هناك العديد من الرجال العظماء. ففي أسيا، كان هناك (Ninus) نينوس، (Cyrus) وكورش، (Artaxerxes) وأرتحشستا، (Mithridates) وميتريدست، وآخرون قلائل مثلهم في أفريقيا (دون ذكر القدماء المصريين[1]) قرأنا عن (Masinissa) ماسينيا، (Jugurtha) يوغرطة وبعض القادة القرطاجيين البارزين. على الرغم من أن عدد هؤلاء الرجال قليل جدًا بالمقارنة مع الذين قدمتهم أوروبا، بالنسبة لهذا الجزء من العالم، فقد كان بالفعل هناك أعداد من الرجال العظماء الذين عرفنا عنهم، ومما لا شك فيه أن هناك الكثير من الآخرين الذين انطفأت ذكراهم بسبب ظلم وشر الزمن، ولأن كل دولة كانت مُلزمة بتشجيع وتعزيز الرجال ذوي المزايا والفضائل إما بدافع الضرورة أو لأسباب أخرى وهكذا حيث يوجد المزيد من الدول، بطبيعة الحال يوجد المزيد من الرجال ذوى الفضائل. أسيا، على العكس من ذلك، لم تنتج الكثير من الرجال ذوى المزايا لأنه، إلى حد كبير، هذا الجزء من العالم خاضع للملكية واحدة لدرجة أن معظم أجزائه يقبعون في تراخ وكسل ولا يمكنهم تشكيل عدد كبير من الرجال من أجل التحديات العظيمة والمجيدة. ويمكن قول نفس الشيء عن أفريقيا، على الرغم من أنه في الواقع كان هناك قادة

1. بالطبع لن يذكر أسماء عظماء القدماء المصريين وهو يشير إلى كثرتهم فهو يحتاج إلى كتاب أو فصل خاص بهم – المترجم إلى العربية.

ذوو مزايا وفضائل في هذه المنطقة أكثر من أسيا، وذلك بفضل جمهورية (Carthage) قرطاج. وسيكون هناك دائما عدد أكبر من الرجال الممتازين في الجمهوريات أكثر من الممالك لأن المزايا والفضائل يتم تشريفها وتكريمها بشكل عام في الجمهوريات، ولكن يُخشى منها في الممالك، وبالتالي إن حدث تدعيم وتعزيز وتشجيع للرجال المتميزين في واحدة، تتم معارضتهم وقمعهم في الأخرى[1].

إذا فكرنا بعد ذلك في أوروبا، سنجد أنها كانت دائما مليئة بالإمارات، والممالك والجمهوريات التي عاشت في غيرة دائمة من بعضها البعض فالتزموا بالحفاظ على حسن الانضباط بجيوشهم وتكريم وتشجيع التميز والجدارة العسكرية. في اليونان، إلى جانب الملكية المقدونية، كان هناك عدة جمهوريات، وقدمت كل منها العديد من الرجال الممتازين. في إيطاليا كان هناك الرومان والسمانتين (theSamnites)، والأتروسكان (the Etruscans)، والألبية الإغريق (the Cisalpine Gauls) .

سادت الجمهوريات والإمارات في فرنسا وألمانيا، وأسبانيا، وإذا كنا لا نقرأ عن العديد من الرجال الممتازين هناك كما نقرأ عن الرومان، فهي نتائج لتحيز المؤرخين، الذين يتبعون عموما تيار (fortuna) فورتونا، ويكتفون بالإشادة بالفاتح المنتصر. ومع ذلك، فمن المعقول أن نفترض أنه كان هناك العديد من الرجال اللامعين في السمانتين (the Samnites) والأتروسكان (the Etruscans) حيث إنهم دافعوا عن أنفسهم ضد الرومان لمدة 150 سنة، ويمكن افتراض نفس الشيء بالنسبة لفرنسا وأسبانيا، وعلى الرغم من المزايا والفضائل التي فشل معظم المؤرخين في إعلانها والاحتفاء بها عند رجال مميزين معينين فقد قدموا من المدح والإشادة ما فيه الكفاية

1. أتفق إلى حد ما مع رأى ماكيافللى هنا ولكنى أختلف معه قليلا في بداية حديثه هنا لأن أسيا وأفريقيا ظهر فيهما أسماء لامعة وعظيمة كثيرة في كافة المجالات - المترجم إلى العربية.

بدول كاملة عندما كانوا يخبروننا بمقدار الشجاعة والعزم الذي بذلته تلك الدول نفسها للدفاع عن حرياتها.

إذا، نظرا لأنه من الواضح أنه حيث يوجد العديد من الدول سيكون هناك دائما الكثير من الرجال ذوى المزايا والفضائل، فمن المؤكد أنه عندما يتقلص ويقل عدد تلك الدول، فإن عدد هؤلاء الرجال سينخفض تدريجيا بالمثل، حيث يجب توقف التأثير عند انتهاء المؤثر. وبالتالي، عندما ابتلعت الإمبراطورية الرومانية كل الممالك والجمهوريات في أوروبا وأفريقيا، ومعظم الموجودة في أسيا، لم يوجد أية ملامح للفضائل والمزايا إلا في روما، ولذلك أيضًا أصبح الرجال ذوو المزايا والفضائل نادري الوجود في أوروبا وكذلك في أسيا لدرجة أنه الآن وفي النهاية نكاد لا نجد منهم أحدا لأنه تم إخماد وقمع جميع ذوي المزايا والفضائل ماعدا بين الرومان، لذلك عندما أصبح الرومان فاسدين، فسد العالم كله بالمثل[1]، وحتى السكيثيين (Scythians) الذين تدفقوا حشودا حاشدة على جمهورية تلك التي بعد أن أطفأت المزايا والفضائل في معظم الدول الأخرى لم تستطع الحفاظ على مزاياها الخاصة.

وعلى الرغم من أن الجمهورية كانت مفككة بعد ذلك بسبب هؤلاء البرابرة، ومع ذلك فإن الأجزاء العديدة التي كانت مُقسمة إليها لم تستعد أبدا مزاياها الأصلية. في المقام الأول، لأنها مسألة صعبة للغاية وتتطلب وقتا طويل لإحياء حسن النظام والانضباط بعد أن تم إخماده، وفى المقام الثاني، قد أحدث الدين المسيحي مثل هذا

1. لست مع ماكيافللي في هذا الرأي على الإطلاق فيبدو أنه كان مفتونا بالحضارة الرومانية لدرجة أنها جعلته ينسى الحضارة المصرية والفارسية والصينية والإسلامية ففي هذه الحضارات ظهر رجال من ذوي الفضائل والمزايا ما يفوق من ظهروا في الحضارة الرومانية بكثير – المترجم إلى العربية.

التغيير في أسلوب الحياة والقيم البشرية لدرجة أنهم لم يعودوا بحاجة إلى الدفاع عن أنفسهم كما كانوا يفعلون من قبل. ثم، كل من تم هزيمتهم في حرب انتهى بهم المطاف إما إلى الموت أو العبودية الدائمة في بلاد العدو حيث أمضوا ما تبقى من حياتهم في العمل والبؤس. فإذا تم الاستيلاء على مدينة، يتم تدمير أو تجريد سكانها من أشيائهم، ويتفرقون في جميع أنحاء العالم، ويصلون إلى الدرجة القصوى من الفقر والبؤس، ولذلك، فإن الخوف من هذه الشرور أجبرهم على الحفاظ على حسن الانضباط بجيوشهم وتكريم جميع أولئك المتفوقين في فن الحرب.

ولكن في الوقت الحاضر، تبددت وانطفأت تلك المخاوف الرهيبة، لأنه بعد هزيمة جيش، من يقعون في يد الفاتح المنتصر نادرًا ما يتم قتلهم أو إبادتهم تماما، كما يتم وضع شروط الفدية بسهولة كبيرة بحيث إنهم لا يظلون سجناء أو أسرى كثيرا. وإذا قامت تغيرت الأحوال ببلدة مئات المرات، لا يتم هدمها أو تفريق وتجريد سكانها من ممتلكاتهم. أسوأ ما يمكنهم التخوف منه إجبارهم على دفع الجزية. لذلك، لم يعد يهتم الرجال بمواجهة الصرامة والمصاعب المستمرة للانضباط العسكري لتفادى الشرور التي تكون خائفة منها قليلا. إلى جانب ذلك، تخضع أقاليم أوروبا إلى عدد قليل من الحكام بالوقت الحاضر، مقارنة مع ما كانت عليه سابقا، كل فرنسا الآن تحت سيادة ملك واحد، كل أسبانيا تحت قيادة آخر، ولا توجد العديد من الإمارات والجمهوريات في إيطاليا، لذلك، فإن الدول الصغيرة التي تجد الحماية تحت جناحي الدول الأخرى القوية، وكذلك الدول الأقوى غير خائفة من الخراب والدمار التام حتى لو تم غزوها، وذلك للأسباب التي ذكرتها سابقا.

كوزيمو: ولكن، في السنوات الخمس والعشرين الماضية، شهدنا العديد من البلدان تم نهبها والبعض الآخر تم تدميره تماما. هذه الأمثلة يجب أن تكون

بمثابة تحذير للآخرين للحفاظ على أمنهم من خلال إحياء الانضباط والمؤسسات العسكرية الخاصة بالقدماء.

فابريزيو: أنت على حق تماما، ولكن بالنظر في ما عانت منه هذه البلاد بهذه الطريقة، فسوف تجد أنها ليست الدول نفسها، بل عددًا أقل من المدن. فإذا تم نهب (Tortona) تورتونا، لم يحدث لـ (Milan) ميلان شيء، وإذا عانت (Capua) كابوا ولكن أفلتت (Naples) نابولي، وشعرت (Brescia) بريشيا و(Ravenna) ريافانا بمطرقة القاهر الفاتح، ولكن خرجت (Venice) البندقية و(Rome) روما دون عقاب. هذه الأمثلة ليست كافية لجعل دولة تغير أهدافها، ولكن لجعلها مصممة على المثابرة في عزمها عندما ترى أنه في أي وقت يمكنها فداء نفسها ومنع الخراب والدمار بالفدية، لأن الدولة لن تُعرض نفسها ورعاياها إلى القلق المستمر الناتج عن الانضباط العسكري وتدريباته، فحينما تبدو هذه المخاوف ليس فقط غير ضرورية إلى حد كبير، بل أيضًا تجلب الكثير من المتاعب والارتباك. أما بالنسبة للأفراد التابعين الذين يجب أن يكونوا أكثر تأثرا بتلك الأمثلة، فإنه ليس بوسعهم إنقاذ أنفسهم، أما أولئك الذين قاموا بالفعل بتدمير الدول لا يرون خطأهم إلا عندما يكون قد فات الأوان لتصحيحه، بينما الآخرون، الذين لم يتقاسموا بعد نفس المصير، لا يتكبدون عناء منعه. وتختار هذه الدول أن تعيش حياة كسولة ومتراخية، خالية من المتاعب والاضطراب، وأن تعتمد على (fortuna) فورتونا[1] أو إلهة الحظ بدلا من مزاياهم وفضائلهم الخاصة، لأنهم يرون أن هناك الآن نسبة لمثل هذه الفضائل متبقية بين البشر ولكن لها تأثير ضعيف على شؤون العالم - وأن كل شيء يبدو محكوما من

1. فورتونا (fortuna) إلهة الحظ والصدفة في الديانة الرومانية القديمة ومنه جاءت كلمة fortune أي حظ أو ثروة باللغة الإنجليزية - المترجم إلى العربية.

قبل إلهة الحظ فورتونا - فهم يعتقدون أنه من الأفضل مسايرة قطارها بدلا من الاضطرار للتعامل مع تفوقها.

لكي أبرهن حقيقة ما قلته، إذا كان هناك حاجة لدليل آخر، دعونا ننظر إلى حالة ألمانيا حاليا نراها مليئة بالإمارات والجمهوريات، تزخر بالعديد من القادة ذوى الفضائل، وفي الواقع، كل شيء يستحق التقليد في الانضباط العسكري في هذه الأوقات مستمد من تلك الدول. حيث الغيرة من جيرانهم ومقت فكرة العبودية -حالة لا تبدو مخيفة كثيرا لبلدان أخرى- فيأخذون كل الوسائل المناسبة للدفاع عن حرياتهم، وبالتالي تستمر على الدوام حرة ومحترمة.

هذا كما أعتقد قد يكون كافيا لإظهار أسباب الانحطاط لدينا والإهمال الحالي للانضباط العسكري بيننا، ولكن لا أستطيع الجزم بأنك معي على نفس الرأي. ربما ما قلته لم يعطك الرضا الذي أردته، أو لم تفهم بعمق ما أريد، وبالتالي، قد يكون لديك بعض الشكوك باقية بعقلك.

كوزيمو: كلا على الإطلاق يا سيدي، أؤكد لك. على العكس، فأنا أفهم تماما ما قلته، وأنا راض تماما بشكل جيد عنه، ولكن أتوسل إليك لنستكمل موضوعنا، وتخبرنا كيف ستنظم فرسانك في هذه الكتائب، كم منهم سيكون لديك، وكيف يجب أن يكونوا مسلحين وموجهين ومنضبطين.

فابريزيو: ربما تعتقد أنني قد نسيت هذا، ولكنى لم أفعل، على الرغم من أن لديَّ القليلَ لأقوله عن الفرسان لسببين. في المقام الأول، ترتكز القوة الرئيسية للجيش في قوات مشاته، وفى المقام الثاني، وحتى في هذه الأوقات، أن الفرسان منضبطون أكثر بكثير من المشاة، وإن لم يكونوا متفوقين، فهم على الأقل مُساوون لسلاح الفرسان الخاص بالقدماء. لقد عرضت بالفعل كيف يجب أن يتم تدريبهم، بالنسبة

لأسلحتهم، كنت سأسلح كلًّا من الفرسان ذوي التسليح الثقيل وذوي التسليح الخفيف بالطريقة المسلحين بها حاليا، ولكن الفرسان ذوى التسليح الخفيف يجب أن تتكون في معظمها من حاملي الأقواس مع بعض من حاملي الأسلحة النارية فيما بينهم، فعلى الرغم من خدامتهم القليلة بالجوانب الأخرى، مازالوا ضروريين لبث الخوف والرعب في أهل الريف وحملهم على الابتعاد عن الطرق والممرات التي ربما تعهدوا بالدفاع عنها، إنهم يكونون أكثر خوفا ورعبا من سلاح نارى واحد عن 20 رجلًا مسلحين بأية طريقة أخرى.

فيما يتعلق بعددهم، بما أنني قد اقترحت في البداية أخذ الفيلق الروماني كنموذج، لذلك أعتقد أن 300 فارس جيد في كتيبة يكون كافيا، منهم، 150 من الرجال المسلحين، والباقون فرسان ذوو تسليح خفيف، مع قائد، بوق، 15 عريفًا، وطبلة لكل قوة. يجب أن يكون لدى كل 10 رجال مسلحين 5 خيول للأمتعة وكل 10 فرسان ذوي تسليح خفيف 2، والذين، مثل أولئك الموجودين في المشاة، يحملون خيامهم وغلاياتهم والفؤوس، والأوتاد وغيرها من الأواني والأدوات. لا تعتقد أن هذا خارج عن النظام، لأن كل شخص من رجالنا المسلحين لديه 4 خيول أتيح له هذا الغرض، ولكن هذا مخالف، لأن في ألمانيا لا يكون لديهم أي خيول إلا التي يتم حملهم عليها، وعربة واحدة فقط لحمل أمتعة كل 20 منهم. الفرسان الرومان المثقلون بالأسلحة لم يكن لديهم المزيد، ولكن في الواقع، كان يتم إيواء قوات المشاة الثقيلة (the triarii) دائما بالقرب من الفرسان وكانوا مُلزمين على مساعدتهم برعاية أحصنتهم والاعتناء بها. هذا مثال يمكن اتباعه بسهولة في هذه الأيام، وسأبين لك بتفاصيل أكثر عندما أناقش المخيمات، لأن بالتأكيد ما جرى سابقا من الرومان، ولا يزال يُمارس من قبل الألمان، يمكن تنفيذه في الوقت الحاضر. لذلك، من يقومون بتجاهل وإهمال هذه الأمور يتوجب إلقاء الكثير من اللوم عليهم.

بمجرد ما يتم تجميع سرايا الخيالة هذه وتجنيدها بنفس الطريقة مع بقية الكتيبة، يجب استعراضهم أحيانا مع الكتائب الأخرى عندما يتم تجميعهم، وتدريبهم على مناوشات ومعارك تمثيلية صورية معهم ولذلك لكى يتعرفوا على بعضهم البعض ويتقنوا تلك التدريبات. لقد تحدثنا كثيرا عن هذا الموضوع. دعونا الآن نمضى قدما في وضع جيش في مثل هذا الترتيب للمعركة والذي فيه أكبر احتمال بحصولنا على الفوز والنصر عند التحامنا مع العدو، لهذه الغاية تُجمع كل الجيوش، ولهذا يتم بذل الكثير من العناية والجهد لانضباطهم ونظامهم.



مسيرة لجنود الجيش الروماني

الكتاب الثالث

دراسة تفصيلية شاملة عن التكوين الكلاسيكي التقليدي

للمعركة وطريقتها محتويا على نموذج وصفي لمعركة

مع شرح الدروس التي تم تعلمها مسبقا.

كوزيمو: بما أننا الآن متجهون لتغيير الموضوع، أود أن أستقيل من منصبي كمحقق في هذا الحوار، لأنه بقدر ما أكره الجرأة والوقاحة في الآخرين، فلن أبدو مرحبا بها فأكون مخطئا في حق نفسي. ولذلك، فإنني أضحي بالديكتاتورية وأتخلى عن سلطتي إلى أي شخص في الصحبة يكون مسرورا بالقبول بها.

زانوبى: إن استمرارك في مركزك هو من دواعي سرورنا جميعا، ولكن بما أنك ترفضه، على الأقل أخبرنا من فضلك من الشخص الذي تجعله ينوب عنك ويخلفك في ذلك.

كوزيمو: أرغب في إعطاء هذه المسؤولية إلى سنيور (Fabrizio) فابريزيو.

فابريزيو: أقبل هذا بلا حرج. وأعتقد أننا يجب أن نحذو حذو أهل البندقية، الذين دائما ما يعينون الأصغر للحديث أولا في مجالسهم وتجمعاتهم، ولأن فن الحديث جيدًا هو حتما ممارسة ورياضة الشباب، يمكننا افتراض أن الشباب هم أفضل المؤهلين لمناقشة واجبات وتدريبات الحرب، حيث إنهم الأفضل استعدادا وتهيئة والأصلح لتنفيذها.

كوزيمو: إذا يقع الاختيار على (Luigi) لويجى، وبما أنني راض جدًّا عن خليفتي، فأنا متأكد أنه سيكون مقبولا بنفس القدر لكم جميعا. دعونا لا نضيع المزيد من الوقت فيما عدا العودة إلى موضوعنا.

فابريزيو: أنا أعلم جيدًا أنه من أجل توضيح كيفية قيادة جيش في حالة استعداد وتنظيم المعركة سيكون من الضروري وصف الطريقة التي شكل بها الإغريق

والرومان قواتهم لهذا الغرض، ولكن بما أن المؤرخين القدامى قد فعلوا هذا، أشير عليك بالرجوع إليهم، ومع حذفي لتفاصيل عديدة صغيرة جدًّا فسوف أتحدث فقط عن الأشياء الضرورية للغاية التي اعتمد عليها وتبناها الإغريق والرومان هؤلاء الذين سيحسنون نظامنا الحالي للانضباط العسكري. ومع وضع هذا في الاعتبار، سأوضح لك في الحال كيف يمكن تشكيل جيش في الوقت الحاضر في حالة نظام وترتيب المعركة، وكيفية تدريبه في المعارك التمثيلية، وكيفية التصرف في الاشتباكات الحقيقية.

إذا، إن أعظم خطأ يمكن للجنرال أن يقع فيه عند قيادة الجيش إلى المعركة هو اعتماده على مقدمة أو جبهة واحدة فقط، مما يلزمه بصراع أو قتال على جانب، وإلهة الحظ فورتونا (fortuna) على الجانب الآخر. هذا هو تأثير فقدان الطريقة التي اتبعها القدماء في إدخال جبهة في أخرى، فبالنسبة لأولئك الذين في المقدمة لا يمكن دعمهم أو إعفاؤهم للراحة في وقت المعركة إلا من خلال الطريقة التي لاحظها واتبعها الرومان بشكل رائع. الآن أوضح لك الطريقة التي تم بها إنجاز تلك الأمور، يجب أن أخبرك بأن الرومان قاموا بتقسيم كل فيلق إلى (hastati, principes, and triarii) أي هاستاتي وبرنسبي وترياري، يتم وضع الأولى في مقدمة أول صف للجيش في نظام وترتيب كثيف ومتلاحم بشدة، توضع principes في الصف الثاني ولكن في ترتيب فضفاض، ويتم وضع (triarii) في الصف الثالث مع فواصل تصبح أكبر بين الرجال في صفوفهم لدرجة أن تستوعب كلا من (principes and hastate) عندما تحين المناسبة. إلى جانب هؤلاء، كان لديهم رماة المقلاع ورماة السهام والجنود ذوو التسليح الخفيف الذين لم يتم وضعهم في هذه الصفوف ولكن تم توزيعهم في المقدمة إلى اليمين واليسار بين الفرسان والمشاة. اعتادت هذه القوات خفيفة التسليح على بدأ الاشتباك، وإن تغلبوا على العدو، وهذا نادرا ما يحدث، فهم يواصلون تقدمهم،

ولكن إذا تراجعوا، يقومون بالانسحاب إما على طول جانبي الجيش، أو من خلال فواصل معينة بها تُركت مفتوحة لهذا الغرض لتغطية تجار المؤن والخدم والأشخاص العُزل الذين يتبعون المخيم أو المعسكر. بعد ذلك، تتقدم (hastati) ضد العدو، إذا تم صدهم، ينسحبون على مهل من خلال المساحات المتروكة لهم بين (principes) ويتقدمونْ مرة أخرى معهم لتجديد الاشتباك، ولكن إن تم التغلب على هذا الخط أيضا، ينسحب عائدا مرة أخرى إلى (triarii)، وبالتالي يتجمع الثلاثة معا، يهاجمون بنشاط وقوة أكثر من أي وقت مضى، إن فشل ذلك، فقد خسروا اليوم، لأنهم لم يتبقى معهم أية موارد أو وسائل للإغاثة. يتمركز الفرسان على كل جانب من المشاة في شكل جناحين وعندما يتطلب الموقف يشتبكون أحيانا مع فرسان العدو وأحيانا يدعمون قوات المشاة الخاصة بهم. هذه الطريقة في تجديد الهجوم ثلاث مرات بالكاد يمكن أن تصمد، حيث يجب على فورتونا إلهة الحظ التخلي عنكم ثلاث مرات ويجب أن يتحلى العدو بالمزايا الكافية لهزيمتكم ثلاث مرات.

لم يكن لدَى الإغريق هذا الأسلوب لتجديد مقدمة كتائبهم، على الرغم من أن هذه الكتائب تتألف من العديد من الجنود والعديد من الصفوف ويشكلون هيئة واحدة، أو بالأحرى، جبهة واحدة. وللتخفيف عن بعضها البعض، لا ينسحب صف داخل الآخر، كما فعل الرومان، ولكن يتقدم رجل واحد فقط في مكان الآخر عندما يكون شاغرا. ويتم تحقيق هذا على النحو التالي: عندما يتم وضع كتائبهم في طوابير (والتي سنفترض أن كلًّا منها تتكون من 50 رجلا) مع مقدمتها باتجاه العدو، ربما تبدأ أول 6 صفوف جميعا في الاشتباك مرة واحدة، مع رماحهم، والتي أطلقوا عليها اسم (sarissae)، كانت طويلة جدًّا بحيث تصل من أولئك الذين في الصف السادس إلى أكتاف الرجال بالصف الأول. وبالتالي، إذا تم قتل أو إعاقة أي رجل

بالصف الأول أثناء القتال، يتقدم الرجل الذي وراءه في الصف الثاني على الفور إلى مكانه، ويملأ الشخص الذي وراءه مباشرة بالصف الثالث مكانه الشاغر في الصف الثاني، وهكذا، يتم شغل الصفوف التي في المؤخرة باستمرار لسد العجز والقصور في صفوف المقدمة، بحيث يتم الحفاظ على جميع الصفوف كاملة وتامة باستمرار، ماعدا الأخير، الذي استُنفد أخيرا، لأنه لا يوجد صف آخر لتعزيزه وتدعيمه. وبالتالي، هذه الكتائب قد تُهدر وتضيع وتتم إبادتها ومحوها تدريجيا، ولكن نادرا ما يمكن كسرها بسبب النظام الوثيق والمدمج المتلاحم في هيكلها والذي جعلها عصية على الاختراق.

شكل الرومان في البداية فيالقهم بهذه الطريقة، تقليدا لكتائب اليونان، ولكن في النهاية عندما زاد الاستياء والضيق منها، قاموا بتقسيمهم إلى المزيد من الفيالق والكتائب والجماعات (cohortes and manipuli) اقتناعا بأن مثل هذه الفيالق لديها حيوية ونشاط أكثر عندما يكون لديهم ضباط أكثر لكي يمنحوهم الإلهام، وعندما يتم تقسيمهم بحيث يمكن لكل قسم العمل بشكل منفصل وتدعيم نفسه.

تعتمد الكتائب السويسرية في الوقت الحاضر على نموذج الكتائب القديمة واتباع أسلوبهم في كل من مقاربة ومشابهة ترتيبهم للمعركة، والتخفيف عن صفوفهم، عندما يشتبكون، يتمركزون على جوانب بعضهم البعض، وليس في خط متوازٍ. ليست لديهم طريقة في استلام وإدخال الصف الأول وهل يجب إعادته ودمجه في الصف الثاني، فمن أجل التخفيف عن بعضهم البعض، يقومون بوضع كتيبة واحدة في الأمام وأخرى خلفها بقليل على اليمين، بحيث إن واجهت الأولى صعوبة قد تتقدم الثانية إلى مساعدتها، ويتم وضع الثالثة خلفهم على اليمين أيضًا على مسافة من تسديدة السلاح الناري أو الهركوبة.

لقد اختاروا وتبنوا هذا الترتيب والتنظيم بحيث إن وجب على الكتيبتين الأخريين التراجع، يمكن للثالثة التقدم للتخفيف عنهم، ولدى كل منهم مساحة كافية إما للتراجع أو التقدم بدون الوقوع في أخطاء من إحداهما نحو الأخرى، حيث لا يمكن أن تتلقى مجموعة كبيرة الأخرى بنفس الطريقة مثل المجموعة الصغيرة، ولذلك فإن المجموعات الصغيرة المتميزة التي تُكوِّن الفيالق الرومانية هي الأنسب في كل من تلقى والتخفيف عن بعضها البعض، حقيقة أن الطريقة التي اتبعها السويسريون ليست جيدة كالتي اتخذها قدامى الرومان تظهر بوضوح جدًّا من خلال نجاح فيالق الرومان، التي دائما ما حصلت على الأسبقية من الكتائب اليونانية، كلما حدث الاشتباك أو الالتحام، لأن كلًّا من أسلحتهم ومدرعاتهم وأسلوبهم في تلقى الصف للآخر كانت أفضل بكثير من الأسلحة والانضباط والترتيب المتقارب للكتائب الأخرى.

الآن، ومن أجل تشكيل جيش تبعا لطريقة كليهما، فسوف أجعل الكتائب اليونانية نموذجيًّا في بعض النواحي، والفيالق الرومانية مثاليًّا في جوانب أخرى، لذلك، كما قلت لك من قبل، سيكون لدى 2000 رماح في كتيبتي، مسلحين كالكتائب المقدونية، و3000 رجل بسيوف ودروع، مثل الفيالق الرومانية. تماما كما قسم الرومان فيالقهم إلى 10 أفواج، سوف أقسم أفواجي إلى 10 كتائب، مثلهم أيضا، سأعين المشاة (velites) لبدء المعركة. وبما أنني احتفظت بأسلحة كلا البلدين، فسأقلد أيضًا نظام وانضباط كل منهما، إلى حد معين. وبالتالي أكون قد حرصت على أن تكون أول 5 صفوف من كل كتيبة تتكون من رماحين، والبقية من حاملي الدروع، وسيتم ذلك حتى يتسنى للبقية أن تكون ليست فقط قادرة على صد ضربة فرسان العدو في المقدمة أو الجبهة واختراق المشاة التابعة للعدو، بل أيضًا فتحها يمينا ويسارا بحيث يأتي حاملو الدروع لاستكمال النصر.

الآن، إذا أخذت في الاعتبار قوة هذا التنظيم، فستجد كيف تم الإعداد والحساب جيدًّا لهذا الغرض، لأن الرماحين ذوي خدمة مثيرة للإعجاب ضد الفرسان وهم أيضًا مفيدون قبل الوصول إلى نقطة القتال يدا إلى يد مع المشاة - بعد هذا لا يوجد لهم فائدة على الإطلاق. وبالتالي، يضع السويسريون صفًّا من حاملي المطارد أي حاملي الرماح والفؤوس خلف كل ثلاث صفوف من الرماحين، ولكن لا تكون المساحة كافية. لذلك، عندما نضع الرماحين الخاصين بنا في المقدمة وحاملي الدروع خلفهم، فهم يعملون في كل من تعطيل فرسان العدو وإحداث اضطراب بالمشاة، ولكن بعد التحام المعركة ويصبحون عديمي الفائدة، يتقدم حاملو الدروع بسيوفهم والأسلحة التي قد تكون مفيدة في القتال القريب المتلاحم.

لويجي: نحن نتوق لسماع كيف سترتب وتصف الجيش، وبالتالي التسليح والتعيين، من أجل المعركة.

فابريزيو: كنت على وشك القيام بذلك، يجب أن تعرف إذا، أن جيش القنصلية الرومانية لم يتعدَّ فيلقين من حوالي 11000 من المشاة و600 خيالة، مُكونين تماما من مواطنيها. إلى جانب هؤلاء، تم تزويدهم بأكبر عدد ممكن من كلا النوعين عن طريق أصدقائهم وحلفائهم، فقاموا بتقسيمهم إلى مجموعتين تُسميان الجناح الأيمن والجناح الأيسر ومتمركزتان على كل جهة، ولكنهم لم يسمحوا لعدد هذه المساعدات أن يتجاوز عدد فيالقهم، رغم أنه كان هناك بصفة عامة نسبية أكبر من الفرسان بين حلفائهم أكثر من التي في قواتهم. بمثل هذا الجيش، المتكون من 22000 من المشاة و2000 من الفرسان الجيدين، استخدمهم القنصل في معظم الحملات، ولكن عند وجود عدو جبار للغاية، كانوا يرسلون قنصلين مع اثنين من هذه الجيوش متحدة معا.

يجب أن تعرف أيضًا أنه في العمليات الرئيسية الثلاث للجيش- المسيرة،

المعسكر، والمعركة - كانوا يقومون باستمرار بتمركز فيالقهم في المنتصف أو المركز، وكان حكمهم سليما بأن القوات التي يضعون فيها عددًا أكبر يجب أن تكون دائما متضافرة ومتحدة، كما سأوضح لكم عندما أتكلم بشكل أكثر خصوصية عن هذه العمليات الثلاث، ولكن سرعان ما أصبحت هذه المشاة المساعدة من خلال التحامهم ومحادثتهم اليومية مع مشاة الفيالق على نفس درجة استعدادهم للخدمة، لأن تدريبهم وانضباطهم تم بنفس الطريقة وتشكيلهم تم بنفس ترتيب المعركة قبل الاشتباك. لذلك، عندما نعرف كيف وضع الرومان فيلقا واحد لهذا الغرض، فسنعرف كيفية وضع جيش كامل، كما قلت، قاموا بتشكيل فيلقهم في ثلاثة صفوف، بحيث يمكن لصف أن يتلقى آخر، وبناء عليه أخبرتك كيف يرتبون جيشهم كله في يوم المعركة.

بعد ذلك، لتشكيل جيش في ترتيب المعركة مشابه للرومان، سوف آخذ فوجين، لأن لديهم فيلقين، وتستطيع أن ترى من خلال ترتيبهم كيفية تنظيم جيش كامل، إن كنت ترغب في إضافة أكثر، لا يوجد أي شيء تفعله إلا مضاعفة أو توسيع الصفوف. على ما أظن، لا داعي لتذكيرك كم يوجد من المشاة في فوج يحتوى على عشر كتائب، بأي نوع من الأسلحة والدروع لديهم، بأي عدد من السرايا هم، بأي ضباط لدى كل منهم، بكم عدد الرجال المصنفين كقوات مشاة خفيفة ورماحين -كل من العاديين وفوق العادة أو الاستثنائيين- بأي عدد من حاملي الدروع، إلخ، لأنني حين ذكرت هذه الأشياء منذ قليل، كنت أرغب منكم أن تذونوا ملاحظات خاصة بهم وتتذكروهم كضرورة حتمية لإعطائكم فكرة واضحة عن الترتيب كله، لذلك، ودون أي تكرار من هذا النوع، سوف أنتقل إلى ترتيب وتنظيم جيشي.

لهذا الغرض، سأضع ال 10 كتائب للفوج الواحد على اليسار، وال 10 الآخرين على اليمين. ويتم تشكيل هؤلاء الموجودين على اليسار بهذه الطريقة: تمركز خمس

كتائب على جوانب بعضهم البعض في المقدمة مع فاصل من 8 أقدام بينهم، وجعل المساحة التي يشغلونها تتكون من 282 قدما عرضا و80 قدما عمقا، في الجزء الخلفي من هؤلاء ال 5 سأضع ثلاثة آخرين على مسافة 80 قدما، يجب أن تكون الأولى في خط مستقيم مع الكتيبة على الجناح الأيسر للموجودين في المقدمة، الثانية مع التي على الجهة اليمنى، والثالثة مع التي بالمنتصف، بحيث يشغل هؤلاء الثلاثة الكثير من المساحة بكل من العرض والعمق كالخمسة الآخرين، ولكن على الرغم من أن المسافة بين كل واحدة من هؤلاء الخمسة هي 8 أقدام فقط، فسأترك المسافة بين هؤلاء الثلاث 66 قدما. سأضع في المؤخرة من هؤلاء الكتيبتين المتبقيتين على مسافة 80 قدما، واحدة منها على خط مستقيم مع التي على يسار الثلاثة الأخيرة المذكورة، والأخرى مع التي على اليمين مع فاصل من 92 قدما بينهم. وبالتالي، فان المساحة التي ستشكلها كل الكتائب ستكون 282 قدما عرضا و400 عمقا. أود أن أقوم بترتيب الرماحين فوق العادة أو الاستثنائيين على طول الجهة اليسرى لهذه الكتائب، على مسافة 40 قدما، وسوف أكون منهم 140 صفًا، سبعة رجال بكل صف، بحيث يقومون بتغطية الجناح الأيسر بالكامل بالكتائب الموضوعة بالطريقة التي وصفتها، وبعد توزيع النقباء والعرفاء في أماكنهم المناسبة، سوف يكون هناك 40 صفا باقين لحراسة الأمتعة، وتجار المستلزمات العسكرية، وباقي الأشخاص العزل التابعين للمعسكر في مؤخرة الجيش. سأضع من بين العقداء الثلاثة التابعين لهم واحدًا بالمقدمة، وآخر بالمنتصف، وثالثًا بالمؤخرة.

ولكن للعودة إلى الجزء الأمامي من الجيش، سأضع 500 من قوات المشاة الخفيفة الاستثنائية إلى جانب الرماحين الاستثنائيين والسماح لهم بشغل مساحة 80 قدما. سأضع بجوارهم على اليسار رجالي المسلحين وأسمح لهم بشغل مساحة 450 قدما، وسوف أترك قوات المشاة الخفيفة العادية بكتائبهم في أماكنهم المناسبة – وهى في

الفواصل بين الكتيبة والأخرى، لتكون موجودة بها، كما كانوا - ما لم أعتقد أنه من المناسب وضعهم تحت غطاء الرماحين الاستثنائيين، سأفعل هذا أحيانا وأحيانا أخرى لن أفعل، بناء على الأفضل لمصلحتي، سأضع عقيد الفوج بألوانه وطبوله إما في منتصف المسافة المتبقية بين الصفوف الأولى والثانية للكتائب، أو أمامهم في الفاصل بين آخر أول خمس كتائب والرماحين الاستثنائيين - اعتمادا على ما أراه أكثر ملاءمة، وحول العقيد سيكون لديه 30 أو 40 رجلًا مختارين وهم الذين سيكون لديهم ليس فقط حسن تقدير كافٍ لنقل أوامره بشكل صحيح وبوضوح لأركان الجيش المختلفة، ولكن أيضًا سيكونون قادرين على صد العدو عنه إذا تعرض للهجوم.

سأشكل فوجا على اليسار بهذه الطريقة، وسيكون من نصف الجيش فقط ويشغل مساحة 572 قدما عرضا و400 قدمٍ عمقًا، باستثناء المساحة المشغولة بالـ40 صفًّا للرماحين الاستثنائيين الذين هم لحراسة الأمتعة بالخلف أو المؤخرة، والتي ستكون 200 قدم، سوف أضع الفوج الآخر بنفس الطريقة على يمين هذا، مع فاصل من 60 قدما بينهم، سأضع على رأس هذا الفاصل بعض قطع من المدفعية، خلفها يأخذ قائد الجيش مركزه مع رايته وطبوله، وعلى الأقل 200 رجل مختارين، معظمهم على الأقدام، يجب أن يكون منهم عشرة أو أكثر ملائمون لتحمل أية أوامر، هو نفسه يجب إركابه وتسليحه بطريقة تسمح له بالقيادة إما على ظهر الخيل أو سيرا على الأقدام، كما تتطلب المناسبة.

أما بالنسبة للمدفعية، فإن 40 مدفعا سنكون كافيا لصد بلدة، وسوف أستخدمها في الدفاع عن حملتي أكثر من اشتباك الميدان، سيكون هناك لأجزاء الميدان سأحتاج فقط 12 مدفعا أو هكذا، وسأضعها على طول مقدمة الجيش كله طالما كانت الأرض التي سأضعهم بها مناسبة وآمنة من الجوانب حيث لا يمكن للعدو الهجوم عليهم.

ربما تحقق هذه الطريقة لترتيب الجيش هدف وغاية كل من الكتيبة اليونانية والفيلق الروماني، حيث سيكون لديك الرماحون بالمقدمة، ويتم تشكيل كل ما تبقى من المشاة في صفوفهم المناسبة التي تُستخدم إما لمهاجمة العدو أو في تدعيم وتعزيز الهجوم، مثل الكتيبة، تعزز وتدعم صفوف المقدمة من هؤلاء الموجودين في المؤخرة.

من ناحية أخرى، إذا تم الضغط عليهم لإلزامهم بالاستسلام، فقد يتراجعون إلى الفواصل بالصف الثاني ويتقدمون مرة أخرى بالاشتراك معه لمواجهة العدو، إذا تم صدهم للمرة الثانية، فقد ينسحبون إلى الفواصل بين الكتائب بالصف الثالث، ويجددون المعركة بالمزيد من القوة والحيوية، ومن خلال هذه الطريقة يمكن أن تعزز صفوفك بكل من الطريقة اليونانية أو الرومانية، بالنسبة لقوة هذا الجيش، لا شيء يمكن أن يكون أكثر إحكاما واندماجا، حيث إن كل جناح محصن جيدًّا عن طريق كل من الضباط والرجال المسلحين بشكل مناسب ومجهزين بطريقة التي لو كان بها أي ضعف واضح فيجب أن يكون في المؤخرة، حيث تتمركز العربات وتجار اللوازم الحربية وحتى هؤلاء المؤمنين من قبل الرماحين فوق العادة أو الاستثنائيين.

وبالتالي، لأن الجيش محصن جيدًّا من جميع الجوانب، فلا يمكن مُهاجمته من أي مكان عن طريق أي عدو دون الاستعداد لاستقباله ومواجهته، حيث إن المؤخرة ليست في خطر، لأنه إن كان العدو قويًّا جدًّا لدرجة أنه قادر على مهاجمتك من كل جانب في آن واحد، فإنه يجب أن يكون جنون من جانبك لخوض المعركة ضده، ولكن لنفترض أنه متفوق عليك في العدد بمقدار الثلث، وجيشه مسلح ومنظم مثل جيشك، هل كان يضعفه من أجل الهجوم عليك في وقت واحد من جوانب متعددة في وقت واحد، فإن حدث وأنك اخترقتهم من أي جانب، فإن النصر لك. أما بالنسبة للفرسان، ليس هناك شيء للخوف منهم، حيث إن الرماحين المحيطين بك من كل

جانب سيقومون بتأمينك من ضراوتهم بما فيه الكفاية، حتى إن تم صد الخاصين بك يتم توزيع ضباطك بشكل مناسب يُمكنهم من أداء وظيفتهم بسهولة، وتعمل المسافات بين الكتيبة والأخرى وبين كل صف، ليس فقط على استقبال الكتائب والصفوف الأخرى عندما تسنح الفرصة، بل أيضًا في إعطاء الضباط مساحة كافية للانتقال ذهابا وإيابا حسب أوامر الجنرال.

الآن، وكما قلت لكم من قبل، بما أن الرومان كان لديهم حوالي 24000 رجل في جيوشهم، أود أن يكون لدى جيش مكون من نفس العدد، وبما أن مساعديهم قد تعلموا انضباطهم وترتيبهم من فيالقهم، سأشكل أيضًا مساعدينا على نفس نموذج فيالقنا. يمكن تنفيذ هذه الأمور بسهولة بالقليل من الممارسة والتدريب، لأنه بإضافة فوجين آخرين إلى الجيش – أو أي عدد موجود من الجنود المساعدين بالفعل، فليكن الأمر ما سيكون عليه – فليس لديك شيء تقوم به سوى مضاعفة صفوفك عن طريق وضع 20 كتيبة على اليسار، بدلا من 10، وعدد مساو على اليمين أو تمديدهم أو تقليصهم وفقا لطبيعة الأرض وموقف العدو.

لويجي: أفهمك تماما يا سيدي، ويبدو أنني أرى جيشك منظما ومرتبا للمعركة، وأنا منتظر بفارغ الصبر لكي أراك تبدأ، فبحق السماء لا تقلب (Fabius Maximus) فابيوس ماكسيموس[1] علينا. إن قمت بذلك، أخشى أنني سأميل إلى ظلمك والإساءة لك كما فعل الشعب الروماني له.

1. كوينتس فابيوس ماكسيموس (بالإنجليزية: Quintus Fabius Maximus) (280 ق.م – 203 ق.م)، قائد وسياسي روماني. أنتخب قنصلًا لروما خمس مرات أعوام (233 ق.م، 228 ق.م، 215 ق.م، 214 ق.م، 209 ق.م)، وكدكتاتور مرتين في عامي (221 ق.م و217 ق.م). اشتهر بلقب Cunctator والذي يعني باللاتينية (المُؤجّل)، إشارة إلى تكتيكاته العسكرية خلال الحرب البونيقية الثانية. كما كان له لقب آخر وهو Verrucosus والذي يعني (الثؤلولي)، في إشارة إلى نتوءات كانت فوق شفته العليا. من ويكيبيديا – المترجم إلى العربية.

فابريزيو: وأنا على استعداد. تم إعطاء الإشارة، ألم تسمع بمدفعيتنا؟ أطلقت ولكن أحدثت القليل من الضرر للعدو، قامت قوات المشاة الخفيفة الاستثنائية وقوة الفرسان الخفيفة بوضع هتاف عظيم وبدأت الهجوم بضراوة شديدة. قامت مدفعية العدو بإطلاق قذائفهم، ولكن مرت كراتهم من فوق رؤوس المشاة الخاصة بنا دون أن تسبب لهم أي أذى، ولكن لمنع مدفعيتهم من الإطلاق مرة ثانية، سعت قوات المشاة الخفيفة وقوات الفرسان الخفيفة الخاصة بنا إلى أن يصبحوا مسيطرين عليها، تمركز مجموعة من العدو أنفسهم أمامها، لكي تصبح المدفعية على كل الجوانب عديمة الفائدة. يا تُرى أي مزايا يحمل رجالنا. توحي لهم المهارات التي اكتسبوها من خلال التدريب والانضباط طويل المدى بالثقة. تتحرك الكتائب بوتيرة ثابتة وبحالة جيدة، مع وجود الرجال المسلحين على جوانبها لمهاجمة العدو. انسحبت مدفعيتنا من خلال المسافة الشاغرة المتبقية من قبل المشاة الخفيفة من أجل إفساح مجال لها. نرى كيفية تشجيع الجنرال لرجاله ويضمن ويؤكد لهم النصر. نلاحظ عودة وتمديد قوات المشاة الخفيفة الخاصة بنا وقوة الفرسان الخفيفة لأنفسهم على طول جوانب جيوشنا لمعرفة إذا ما كانوا يمكنهم التسبب بأي ضرر للعدو على جوانبه، تشابك الجيشان الآن، انظر إلى المزايا والصمت التي يتلقى رجالنا بهم الهجوم. ألم تسمع الجنرال يُعطى أوامره لرجاله المسلحين للثبات في أرضهم ولا يتقدموا نحو العدو، ولا على أي حساب لفرار المشاة؟ انظر كيفية قيام مجموعة من قوة الفرسان الخفيفة لدينا بفصل نفسها لمهاجمة مجموعة من حاملي الأسلحة النارية للعدو التي كانت قادمة لمهاجمتنا من الجناح، وكيفية تقدم فرسان العدو لدعمهم، ولكن لكي يتفادى حاملو الأسلحة النارية التورط بينهم، يقومون بالانسحاب نحو جيشهم. انظر بكم من الدقة والبراعة يتعامل رماحون عاديون مع أسلحتهم، ولكن الآن أصبحت المُشاة على كل جانب قريبة جدًّا من بعضها بحيث لم يعد الرماحين في جيشنا قادرين على استخدام رماحهم، وبالتالي، وفقا لانضباطهم المعتاد، يقومون

بالانسحاب تدريجيا حتى يتقابلوا بحاملي الدروع. انظر على اليسار كيف يمكن لمجموعة كبيرة من الرجال المسلحين للعدو في هذه الأثناء بدفع رجالنا المسلحين الذين قاموا بالانسحاب، كما تعلموا سابقا، إلى الرماحين الاستثنائيين وبالحصول على دعمهم، لم يتمكنوا فقط من التقدم مرة أخرى نحو العدو، بل أيضًا صدهم ببطش كبير.

والآن تراجع الرماحون العاديون من الكتائب الأولى وأصبحوا بين حاملي الدروع ثم يقومون بتركهم لمواصلة المعركة، تأمل الدمار الذي أحدثوه بين العدو، انظر إلى المزايا والثقة ورباطة الجأش التي يقومون باستعمالها معهم، انظر كيف يشتبكون معهم متلاحمين عن كثب فبالكاد لديهم مساحة للتعامل مع سيوفهم. العدو مرتبك ويشعر بالالتباس والاضطراب لأن رماحهم طويلة جدًّا للقيام بأي عمل إضافي وليس لسيوفهم أية فائدة ضد الرجال المتمتعين بحماية جيدة جدًّا عن طريق دروعهم. يا لها من مجزرة! كم من الرجال الجرحى! لقد بدؤوا في الفرار. انظر، إنهم يفرون على اليمين وعلى اليسار. لقد انتهت المعركة. لقد حصلنا على نصر مجيد. ربما كان يمكن أن يكون أكثر اكتمالا، لو كنا قد بذلنا كل قوتنا. ولكن كما ترى، نحن لم نكن في حاجة لتوظيف سواء صفنا الثاني أو الثالث، حيث كان الأول كافيا في إتمام المهمة. لذلك، ليس لدى أي شيء لأضيفه بهذا الخصوص إلا الرد على أي اعتراض أو شك قد يكون لديك.

لويجي: لقد تعاملت مع كل شيء بسرعة مذهلة، بحيث إنني لا يمكنني أن أتذكر بسهولة إن كان لدى اعتراض أم لا. ومع ذلك، طاعة لتقديرك الفائق، فسوف أتجرأ وأسألك سؤالا متحررا أو اثنين، لذلك، فضلا أخبرني أولا لماذا لن تدع مدفعيتك تطلق أكثر من مرة واحدة. ولماذا أمرت بإيقاف تشغيلها بهذه السرعة دون أي استخدام لها بعد ذلك. ثانيا، لقد تمكنت من مدفعية العدو تماما كما كنت

ترغب وجعلت تسديدها سيئا للغاية لدرجة أنها لم تسبب أي ضرر، أعتقد أنه يمكن أن تكون هذه الحال في بعض الأحيان، ولكن إن وجب حدوث (كما أعتقد أنه غالبا ما يحدث) أن الرصاصة أصابت الوطن، ما العلاج الذي تصفه؟

ولأني ذكرت المدفعية فيجب عليَّ طرح كل شيء أود قوله هنا بخصوص هذا الموضوع حتى لا نضطر للعودة إليه في وقت لاحق. لقد سمعت الكثير من الناس يسخرون من الأسلحة والدروع والانضباط العسكري للقدماء، فهم يرون أنه سيكون الآن ذا خدمة ضئيلة أو معدومة، حيث إن اختراع المدفعية يمكنه تفكيك كل صفوفهم وتكسير دروعهم إلى قطع، يرون أنه سيكون من الحماقة وضع مجموعة من القوات في ترتيب لا يمكنهم الحفاظ عليه ويخضع لعناء حمل الدروع التي لا يمكنها بأي حال من الأحوال حمايتهم.

فابريزيو: لديك اعتراضات متعددة الأنواع، وبالتالي؛ يجب أن تتحلى بالصبر إن كنت تتوقع إجابة خاصة لها جميعا.

هذا صحيح، قامت مدفعيتنا بقذيفة واحدة، وكان لديَّ شكوك حول ما إذا كان يجب أن أسمح حتى بهذه الواحدة، لأن الحفاظ على النفس أكثر أهمية من إغضاب العدو. الآن، من أجل حماية نفسك من المدفعية، إما أن تبقى بعيدًا عن متناول قذيفتها أو وضع نفسك خلف جدار، أو سور أو بعض السياج من هذا النوع؛ لا يوجد أي غطاء آخر أعرفه، ومرة أخرى، يجب أن يكون غطاءً قويًّا جدًّا. ولكن عند وضع جيش في نظام المعركة، فلا يمكنه التواري خلف جدار أو سور، ولا حتى البقاء على مسافة حيث لا يمكن إزعاجه من قبل مدفعية العدو. حيث لا يوجد وسيلة إذن لحماية النفس منها، يجب أن يلجأ الجنرال إلى الوسائل التي تعرضه هو ورجاله لأقل خطر، لهذا الغرض، فإن الطريقة الأفضل - وفى الواقع الوحيدة - هي جعل أنفسهم متخصصين بها إن أمكن وبأسرع ما يمكن. للقيام بذلك، فمن الضروري لمجموعة

من رجالك أن تسير صعودا وتنطلق فجأة، ولكن يجب ألا يقوموا بذلك بترتيب متقارب لأن فجائية الهجوم ستمنع المدفعية من الإطلاق أكثر من مرة، وعندما يتم سحب رجالك بخفة فلا يمكنها التسبب بأي ضرر بينهم.

الآن، الهيكل المنضم من القوات النظامية ليس مناسبا لهذه الخدمة إطلاقا، إن تحرك بسرعة، فيجب أن يحدث له اضطراب طبيعيا في نفسه ومن نفسه، إن تمدد وأضعف صفوفه، فسيتم اختراقه في الحال عن طريق العدو.

وفي ضوء هذه الاعتبارات، وضعت جيشي بالطريقة الأكثر ملاءمة لمثل هذه المحاولات، بعد وضع 1000 من المشاة الخفيفة على طول أجنحته، أمرتهم بالتقدم، جنبا إلى جنب مع الفرسان الخفيفة، بمجرد إطلاق مدفعيتنا للاستيلاء على العدو. هذا هو سبب أنني لم أسمح لمدفعيتنا بإطلاق القذيفة الثانية، خوفا من أن يكون لدى العدو الوقت لفعل نفس الشيء، كما فعلوا بسهولة، ربما كانوا قد قاموا بذلك قبل شحن مدفعيتنا مرة أخرى، إن لم أقم باتخاذ هذه الوسائل لمنعها. وبذلك فإن الطريقة الوحيدة لجعل مدفعية العدو غير مجدية هي مهاجمتها في أقرب وقت ممكن، إن تركوها، تقع في يديك بطبيعة الحال، وإن قاموا بالدفاع عنها، فيجب عليهم وضع مجموعة من القوات أمامها، وبالتالي لن يجرؤوا على الإطلاق مرة أخرى لأن رجالهم يجب أن يكونوا الأفراد الرئيسين الذين سيعانون.

أعتقد أنه يجب أن تكون هذه الأسباب كافية في حد ذاتها دون اقتباس أية أمثلة لدعمهم، ولكن لأن العصور القديمة توفر لنا الكثير من الأمثلة، فسوف أضرب لك واحدا أو اثنين. عندما عقد (Ventidius) فانتديوس العزم على محاربة البارثيين (Parthians)، (الذين تكمن أساس قوتهم في أقواسهم وأسهمهم)، سمح لهم بالتقدم إلى حصن معسكره قبل أن يسحب جيشه، وقام بهذا حتى يتمكن من الهجوم عليهم فجأة قبل أن يتمكنوا من استخدام سهامهم.

يخبرنا (Caesar) قيصر أنه تمت مهاجمته في إحدى معارك بلاد الغال (Gauls) فجأة وبشراسة من قبل الإغريق حتى إن رجاله لم يكن لديهم الوقت لإطلاق سهامهم على العدو - كما اعتاد أن يفعل الرومان دائما. نرى الآن من خلال هذه الأمثلة أنه من أجل حماية جيش في الميدان من تأثيرات أية أسلحة تزعجهم من على مسافة بعيدة، لا توجد أية وسيلة أخرى سوى السير صعودا بأسرع ما يمكن، وامتلاك هذه الأسلحة إن أمكن، أو على الأقل منع آثارها.

بالإضافة إلى هذه الأسباب، لدى سبب آخر يجعلني أقرر ألا أطلق مدفعيتي أكثر من مرة، ربما يبدو لك تافها، ولكنه يزن لي الكثير. لا يوجد شيء يسبب أكبر ارتباك وإعاقة بين مجموعة من الرجال من إبهار أو إعاقة أبصارهم، هذا الظرف سبب الدمار للعديد من الجيوش الباسلة التي أصيبت بالعمى إما بواسطة الشمس أو عن طريق سُحب من الغبار وما الذي يمكنه المساهمة في ذلك أكثر من دخان المدفعية؟، وبالتالي، سيكون الأمر أكثر احتراسا، السماح للعدو بإعماء أنفسهم بدلا من الذهاب سعيا لجعلهم معصوبي العينين، وبما أنني لن أستخدم أي مدافع على الإطلاق، أو إن قمت بذلك - تجنبا للانتقادات الآن بأن الأسلحة الكبيرة لها مثل هذه السمعة - سأضعها على طول الأجنحة الخاصة بي بحيث عندما يتم إطلاقها، لا يعمى الدخان رجالي في المقدمة، حيث سيكون زهرة جيشي.

قد يظهر آثار ذلك في تصرف (Epaminondas) ايامينونداس، الذي حين ذهب للاشتباك مع العدو، كان كل فرسانه الخفيفة يهرولون ذهابا وإيابا في الجزء الأمامي من جيشهم، مما آثار مثل هذا الغبار الذي جعل أعداءه في فوضى وقدم له فوزا سهلا عليهم.

أما بالنسبة لما كان يبدو أنني أرغب في أن تنطلق مدفعية العدو وتجعل الرَّصاص يتطاير فوق رؤوس المشاة لدينا، أجيب بأنه في كثير من الأحيان تنجح هذه الطريقة

أكثر من غيرها، لأن المشاة تبقى منخفضة جدًّا، ولأنه ليس بالأمر السهل التعامل جيدًّا مع قطع ثقيلة من مدفع - سواء إن كنت أعلى منهم أو منخفضًا عنهم كثيرا أو قليلا، ففي إحدى الحالات ستتطاير الكرات فوق رؤوسهم تماما، وفي الأخرى ستقع على الأرض ولن تقترب أبدا منهم، أقل تفاوت في التضاريس يُعد أيضًا نعمة كبيرة لهم، حيث إن أي ركام أو عائق صغير بينهم وبين المدفعية تخدم إما لعرقلة الطلقة أو تغيير مسارها. أما بالنسبة لسلاح الفرسان وخاصة الرجال المسلحين (لأنه بسبب وضعهم في ترتيب متقارب ويقفون على مراكز أعلى بكثير من المشاة الخفيفة فهم أكثر عرضة للخطر)، قد يبقون في مؤخرة الجيش حتى إطلاق المدفعية.

من المؤكد أن قطعًا صغيرة من مدفع وتسديدة من السلاح الناري تتسبب بضرر أكثر من المدفعية الثقيلة، إن العلاج الأمثل لهذا الأخير هو شن هجوم حاسم وحازم عليه في أقرب وقت ممكن، وإن خسرت بعض رجالك أثناء القيام بهذا (حيث يكون دائما الحال)، فبالتأكيد الخسارة الجزئية ليست مثل سوء الهزيمة أو الخسارة الكاملة، يستحق السويسريون التقليد في هذا الصدد، فإنهم لم ينسحبوا أبدا من اشتباك خوفا من المدفعية، ولكن دائما ما يحكمون بالإعدام على أولئك الذين يريدون إثارة صفوفهم، أو أولئك الذين يُظهرون على الأقل إشارة على خوفهم منها، لهذا السبب أغلقت مدفعيتي حالما تم تفريغها من أجل إفساح المجال للكتائب للمُضي قدما، لم أتطرق إلى المزيد عنها لأنها أصبحت شيئا ليس له عواقب بعد التحام الجيشين في المعركة.

كنت تقول أيضًا إن العديد من الناس يسخرون من الأسلحة والدروع والانضباط العسكري للقدماء، لأنه منذ اختراع المدفعية أصبحت هذه الأشياء عديمة الفائدة، وبالتالي، يجب أن يكون المرء قادرا على تصور أن المعاصرين قد أصدروا حكما فعالا ضدها، إذا كان الأمر كذلك، فسوف أكون سعيدا لسماع ما هو هذا الحكم،

حيث إنني أعترف بأني لا أعرف شيئا، ولا أعتقد أنه من الممكن تقديم أي شيء إلا ما قد سبق وأشرت إليه، لماذا ترتدي المشاة الخاصة بنا في الوقت الحاضر دروعًا حديدية ولماذا يُغطى رجالنا المسلحون بالدروع من الرأس إلى القدم؟ إن كانوا يحتقرون طريقة التسليح لدى القدماء هذه، باعتبارها غير مجدية أمام المدفعية، فلماذا يستمرون في استخدامها بأنفسهم؟ أود أن أعرف أيضًا لماذا يقوم السويسريون، على غرار القدماء، بتشكيل كتائبهم المكونة من 6000 أو 8000 من المشاة موضوعة في ترتيب وثيق متلاحم، لماذا بدأت كل الدول الأخرى في تقليدهم، بما أن هذه الطريقة تُعرض جيوشهم لخطر من المدفعية ليس أقل من العديد من التقاليد والأعراف الأخرى الموجودة كنماذج لدى القدامى. هذه الأسئلة أتصور أنه لا يستطيع هؤلاء الأشخاص الذين ذكرتهم الإجابة عليها بسهولة، ولكن إن كنا سنطرح هذه الأسئلة على جنود ذوى تقدير وخبرة، فسيخبرونك أن تسليحهم بهذه الطريقة ليس لأنهم يعتقدون أن مثل هذه الدروع سوف تحميهم بشكل فعال ضد قذائف المدفع، ولكن لأنها ستحميهم من القوس والسهام، والرماح، والسيوف، والعديد من الأسلحة الأخرى التي قد يستخدمها العدو في الهجوم. وسيخبرونك أيضًا أن الترتيب المتقارب الذي اتبعه السويسريون ضروري لصد مشاة العدو، للوقوف ضد فرسانهم، ولتصعيب اختراقهم على العدو، لذلك فنحن نرى أن هؤلاء الجنود لديهم العديد من الأشياء الأخرى يخشونها إلى جانب المدفعية، حيث يعمل هذا النظام وهذا النوع من الأسلحة والدروع على حمايتهم منها. وبالتالي، يترتب على ذلك أنه كلما كان الجيش مسلحا بشكل أفضل، وكلما كان ترتيبه أقرب وأقوى، يقل ما يمكنه أن يخافه، وبالتالي؛ فإن الأشخاص أصحاب الرأي الذي ذكرته منذ وقت ليس ببعيد لديهم خبرة قليلة جدًّا، أو لم ينظروا في المسألة على ضوء ما وجب أن يفعلوا، بما أننا قد وجدنا أن الرماح والترتيب المتقارب للقدماء -الذي مازال مستخدما بين

السويسريين- قد قام بتحقيق مثل هذا العمل الرائع، وساهم في الكثير من القوة الحالية لجيوشنا، لماذا لا نستنتج أن باقي التقاليد والأعراف العسكرية المُستخدمة من قبل القدامى، الموضوعة الآن جانبا والمهملة تماما، قد يكون عملها وفائدتها على قدم المساواة؟، إلى جانب ذلك، لأن ضراوة المدفعية لا تجعلنا متخوفين من وضع كتائبنا في ترتيب متقارب مثل السويسريين، فلا يمكن أن يكون هناك بالتأكيد أي تصرف مفتعل آخر يجعلنا أكثر تخوفا من آثاره.

علاوة على ذلك، إذا كنا غير خائفين أو مرعوبين تجاه مدفعية العدو أثناء حصارِنا لبلدة، فكيف تزعجنا ولدينا أقصى درجات التأمين، فعند حصارنا لبلدة لا يمكننا الهجوم عليها ولا منع آثارها لأنها محمية من قبل الجدران، وعندما يجب أن نسعى لوقفها بمدافعنا ربما يتطلب المزيد من الوقت، ويُعرضنا لإطلاق مستمر طوال الوقت، لماذا إذا يجب أن نخشاها كثيرا في الميدان حيث يمكننا أن نتحكم فيها أو نسيطر عليها على الفور أو نضع حدا لإطلاقها؟ وبالتالي، فان اختراع المدفعية ليس سببا، في رأيي، يجعلنا لا نقلد القدامى في انضباطهم العسكري وتعاليمهم، وكذلك في فضائلهم ومزاياهم، وإن لم تتم مناقشة هذه المسألة باستفاضة في المقال المنشور مؤخرا، فقد ركزت عليه في الوقت الحاضر بشكل أطول، ولكن إيجازا، أشير لك بهذا الخطاب.

لويجى: لقد قرأته، وأنا عموما أعتقد بأنك قمت بشكل عام وبما فيه الكفاية بإظهار أفضل علاج ضد المدفعية وكيفية الاستيلاء عليها في أقرب وقت ممكن في ميدان المعركة، ولكن لنفترض أن العدو يجب أن يضعها على أجنحة جيشه، حيث لا تزال لها تأثير عليك، ولكي تكون محمية بشكل جيد حتى لا يمكنك السيطرة عليها، حيث إنه أثناء ترتيبك لجيشك، قد تتذكر أنك قد تركت فاصلًا من 8 أقدام بين كل كتيبة و40 قدما بين الكتائب والرماحين الاستثنائيين، الآن، إن كان ينبغي للعدو

تشكيل جيشه بنفس الترتيب ووضع مدفعيتهم في عمق تلك الفواصل، أعتقد أنها ستحدث لك خللا كبيرا - بدون مخاطرة الاستيلاء عليها - حيث لا يمكنك الهجوم عليها هناك.

فابريزيو: إن لاعتراضاتك أهمية كبيرة، وبالتالي، سأسعى إما للقضاء على شكوكك أو الحصول على بعض العلاج. أخبرتك من قبل أنه عندما تتشابك الكتائب مع عدو، فهي في حركة مستمرة، وبالتالي يجب أن يصبحوا أقرب وأوثق إلى بعضهم البعض، ولذلك، إذا تركت فقط فواصل صغيرة بينهم للمدفعية، سيتم شغلها في الحال بهذه الطريقة بحيث تصبح المدفعية لا طائل منها، ولكن إن جعلتها كبيرة، لتجنب الإزعاج، فيجب أن تواجه بطبيعة الحال واحدة أكبر بكثير لأنك بذلك قد تركت مساحة كافية للعدو للاندفاع فيها وليس فقط الاستيلاء على مدفعيتك، ولكن إرباك جيشك كله. ولكن يجب أن تفهم أنه من المستحيل وضع مدافعك، خاصة الثابتين على عربات، بين كتائبك لأنها مسحوبة من طريق ومتجهة لآخر، يجب تحويلها جميعها إلى اتجاه آخر قبل إطلاقه، للقيام بهذا سيتطلب مساحة كبيرةً جدًّا حيث يمكن لـ 50 قطعة إحداث اضطراب لأي جيش. لذلك يجب أن توضع في مكان آخر خارج الكتائب، وبعد ذلك يكونون قد اقتربوا من الطريقة التي وصفتها مسبقا.

مع ذلك، دعونا نفترض أنه يمكن وضعها داخل الكتائب ويمكننا التوصل إلى بعض الوسطية التي من شأنها أن تقوم بكل من منع الكتائب من إحباط آثار المدفعية عندما يتم وضعها بالقرب معا وعدم ترك مثل هذه الفواصل الكبيرة بينهما بحيث يمكن للعدو الاندفاع بين هذه الفواصل، أرى أنه حتى ذلك الحين قد تم إيجاد طريقة للإفلات من قوة المدفعية: فتح الفواصل المضادة في جيش العدو للسماح بمرور طلقاتك دون التسبب بأي ضرر، ومن أجل حماية مدفعيتك على نحو فعال،

يجب أن تضعها في الجزء الخلفي للفواصل بين كتائبك، ولتجنب إيذاء قواتك، ينبغي توجيهها بحيث ستمر الطلقات دائما مباشرة من خلال الفواصل. بذلك، ستفتح ممرات مماثلة في جيش العدو، وستمر طلقاته دون إلحاق الضرر برجالك، حيث إنها قاعدة عامة إفساح المجال لمثل هذه الأشياء لأنه لا يمكن معارضتها، وذلك كما اعتاد القدماء القيام به عندما يتعرضون لهجوم من قبل الْفِيَلَة والعربات المسلحة.

الآن ترى أنني حصدت الفوز بجيش تم تشكيله وتعيينه بالطريقة التي أوصيت بها، وألتمس منك العفو لكي تتركني أكرر (إن كان ما قد قلته غير كافٍ)، بأن مثل هذا الجيش يجب بالضرورة ومن البداية أن يهزم أي جيش آخر مسلح ومرتب مثل جيوشنا في الوقت الحاضر، ففي أغلب الأحيان يمكن أن يشكل مثل هذا الجيش جبهة واحدة فقط، غير مزود تماما بالدروع، وليس فقط مسلحًا بطريقة لا تمكنه من الدفاع عن نفسه ضد عدو قريب منه، بل أيضًا تم تشكيله بحيث إن قام بنشر كتائبه على الجوانب، يجعل صفوفه رقيقة وضعيفة جدًّا، وإن وضعوها في المؤخرة من بعضهم البعض ولأنهم ليس لديهم طريقة في استقبال بعضهم البعض، فسرعان ما سيحدث لهم ارتباك ويتم اختراقهم بسهولة. وفي الحقيقة، على الرغم من أنهم مقّسمون إلى ثلاث مجموعات تسمى الطليعة، والمجموعة الرئيسية والحرس الخلفي، يظل هذا التقييم بغير جدوى إلا في مسيرة أو في معسكر من أجل تمييزهم، حيث يقومون بالتجمع خلال الاشتباك، وبالتالي، كلهم عرضة للهزيمة في آن واحد من الضربة الأولى.

لويجى: لاحظت المزيد في معركتكم الأخيرة حيث تم صد فرسانكم وأجبروا على الاحتماء في ظل الرماحين الاستثنائيين، الذين من خلال مساعدتهم لم يتمكنوا فقط من إحراز تقدم مرة أخرى ضد العدو، ولكن بدورهم، قاموا بصدهم، الآن، أنا متيقن من أن الرماحين يمكنهم دعم الفرسان بمجموعة سميكة ومرتبة بشكل وثيق

مثل الكتائب السويسرية، ولكن يوجد في جيشك خمسة صفوف فقط من الرماحين بالمقدمة وسبعة على الجوانب، لذلك لا يمكنني معرفة كيف يمكنهم الابتعاد عن مجموعة من الفرسان.

فابريزيو: على الرغم من أنني قد أخبرتك من قبل أن ستت صفوف من الرماحين قد يهاجمون في وقت واحد في الكتيبة المقدونية، لا بد لي الآن إضافة أنه إن تألف فوج سويسري من 1000 صف، لا يزيد عن أربعة وخمسة كحد أقصى يقومون بالهجوم في وقت واحد، حيث كانت رماحهم بطول 18 قدما فقط، ويمكننا تصور أنه يجب وضع ثلاثة أقدام بين الجهة والأخرى، ولذلك، يكون لدى الصف الأول 15 قدما فقط لاستخدام رماحهم من خلالها، الثاني، بالإضافة إلى الثلاث الأقدام بين أيدي الرجال لأن عددًا كبيرًا من الأقدام سوف يشغل المسافة بين الصف والآخر، ثم سيكون هناك 12 قدما فقط للرمح يمكن أن يكون لها أية خدمة أو فائدة، الثالث، لنفس الأسباب، سيكون به تسع أقدام فقط، والرابعة ست، والخامس ثلاث، الصفوف الأخرى خلفهم عديمة الفائدة، حيث لا يمكنهم استخدام رماحهم على الإطلاق، إلا في ترتيب ودعم أول خمسة صفوف، كما وضحنا من قبل، إذن، إذا استطاعت خمسة من صفوفهم الابتعاد عن الفرسان، فلماذا لا تستطيع خمسة من عندنا القيام بنفس الشيء حيث إنهم أيضًا لديهم صفوف أخرى في مؤخرتهم لدعمهم - على الرغم من أنهم ليس لديهم رماح كالآخرين؟ وإن كانت صفوف الرماحين الاستثنائيين الموضوعة على جانبي جيشنا تبدو لك ضعيفة جدًّا، بحيث يمكن تقليصها إلى مربع وتوزيعها على جانبي الكتائب بالمؤخرة، من هذا المكان يمكنهم مساعدة إما المقدمة أو المؤخرة، وأحيانا مساعدة الفرسان.

لويجي: إذن، هل كنت ستستخدم دائما هذا التشكيل والترتيب للمعركة كلما أردت مواجهة عدو؟

فابريزيو: بالطبع لا، كما سأريك قبل أن ننتقل، فسأقوم دائما بملائمة ترتيبي للمعركة مع طبيعة الأرض ونوعية وعدد العدو، ولكنني أوصى بهذا الترتيب ليس فقط باعتباره الأفضل، وهو بالطبع كذلك، ولكن كقاعدة لتوجيه ومساعدة في تشكيل آخرين، لكل فن قواعده العامة ومبادئه التي يتأسس عليها، ومع ذلك، أود أن أجعلك تتذكر شيئا واحدا: لا تقم أبدا في أية مناسبة بترتيب جيش لا يمكن حماية جبهته من المؤخرة، كائنا من يكون فهو مذنب إذا قام بهذا الخطأ فهو يمنع الجزء الأكبر من جيشه من القيام بأي عمل أو خدمة على الإطلاق، ولن يحرز أبدا أي نصر ولو حتى على عدو لديه أقل قدر من الشجاعة وحسن التصرف.

لويجى: أعترف بأنه مازال لدى اعتراض آخر حول الترتيب الذي وضعت به جيشك. لقد جعلت جبهتك تتكون من خمس كتائب موزعة على جوانب بعضها البعض، صفك الثاني من ثلاث كتائب، والصف الثالث من كتيبتين، الآن، أعتقد أنه سيكون من الأفضل عكس هذا الترتيب، لأنه بالتأكيد يجب أن يكون أكثر صعوبة اختراق جيش أقوى وأقوى كلما تسللت بداخله، من جيش آخر أضعف وأضعف.

فابريزيو: إن كنت تتذكر رجاء أن الصف الثالث بالفيالق الرومانية كانت تتكون من 600 (triarii) وأنه تم وضعهم بالمؤخرة، فهل ستسحب اعتراضك، لأنه كما ترى وفقا لهذا النموذج، قد وضعت كتيبتين فقط في المؤخرة، إلا أنها تتكون من 900 رجل. لذلك، إن كنت مذنبا في أي خطأ بالاقتداء بالرومان في هذا الصدد، فالخطأ هو أن أجعل مؤخرة جيشي أقوى مما قاموا به، الآن، على الرغم من أن قوة ونفوذ هذا المثال بمثابة إجابة كافية على اعتراضك، ولكنى سأقدم لك أسباب قيامي بما فعلت، يجب أن تكون الصفوف الأولى للجيش صلبة ومدمجة ومتحدة لأن هدفهم هو صد ضربة العدو الأولى، وليس لديهم أصدقاء لصدها عنهم، وبالتالي، يجب أن يكونوا قريبين جدًّا وممتلئين بالرجال المتحدين، وإلا فسوف يكونون في منتهى

اللين والضعف، ولكن لأن الصف الثاني هو لتلقى الأول في بعض الأحيان قبل الاشتباك، فينبغي ترك فواصل كبيرة لهذا الغرض، ولذلك، يجب أن لا يتكون هذا الصف من نفس عدد الرجال كما بالصف الأول، إن كان عددهم كبيرًا أو حتى مساويًا، إما أنه يجب أن لا نترك فواصل - والذي سيحدث اضطراب، أو سيكون لديك صف أطول من الأول، وإن كان لديك ذلك، سيحدث عدم تناسب ويعطيه مظهرًا غريبًا.

بالنسبة لما تقوله حول اكتشاف العدو أن جيشنا أضعف وأضعف كلما توغل بداخله، هذا خطأ واضح، حيث لا يمكن للعدو الدخول في الصف الثاني حتى يستقبل الأول بداخله، لذلك، سيجد العدو الصف الثاني أقوى بكثير من الأول عند اتحادهما، وسيجد حتى الصف الثالث أقوى من الاثنين الآخرين، لأنه فيما بعد ستكون لدى هذه الصفوف قوة جيش كامل للتصدي دفعة واحدة، وحيث إن الصف الثالث سيتلقى رجالًا أكثر من الثاني، سيكون من الضروري وجود فواصل أكبر به وبالتالي يجب أن يتكون من رجال أقل.

لويجى: أنا راضٍ تماما عن هذه النقطة. ولكن إن تراجعت الكتائب الخمس بالجبهة إلى الثلاث بالصف الثاني، وبعد ذلك تراجعت هذه الكتائب الثماني إلى الاثنتين بالمؤخرة، فلا يبدو ممكنا أن الثماني كتائب بالصف الثاني - ناهيك عن العشر بالثالث - يمكن احتواؤهم بنفس المساحة من الأرض التي كان يحتلها أول خمس.

فابريزيو: أجيب عن هذا، أولا، بأن مساحة الأرض ليست هي نفسها في هذه الحالة، كانت هناك فواصل بين أول خمس كتائب والتي كانت تمتلئ عندما يتراجعون إلى الصف الثاني، وعند تراجع الثاني إلى الثالث، كان هناك أيضًا فواصل بين الكتيبتين وفاصل آخر بينهم وبين الرماحين الاستثنائيين وكل هذا معا يوفر لهم المزيد من المساحة الكافية، إلى جانب ذلك، فإن الكتائب تشغل مساحات مختلفة

من الأرض عند بقائهم بصفوفهم وعند تركهم لها، حيث إنه في الحالة الأخيرة، إما يصبح الرجال قريبين من بعضهم أو يقومون بتمديد أنفسهم عندما يتم الضغط عليهم بشدة كبيرة ويصبحون على وشك الفرار، ويبقون أقرب معا عندما يصممون على القيام بمقاومة شديدة وعنيفة. أود أن أضيف أنه عندما تقوم الصفوف الخمسة للرماحين بالجبهة بإتمام عملهم، فإنهم يتراجعون إلى الفواصل بين الكتائب بالمؤخرة لإفساح الطريق لحاملي الدروع للتقدم نحو العدو. هناك سيكونون جاهزين لأي عمل يعتقد الجنرال أنه مناسب لتوظيفهم به، بالنسبة للجبهة، بعد اشتباك الجيشين عن قرب، فيمكن أن لا يكون لهم استخدام آخر، وبالتالي، فإن المساحة المخصصة ستكون كافية لاحتواء الجيش بأكمله، ولكن إن لم تكن، حيث إن الجوانب تتكون من رجال وليس جدرانًا حجرية، فيمكنهم بسهولة فتح ومد أنفسهم لإفساح المجال لعمل مساحة كافية.

لويجى: عندما تتراجع الكتائب الخمس الأولى إلى الثالثة في الخط الثاني، سيكون لديك رماحون غير عاديين والذين كنت تقوم بوضعهم في أجنحة جيشك، ويصطفون سريعا في الصفوف ويشكلون جناحين للجيش أم إنك تريدهم أن يتراجعوا مع الكتائب أيضا؟ في الحالة الأخيرة لا أستطيع أن أتخيل كيف يجب عليهم التراجع في حين أنه ليس لديهم كتائب في المؤخرة مع وجود الفواصل المناسبة لاستقبالهم.

فابريزيو: إذا لم يقم العدو بمهاجمتهم في نفس الوقت الذي تكون فيه الكتائب مضطرة للتراجع، فإن هؤلاء الرماحين يمكن أن يستمروا صامدين في مواقعهم ويهاجموا العدو في أجنحته كما يضغطون على الكتائب في تراجعها، ولكن إذا تمت مهاجمتهم في نفس الوقت، كما هو مرجح غالبا أن يكون، فإنهم أيضًا يجب أن يتراجعوا من أجل استقبالهم، وهم بمقدورهم القيام بهذا بسهولة جدًّا على الرغم من أنهم ليس لديهم كتائب في الصفوف الخلفية لاستقبالهم، ومن خلال مضاعفة صفوفهم في الخط الأيمن مرورا بخط الوسط وتوصيل الأطراف وإدخال أحد

الصفوف في الآخر، وقد أوضحت لك هذا منذ قليل، ولكن لكي تقوم بمضاعفتهم من أجل التراجع، يجب أن تلاحظ الطريقة المختلفة عن تلك التي ذكرتها وفي هذه الحالة فإني أخبرتك أن الصف الأول يجب أن يستقبل الثاني والثالث يستقبل الرابع وهكذا، ولكن في هذا الوضع فإنك يجب أن تبدأ في المؤخرة بدلا من الجبهة بحيث تتراجع هذه الصفوف ولا تتقدم في مضاعفة بعضها البعض.

ولكن للرد على كل شيء يمكن الاعتراض به على الطريقة التي قدت بها المعركة الأخيرة، فإنني لابد لي أن ألتمس منك العذر لكي أقول مرة أخرى إنني نظمت الكتيبة وهذا تسبب في: أولا أن أبين لك كيف يجب أن يتم تشكيل الجيش من أجل المعركة، وثانيا لأبين لك كيف يجب أن يتم تدريب الجيش.

ولا شك أنك الآن تفهم التنظيم تماما، وبخصوص التدريب فإنني أقول إن الأفواج يجب أن تترابط ويتم إعدادها بشكل جيد كلما كان ذلك ممكنا ولذلك يجب أن يتعلم الضباط أن يقوموا بنشر الكتائب في الأماكن المناسبة لكي يعرف كل شخص صفه الخاص ومكانه في الصف ولذلك يجب أن يعرف كل كولونيل أين يتمركز بكتيبته في الجيش، وكل هؤلاء يجب أن يتعلموا إطاعة أوامر الجنرال أو قائدهم العام.

إنهم يجب عليهم أن يعرفوا أيضًا كيف يقومون بضم كل كتيبة إلى الأخرى وأن يقوموا باتخاذ مواقعهم في الحال، ولهذا الغرض فإن كل كتيبة يجب أن يكون لها ألوانها وأرقامها العالية من أجل أن يراها كل شخص ليس فقط لتمييز الكتائب بعضها عن بعض ولكن أيضًا لتسهيل الأمور على كل قائد ورجاله لمعرفة أين يجد بعضهم البعض وأيضا يجب ترقيم الأفواج ووضع الأرقام على رايات القادة وهي الطريقة التي يمكن بها معرفة أي الأفواج قد تم إرساله لليسار وأيها لليمين والكتائب الموضوعة في الخط الأول والثاني والثالث وهكذا.

يجب أن تكون هناك أيضًا عدة خطوات وتدريجات من أجل الترقية في جيشنا، على سبيل المثال: الضابط الأقل في الرتبة يجب أن يكون عريفًا (corporal)، والأعلى منه كابتن قائد (captain) لخمسين فردا على الأقل من المشاة العاديين، والأعلى قائد سرية داخل أحد الكتائب (a captain of a company)، والأعلى يكون (كولونيل) قائد الكتيبة العاشرة (lieutenant colonel) ثم قائد الكتيبة التاسعة بنفس الرتبة وهكذا حتى قائد الكتيبة الأولى والذي يجب أن يكون في المقام الثاني بعد القائد العام، ولا يمكن لأحد أن يصل لهذه المناصب من دون اجتياز كل هذه الدرجات السابقة أولا.

ولكن وبما أن هناك ثلاثة برتبة ملازم للرماحين غير العاديين واثنين للمشاة (velites) فإنني أريد أن أصنفهم مع قادة الكتيبة العاشرة، وأنا أرى شيئا من العبث في وجود ستة ضباط برتب متساوية في نفس الفوج لأن هذا قد يؤدي إلى خلق المضاهاة والتنافس فيما بينهم وكل منهم سوف يكون لديه الرغبة في إثبات نفسه من أجل أن يكون جديرا بالقيادة وأن يكون هو المُفضل والأكثر استحقاقا للقب قائد الكتيبة التاسعة.

وعندما يعلم كل من هؤلاء الضباط أين موقع الفيلق الخاص بهم وبمجرد أن يتم تأسيس المعايير العامة فإن كل الجيش سوف يكون في الوضع الملائم والترتيب السليم، هذا هو التدريب الأول الذي يجب أن يتعود عليه الجيش من أجل وضع نفسه في الحال قيد الاستعداد للمعركة وللقيام بهذا عليك أن تدربهم على الانفصال والاتصال مرة أخرى ليس فقط كل يوم ولكن أكثر من مرة خلال اليوم الواحد.

لويجي: ما هي العلامة الأخرى المميزة التي تفضل أن تكون لديك على الرايات بجانب الأرقام الخاصة؟

فابريزيو: الراية الرئيسية يجب أن يكون عليها أسلحة أميرها والرايات الأخرى يمكن أن تكون نفس الشيء ولكن مع بعض التغيرات في الألوان والتخصصات على حسب ما يراه الأمير ملائما شريطة أن تكون كافية للتميز بين السلاح والآخر.

ولكن دعونا الآن ننتقل إلى نوع آخر من التمارين والتي يجب على الجيش أن يكون مستعدا لها وأن يكون الجيش ذا خبرة كبيرة فيها وهي تعلم كيفية السير بوتيرة واحدة والحفاظ على النظام الخاص بالصفوف أثناء السير.

والنوع الثالث من التمارين هو تعليم الرجال التصرف كما ينبغي عندما يكونون مشتبكين فعليا مع العدو، مثل تفريغ المدفعية وتوجيهها للضرب وأن تجعل المشاة velites يبدؤون الهجوم ثم يتراجعون وأن تجعل الصف الأول يندمج متراجعا مع الصف الثاني كما لو كان مضغوطا جدًّا ومن ثم الثاني في الثالث وبعد ذلك استئناف مكانهم الأول وأن تقوم بترويضهم على هذا مرارا وتكرارا لهذه التدريبات وغيرها من التدريبات التي تُعَلِّم كل رجل كيف يعرف كل جزء من أجزاء واجبه والذي سوف يكون أمرا عاديا بالنسبة له وسهلا وذلك عن طريق الممارسة.

والتمرين التالي هو تعليم رجالك حركة الإشارات وطبيعتها وكيفية التصرف عن طريق الطبول أو صوت البوق أو الحركات الخاصة للرايات، وهم سوف يفهمون بصورة سهلة الأوامر التي تصدر لهم عن طريق الكلمة ومن هنا فإن الملاحظات المختلفة والأصوات المختلفة ذات أهمية كبيرة ويكون لها العديد من المؤثرات المختلفة، وسوف أخبرك ما هي أنواع الموسيقى العسكرية التي استخدمها القدماء: (Lacedaemonians) لاتشيدايمونينس كما أخبرنا (thucydides) عنهم استخدموا الناي في جيوشهم باعتبارها الأداة الأكثر ملاءمة لجعلهم يتحركون بانتظام وبحزم ولكن ليس بشكل كبير.

والقرطاجيون استخدموا القيثارة في هجومهم الأول للأسباب السابقة، وقد استخدم (alyattes) ألياتيس ملك ليديا كلا من الاثنين ولكن الإسكندر الأكبر والرومان قد استخدموا الأبواق الصغيرة والكبيرة (horns and trumpets) والتي كانوا يعتقدون أنها الآلات الأكثر ملاءمة من أجل بث الشجاعة في رجالهم وإلهامهم الحماسة من أجل القتال والدفاع عن أنفسهم. ولكن وبما أننا قمنا بتقليد الرومان واليونان في تسليح رجالنا، فنحن يجب أن نستعير الموسيقى الخاصة بكل من هاتين الدولتين.

ومن هنا فإن الجنرال يجب أن يكون له الأبواق الخاصة به لأن هذه هي الأدوات الأكثر ملاءمة لإلهام جيشه ولأنها أيضًا يتم سماعها بصورة أكثر من غيرها.

والملازم والعقيد والضباط الآخرون يجب أن يكون لديهم الطبول الصغيرة والأبواق الخاصة بهم، لكن ليس لاستخدامها على الطريقة الشائعة ولكن ليتم العزف عليها بنفس الطريقة التي تبدو في الاحتفالات والمآدب العظيمة الأخرى. وعن طريق هذه الأبواق يمكن للجنرال أن يقوم بجعل جيشه يتقدم ويتوقف أو يتراجع في الحال أو عندما يريد المدفعية أن تطلق حمولتها أو عندما يريد من المشاة (velites) أن يتقدموا للأمام.

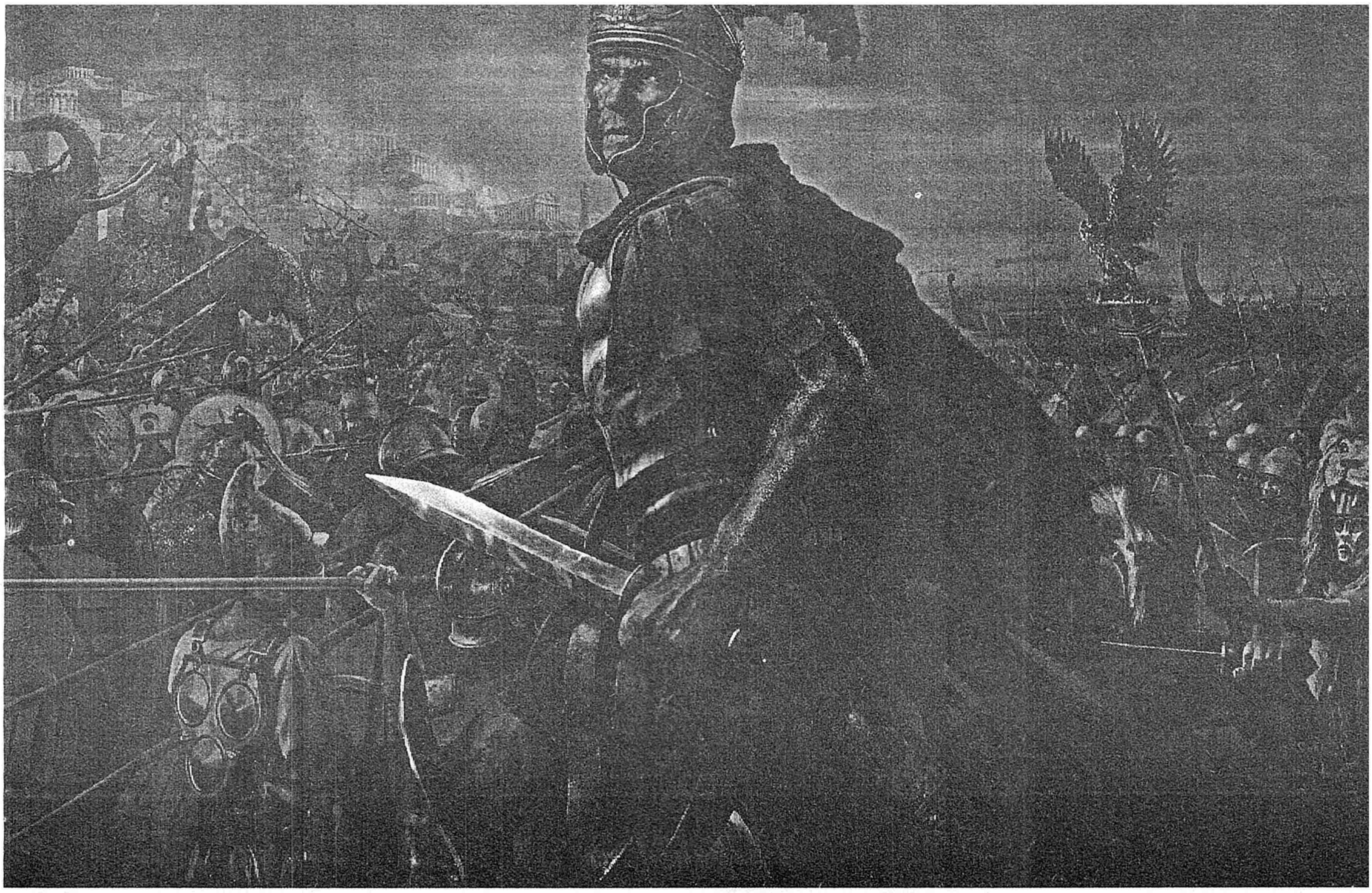
وعن طريق الأصوات والملاحظات المختلفة يمكن للجنرالات أن يُطلعوا جنودهم على كل المناورات المختلفة التي يفكرون بها والتي يجب القيام بها، وهذه الإشارات يجب أن تتم مرارا وتكرارا عن طريق الطبول وكل جيش يجب أن يتم تدريبه على هذه العملية لأنها هامة جدا.

أما بالنسبة لسلاح الفرسان فإنهم يجب أن يكون لديهم أبواق أيضًا ولكن من الحجم الأصغر وذوات أصوات مختلفة وهذا كل ما يدور في بالي الآن بشأن تشكيل

وممارسة تدريب الجيش.

لويجى: لازال لي سؤال آخر أود أن أسأله وأتمنى ألا يفرغ صبرك إذا سألتك لماذا في المعركة الحالية يقوم الـ velites المشاة والفرسان ببدء الهجوم ويلقون صيحة عظيمة في حين أنه يكون هناك صمت الموتى عندما يبدأ باقي الجيش بالاشتراك في الهجوم؟ أعترف أنني في حيرة لتفسير ذلك وأنا لذلك أتوسل إليك أن تشرح لي هذا.

فابريزيو: إن آراء المؤلفين القدماء حول هذا الموضوع تتعدد حول ما إذا كان هؤلاء الذين يبدؤون المعركة يجب أن يندفعوا بسرعة مُطلقين الصيحات والهتافات الغاضبة أو السير إلى الهجوم مع الصمت ورباطة الجأش، وهذا الأخير هو بالتأكيد أكثر الوسائل المناسبة للحفاظ على الحالة الجيدة وسماع الأوامر بصورة أكثر وضوحا والسابق هو بالتأكيد أكثر الوسائل لإلهام الجنود وإفزاع العدو كما أعتقد أن البعض يجب أن يكون لديهم استعداد لكل هذه الظروف، لقد جعلت جزءًا من جيشي يبدأ بهذه الصيحات والبعض الآخر يبدأ بهذا الصمت العميق ولكني لا أعتقد أن الصياح المستمر سيكون له جدوى، على النقيض فإن الصياح سوف يمنع أوامر الجنرال من الوصول وهذا يجب أن تتبعه عواقب وخيمة، ولا هو من المعقول أن نفترض أن الرومان استخدموا أيًا من هذه الصيحات بعد البداية الأولى لقد قرأنا في العديد من أجزاء حروبهم في التاريخ أنه عندما كانت جيوشهم تبدأ في التحرك وكانوا يُمنعوا من الصياح وذلك عن طريق نصائح وتوجيهات أو لوم وعتاب قادتهم، كما قرأنا أيضًا أن أوامر المعارك الخاصة بهم قد تغيرت حتى في خضم أو ذروة المعركة وكل هذه الأشياء لا يمكن أن تتم إذا كانت أصوات الضباط غارقة ومغمورة بين صيحات الجنود.



الحروب الرومانية

الكتاب الرابع

فن التنظيم الحربي والتخطيط والتكتيكات والحيل الإستراتيجية التي تُستخدم قبل وإثناء وبعد المعركة وتحركات الجيش والشؤون المعنوية

لويجي luigi: منذ أن حققنا فوزَنا المجيد تحت كنفي ورعايتي فإني لم يعد يهمني أن أقوم بالتودد واختبار الإلهة مثل (fortuna) فورتونا بطريقة متلونة، وبالتالي، أرغب في التخلي عن منصبي لـ (zanobi buondelmonti) زانوبي بوندلومونتي وهو أصغر رجل في الصحبة والذي لم يشغل هذا المنصب حتى الآن، وفقا للأنظمة المتفق عليها فإني أجرؤ وأتجاسر على القول بأنه سوف يقبل هذا الشرف أو بالأحرى هذه المتاعب وذلك ليس تفضلا منى بدرجة ولكنه بسبب شجاعته الطبيعية والتي هي أعظم من شجاعتي، وهو لن يكون خائفا من المخاطرة في المعركة والتي نكون فيها فرص الهزيمة مساوية لفرص الانتصار.

زانوبي Zanobi: يا سيدي، إنني سوف أتقبل عن طيب خاطر كل ما تعتقد أنه في الصالح لي وتمنحه أو تورثه لي، على الرغم من أنني أعترف بأنني أفضل الاستمرار في الإصغاء كمدقق ولكن الأسئلة التي طرحتها والاعتراضات التي سجلتها عندما كنت في منصبك ورغبتك الآن في الاستقالة كانت ذات أهمية وصلة بالموضوع أكثر من أي شيء يحدث لي، ولكن حتى لا نضيع المزيد من الوقت في الاحتفالات التي من الممكن أن تكون غير مُستحبة للسنيور فابريزيو، دعنا نتوسل إليه ونستعطفه للمضي قدما إذا لم نكن بالفعل تعدينا وتجاوزنا الحد على صبره بدرجة كبيرة.

فابريزيو Fabrizio: هذا ما سوف أفعله بسرور كبير خصوصا وأن هذا التغير في الأشخاص يمنحني الفرصة لرؤية الاختلافات في آرائك وأحكامك الخاصة ورغباتك وميولك ولكن أود أن أعرف ما إذا كان لديك أية أسئلة أخرى تتعلق بالمسألة التي كنا منخرطين فيها مؤخرا.

زانوبى: أتمنى أن يتم إخباري بثلاثة أشياء قبل أن نترك هذا الموضوع، أولا: هل هناك أية طرق أخرى لتشكيل جيش من أجل المعركة تخطر لك في الوقت الحاضر؟ ثانيا: ما هي الاحتياطات الضرورية اللازمة قبل أن يقوم الجنرال بقيادة جيشه للاشتباك مع العدو؟ وإذا كان هناك اضطرابات أو حوادث تحدث أثناء المعركة، فكيف تتم معالجتها؟

فابريزيو: سوف أحاول وأسعى جاهدا في أن أعطيك كل ما أستطيع من ترضية وقناعة بخصوص هذه النقاط، ولكنى لن أجيب عن هذه الأسئلة بشكل منفصل ولا ريب فيه. وما سأقوله في الإجابة عن سؤال واحد ربما يكون هو نفس الإجابة عن سؤال آخر.

سبق وأخبرتك أن ما قدمته لك من نظام وترتيب عام في المعركة يمكن أن تغيره بسهولة على حسب عدد وكفاءة العدو وطبيعة الأرض ومتطلباتها ويجب عليك دائما أن تتصرف طبقا لهذه الظروف ولكن تذكر أنه ما لم يكن جيشك كبير العدد، فإنه لا يمكن أن يكون هناك ذنب أو خطأ قاتل أكبر من صنع جبهة واسعة وكبيرة من جيش صغير، ويجب عليك بكل الوسائل أن تُشكل هذه الجبهة بحيث تكون أكثر في العمق منها في العرض. فعندما لا يكون جيشك في نفس كبر أو حجم جيش العدو فإنك يجب أن تلجأ إلى حيل ووسائل أخرى مثل القيام بتشكيل الجيش بحيث يحيط بجيشك بعض المستنقعات النهرية أو تأمين الأجنحة من خلال الخنادق والتحصينات والتي تمنع أن يتم محاصرته كما اعتاد يوليوس قيصر أن يفعل في حروبه مع الإغريق.

ولكن في مثل هذه الحالات يجب أن تجعلها قاعدة عامة أن تمدد أو تقلص الخط الأمامي أو الجبهة القتالية طبقا لعدد رجالك ورجال العدو. وعندما يكون العدو أقل عددا يجب عليك أن تسعى للاستفادة من السهول والأماكن المفتوحة وخصوصا إذا

كان جيشك منضبطا جدًّا ومُشكَّل جيدًّا وهكذا تستطيع أن تمدد المقدمة وتطوقهم. وذلك لأنه في الأماكن الضيقة والوعرة فإن التفوق العددي لن يكون له أية ميزة لأنك لن تستطيع أن تعطي صفوفك امتدادها ومساحتها وهذا هو السبب في أن الرومان دائما كانوا يختارون الأرض المفتوحة متجنبين الميادين الضيقة المحدودة. وعلى النقيض من ذلك فإذا كان لديك جيش صغير وغير منضبط فإنك يجب أن تبحث عن مكان ملائم بحيث يمكنك أن تحمى رجالك وبحيث لا تُسبب قلة خبرتهم خسائر وبحيث لا تشكل قلة خبرتهم عبأً عليك، وسوف يكون من الأفضل لك إذا كان موقعك عاليا عن العدو الأمر الذي يمنحك ميزة كبيرة للانقضاض على العدو، ويجب عليك أن تراعي ألا تقوم بوضع جيشك على منحدر تل أو في مكان بالقرب من قاعدة التل حيث يمكن للعدو أن يهبط من فوقك وفي هذه الحالة سيتم إزعاجك كثيرا من سلاح المدفعية الخاص بالعدو وسوف يكون رجالك في وضع حرج والذي لا يمكنك من مضايقة العدو مرة أخرى بمدافعك.

كما ينبغي إعطاء اهتمامٍ كبير إلى الرياح والشمس عند وضع الجيش للمعركة لأنه إذا كانت الشمس والرياح في مقابلتك فإن الشمس سوف تحجب عنك الرؤية بسبب أشعتها والرياح سوف تحجب رؤيتك بسبب الغبار، بالإضافة إلى انه إذا كانت الرياح ضدك، فإن ذلك سوف يضعف ويقلل من ضرباتك وهجماتك وعندما تبدأ المعركة يجب عليك أن تراعي ألا تكون أشعة الشمس مقابلة لوجهك كما أنها لن تكون متعبة ومزعجة لك بعد ذلك. ولكي تفعل هذا فإنك يجب أن تدبر إذا كان ممكنا أن تكون الشمس في ظهرك تماما في أول المطاف بحيث تكون في وجهك بعد وقت طويل من بداية المعركة مثلما فعل (Hannibal) هانيبال أو حنبعل في (cannae) كاناي وكما فعل (marius) ماريوس عندما هزم الشيمبري (cimbri). وإذا كنت أقل عددا من العدو في سلاح الفرسان فإنك يجب أن تضع جيشك بين مزارع الكروم والسياج

من الشجيرات الأخرى والموانع والمعوقات الأخرى وعندما يكون لديك الفرصة لفعل هذا كما فعل الأسبان منذ فترة طويلة عندما هزموا الفرنسيين في تشيرينيولا (cerignola) في مملكة نابولي. وقد حدث كثير أيضًا أن بعض الجيوش المهزومة قد هزمت نفس الجيوش التي انتصرت عليها بنفس الطريقة فقط عن طريق تغيير النظام والأرض على سبيل المثال القرطاجيون قد هُزموا عدة مرات من ماركوس ريجلوس (Marcus Regulus) في الأراضي الضيقة والوعرة حيث قد حققوا آخر انتصار عن طريق (laceduemonian) لاتشيدومنيان الذي نصحهم بأن ينزلوا إلى السهول ويستفيدوا من سلاح الفرسان والفيلة وهزموا الرومان.

لقد لاحظت في سلوك العديد من الجنرالات القدماء أنهم عندما كانوا يعرفون أين يضع العدو القوة الرئيسية لجيشه، فبدلا من أن يقوموا بتوظيف صفوة أو نخبة جيوشهم ضد هذه القوة، على النقيض كانوا يوجهون أسوأ المجموعات في قواتهم لاعتراض طريق هذه القوات في هذا الجزء وبذلك يكونون قد جعلوا أفضل قوات العدو منشغلة بمواجهة أسوأ قواتهم مما يجعلهم مُنشغلين وبناء على ذلك فعندما تبدأ المعركة فإنهم يأمرون قواتهم المختارة ليس بالضغط على العدو ولكن بدعم الإمداد، ويقومون بأمر آخر وهو أن تتراجع القوات الأسوأ تدريجيا لخلف خطوط العدو وبهذه الوسيلة فإن أفضل خطوط العدو تكون قد تمت إحاطتها من قبل جيشنا وعندما يعتقدون أنهم قريبون من الفوز حينها يدركون أنهم في مهب الريح، لذلك عندما تم إرسال (SCIPIO) تشيبيو إلى أسبانيا لمحاربة (HASDURBAL) هازدوربال القرطاجي، كان تشيبيو على وعي كبير بأن الأخير يعتقد أنه سيضع أفضل جحافله وقواته في وسط الجيش وبالتالي فسيقوم (HASDURBAL) بفعل نفس الشيء وعندما تلاقى الجيشان قام (SCIPIO) بتغيير أوامره في المعركة ونظامها واضعا الجحافل في جناحين وأسوأهم في مركز الجيش وقبل بدء المعركة

قام (SCIPIO) بأمر المركز أن يتحرك ببطء شديد إلى الأمام والجناحين للمضي بخفة ولذلك يشتبك الجيشان بسرعة عند الجناحين أما بالنسبة للوسط فلا يلتقون في نفس وقت التقاء الجناحين لأن جنود المركز قد ساروا ببطء وعندما التقى الجمعان كان الجزء الأقوى من جيش (SCIPIO) في مواجهة الجزء الأضعف من جيش HASDURBAL (صدر بعل) وكانت النتيجة هي هزيمة الأخير.

وهذا الأسلوب كان يمكن استخدامه في تلك الأوقات ولكن الآن لا يمكن استخدامه لأن المدفعية الآن قيد الاستخدام، والمسافة التي يجب أن تترك بين مركز كل جيش يمكن أن تعطي للمدفعية الوقت لإطلاق النيران مرارا وتكرارا، وهذا من شأنه إحداث دمارٍ كبير إذا كان الجيشان في حالة اشتباك، لذلك، فإنه حان الوقت لوضع هذه الطريقة جانبا ونلجأ إلى الأسلوب الذي تم وصفه قبل قليل وهو أن تدع الجيش بكامله يشارك، وأضعف جزء منه يقوم بإفساح المجال.

إذا كان جيشك عدده كبيرا مقارنة بجيش العدو وكنت تريد تطويق العدو بدون أن يكتشف تشكيلك فإنك يجب أن تقوم بتشكيل مقدمة الجيش تساوى مقدمة جيش العدو، ثم بعد ذلك تقوم بأمر هيكل الجيش الأساسي بالتراجع شيئا فشيئا وفي الوقت نفسه تقوم أجنحة جيشك بالتمدد والانتشار من خلف ظهور العدو وحينها سوف يجد العدو نفسه محاطا ومطوقا دون أن يشعر.

وعندما يريد أحد القادة أن يقاتل ويقوم بتأمين نفسه بمثل هذه الطريقة التي تسمح له بالتأكد تقريبا من أنه لن يُهزم أو يُكتشف، فيجب عليه أن يُعسكر في مكان يستطيع منه بسهولة وفي الحال أن يتراجع لموضع دفاعي وآمن مثل المستنقعات أو بين الجبال أو في قلعة قوية بحيث لا يمكن للعدو ملاحقته أو تعقبه ولكنه يستطيع هو تعقب العدو. مثل هذه الوسائل قد استخدمها حنبعل عندما بدأت فورتونا إلهة الحظ في أن تصبح غير مؤيدة له، وبدأ ينتابه الخوف من ماركوس مارسيللوس،

بعض الجنرالات من أجل أن يقوموا بإزعاج وإرباك الأعداء يأمرون قواتهم ذوات الأسلحة الخفيفة أن يبدؤوا المعركة ثم يقومون بالتراجع إلى المكان المناسب لهم مرة أخرى وعندما يلتقي الجمعان وتشتد المعركة فإنه يقوم بإعطاء الأمر لهم بالهجوم والمباغتة من أجنحة الجيش مرة أخرى قائمين بالهجمة الثانية وهذه الهجمة غالبا ما تُكلل بالنجاح وتُوقع الأعداء في الاضطراب فيُهزمون بسببها، إذا كنت أقل عددا من العدو في سلاح الفرسان فإنه يجب أن تقوم بوضع مجموعة من الرماحين خلف الفرسان وعند احتدام الموقف قم بالسماح لسلاح الفرسان أن يقوموا بفتح مجالين لليمين ولليسار من أجل السماح للرماحين بالمضي قدما لمواجهة العدو. وهذا سوف يمنحك بكل تأكيد ميزة وأفضلية على العدو وقد اعتاد بعض الجنرالات على استخدام جزء من المشاة المسلحين تسليحا خفيفا للاختلاط مع الفرسان والقتال جنبا إلى جنب وقد قدم هذا خدمة جليلة لهم.

ولكن من كل هؤلاء الذين برعوا في تشكيل الجيوش من أجل المعركة فإن مما لا شك فيه أن (HANNIBAL) حنبعل و(SCIPIO) تشيبيو قد أظهرا أكمل المهارات والقدرات في الحروب الأفريقية وحيث إن جيش حنبعل لم يكن يتكون فقط من القرطاجيين ولكن أيضًا من مساعدين من مختلف الدول فقد وضع ثمانين فيلا في مقدمة الجيش وبجانب هذه الفيلة كان المساعدين وخلفهم كانت جيوش القرطاجيين وخلفهم جميعا قواته الإيطالية والذين وضع فيهم ثقة قليلة. وقد اعتمد على الترتيب في جيشه بحيث يضع المساعدين في مواجهة العدو ومن خلف المساعدين قواته القرطاجية بما لا يدع مجالا للمساعدين بالهرب أو التراجع حين يشتد القتال ويجبرهم بهذه الطريقة على القتال، وأمل في أنه يمكنه إما كسر أو إرباك الرومان بهذه الطريقة وذلك عندما يقوم بالتقدم بهيكل جديد من أفضل قواته فيمكنه هزيمتهم تماما. وعلى الجانب الآخر قام (SCIPOI)، معتمدا على الطريقة

المعتادة للرومان، قام بتشكيل خطوطه الثلاثة من (TRIARII) قدامى المحاربين، (HASTATI) كتائب المقاتلين، و(principes) الأمراء، وفي مثل هذا النظام الذي يقدم الدعم بسهولة أو مساندة بعضهم البعض، وفي مقدمة صفوف جيشه ترك العديد من الفواصل والمسافات وذلك أمام أو في مواجهة الأفيال التي استخدمها حنبعل ولكن لكي يجعل جيشه يبدو متسقا وموحدا فقد قام بملء هذه الفراغات بالـ (VELITES) المشاة والذين قد أمرهم بأن يفسحوا المجال عندما تهجم عليهم الأفيال وأن يتراجعوا في الممرات الطبيعية الموجودة بين الفيالق ويقوموا بعمل ممرات للفيلة وبالتالي يمكنه تجنب غضب هذه المخلوقات ويلتحم بالعدو ويهزمه.

زانوبي: الآن وبعد أن ذكرت المعركة أتذكر أنني قرأت في بعض المخطوطات بخصوص هذا الموضوع أن تشيبيو لم يقم بالسماح للـ (HASTATI) كتائب المقاتلين بالتراجع للخط الخلفي للأمراء (principes) ولكن جعلهم يقومون بالتوجه لليمين ولليسار ثم يتمركزوا في أجنحة الجيش والسماح للأمراء بالتقدم، والآن أريد أن أعرف ما هو السبب في أنه انحرف عن النظام المعتاد للرومان في مثل تلك المناسبات.

فابريزيو: سوف أخبرك أن حنبعل قد وضع قوة جيشه في الصف الثاني ولذلك لكي يواجهه تشيبيو بنفس القوة قام بجمع الأمراء وقدامى المحاربين سويا وذلك لملء الفراغات بين الفرسان حيث كانت الفراغات مملوءة بالقدامى ولم يكن هناك موضع للـ (HASTATI) والذين جعلهم ينتشرون في اليمين واليسار نحو الأجنحة، ولكن تذكر أن هذا الأسلوب من فتح الخط الأول لإفساح المجال للخط الثاني لا يمكن أن يُستخدم إلا عندما يكون لديك ميزة على العدو ومن ثم يمكن ممارستها كما فعل تشيبيو. ولكن إذا كان لديك أسوأ ما في المعركة وتم صدهم فإنه لا يمكنك أن تقوم بهذا من دون تعريض نفسك للخطر والهزيمة الكاملة فمن الضروري في هذه الممارسات أن يكون لديك مسافات ومساحات أو فواصل في صفوفك الثانية والثالثة من أجل استقبال رجالك ولكن بالعودة لموضوعنا. فمن بين الاختراعات

الأخرى التي كان يستخدمها الآسيويون القدامى هي العجلات الحربية ذات القضيب أو المناجل المثبتة على عجلات خشبية وتلك العجلات لم تخدم فقط في فتح صفوف العدو ولكن أيضًا لسحقهم وإبادتهم بينما يتخللون من وسطهم. حينها فإن أعداءهم لن يكون أمامهم سوى ثلاثة حلول فقط من أجل حماية أنفسهم من خطر هذه العجلات وهي أن يقوموا بتهيئة الجيش في صفوف قريبة من بعضها أو أن يجعلوا هذه الآلات تمر من خلال الفواصل بين القوات،كما فعل تشيبيو مع الفيلة، أو بناء الأسوار القوية لصد هذه العجلات. وهذه هي الطريقة التي استخدمها (SULLA) سوللا في حروبه مع أركيلاوس (ARCHELAUS) والذي كان لديه عدد كبير من العجلات الحربية حيث قام سوللا بوضع العديد من الأوتاد المدببة الأطراف والحادة وتثبيتها في الأرض على هيئة حواجز أمام الصف الأول من جيشه لكي يوقف سير هذه العربات ويمنع الضرر الذي يقع على جيشه. والطريقة الجديدة التي استخدمها سوللا في وضع جيوشه في هذا الوقت كانت رائعة وجديرة بالملاحظة حيث قام بوضع المشاة والخيالة الخفيفة في المؤخرة وبذلك كان كل الرجال المسلحين بالأسلحة الثقيلة في مقدمة الجيش تاركا عدة فتحات ومسافات بين الجبهة من أجل السماح للخطوط الخلفية بالتقدم عند الحاجة وقد حقق النصر الكامل.

ومن أجل رمي العدو في شباك الحيرة والاضطراب بعد أن تبدأ المعركة فإنه من الضروري اللجوء إلى بعض الاختراعات التي تستطيع بث الرعب في نفوس الأعداء ويمكنك أن تفعل ذلك إما عن طريق نشر الأخبار بأنك سوف تصلك إمدادات قادمة أو تقوم بعرض كاذب تمثل فيه وصول إمدادات وهذا غالبا ما قام ببث الرعب في الجيوش والتي كانت تُهزم في الحال. وهذه الاستراتيجيات قد وضعت قيد التنفيذ عن طريق قناصلة الرومان أسيليوس جلابريو ومينوسيوس روفوس (Minucius Rufus and Acilius Glabrio)، كما قام (Caius Sulpicius) كايوس سولبسيوس

بإعطاء أوامر لعدد كبير من كبار الموظفين والخدم لكي يتبعوا معسكره على ظهور البغال والحيوانات الأخرى والتي لم يكن لها أي دور أو فائدة في المعركة وقد قام بجعلهم يصطفون وكأنهم مجموعة من الفرسان وأمرهم بأن يقفوا على تلة مجاورة في الوقت الذي كان فيه يشتبك مع الإغريق وكان لهذا الأمر التأثير القوي الذي سرعان ما هزمهم، ونفس الشيء قد حدث مع ماريوس (Marius) عندما كان يقاتل الألمان.

كانت مثل هذه الإشارات الزائفة لها تأثيرها وعواقبها في خضم العمل عندما تحتدم الوتيرة أكثر من المتوقع للإشارات الحقيقية بالفعل، وخصوصا إذا تمت مهاجمه العدو على حين غفلة سواء في أحد الجوانب أو في الخط الخلفي عندما يكون مشغولا في المقدمة، ولكن هذا ليس بالأمر السهل إلا إذا كنت على دراية بطبيعة البلد، إذا كان مكانًا مفتوحًا ومنبسطًا فلن يمكنك إخفاء جزء من قواتك الخاصة مثلما هو الحال في حالات مشابهة، ولكن إذا كان يزخر بالعديد من الغابات أو الجبال فإنك حينها يمكنك أن تقوم بعمل كمين لا يمكنه أن يتوقعه فحينها تنزل على العدو وتُلحق به الهزيمة.

إنه أيضًا من الجيِّد في بعض الأحيان أن تقوم بعمل بعض الشائعات في وقت المعركة ومنها أن تقوم بنشر تقارير وأكاذيب تقول بأن القائد قد قُتل أو أن جزءًا من جيشه قد انسحب وانفصل عنه، ولم يكن من غير المعتاد أن تلقي بسلاح الخيالة في بحر من القلق والاضطراب عن طريق إصدار الأصوات غير المألوفة ولذلك قام كروسوس (Croesus) بإحضار عدد كبير من الجمال ضد سلاح الفرسان الخاص بالعدو. وقد قام بيرهوس (Pyrrhus) باستخدام الأفيال ضد سلاح الفرسان الرومان وهذا قد تسبب في ارتباك كبير واضطراب بين فرسان الرومان. ومنذ وقت ليس بالبعيد، قام الأتراك الكبار (Grand Turk) بهزيمة شاه إيران وسلطان سوريا وذلك باستخدام (harquebuses) الأسلحة النارية والتي كان لدوي انفجارها تأثير

عظيم من الرعب على سلاح الفرسان الخاص بالأعداء والذين ولوا الدبر وفروا هاربين. أما الأسبان في حروبهم مع هاميلكار (Hamilcar) فقد استخدموا عربات تجرها الثيران مغطاة بالكتان وذلك في مقدمة الجيش ويقومون بإشعال النيران في الكتان بمجرد بداية المعركة وتكون الثيران مرعوبة من النيران وهذا ما يجعل الثيران تندفع مثل المجنون بين صفوف الأعداء وتقوم بفتح خطوط الأعداء.

وحيثما كانت طبيعة الأرض من النوع الذي لا يُمكنك من عمل الكمائن للعدو بسهولة فإنك من الممكن مع ذلك أن تقوم بحفر الخنادق والشراك في السهول وتغطيتهم بصورة خفيفة عن طريق الأغصان المقطوعة وترك مناطق من الأراضي الصلبة حتى يمكننا التراجع للاحتماء عند احتدام المعركة وإذا حاول العدو ملاحقتك فإنه لن يستطيع.

وإذا كنا على دراية كبيرة بالحوادث التي من شأنها أن تثبط من همم الرجال فمن الأفضل إما إخفاء ذلك أو أن تقوم بتدوير الموضوع بحيث يكون له تأثير مختلف تماما وهذا ما فعله تولوس هوستيلوس (Tullus Hostilius) ومن بعده سوللا، فقد رأى سوللا (Sulla) أن عددا كبيرا من قواته قد انشق عنه وذهب لصفوف العدو وأن هذا الانشقاق قد يثبط من همم الرجال بشكل كبير. فقام بنشر تقرير بين صفوف جيوشه أن ما حدث هذا كان بأمر منه ولغرض سري، لذلك، بدلا من أن يكونوا خائفين فقد قام رجاله بالقتال بشجاعة وتغلبوا على العدو. وهو القائد نفسه الذي أرسل مجموعة من جنوده في قتال أو هجوم والذي قتلوا فيه جميعا، وبسبب خوفه من انتشار الشائعات بين باقي الجيش، فقد قال أنه أرسلهم في مأمورية عمدا لكي يقتلوا على أيدي العدو لأنه اكتشف أنهم مجموعة من الخونة والأوغاد.

سيرتيريوس (Sertorius) في حروبه مع الأسبان قتل واحدًا من رجاله وهو الذي جلب له خبرًا بأن أحد جنرالاته قد قُتل لأنه يخشى أن ينتشر هذا الخبر ويضعف من

حماس الجيش. إنها مسألة صعبة للغاية لوقف الجيش من البدء في الهروب وأن تقوم بتجميعه مرة أخرى، ولكن هنا يجب علينا أن نقوم بالتمييز بين جيش هرب بالفعل ولا يمكن استعادته وبين جيش رحل بصورة جزئية وعن طريق بعض الحلول العلاجية يمكنك العثور عليه واستعادة قواك.

وبعض الجنرالات الرومان قد قاموا باستعادة النظام عن طريق تأنيب جنودهم وتوبيخهم على جبنهم، كما استشهدنا بتصرف سوللا عندما رأى جزءًا من جحافله بدأ في الفرار قبل مهاجمة جيش (Mithridates) ميثريداتيس فقد قام بقيادة حصانه إلى مقدمة الجيش ومعه سيفه المسلول في يده وصرخ فيهم قائلا: (إذا سألكم أي شخص عن قائدكم، قولوا له أنكم تركتموه وحيدا يقاتل في سهول Boeotia بويوتيا) . والقيصر الروماني أتيليوس (Atilius) قام بفصل مجموعة من أفضل قواته من أجل وقف هروب البعض الآخر الذين كانوا يحاولون الهرب حيث قال لهم إن لم يعودوا فإنهم سوف تتم مهاجمتهم عن طريق زملائهم بالإضافة إلى الأعداء. وكذلك فيليب المقدوني (Philip of Macedon) عندما وجد بعضًا من قواته خائفا من السكثيين (Scythians)، قام بوضع مجموعة من الفرسان الذين يثق فيهم كثيرا، في مؤخرة الجيش وأعطاهم أوامر بقتل أي رجل يحاول أن يغادر صفه وعندما سمع البقية هذا فإنهم اختاروا المخاطرة بحياتهم في المعركة بدلا من أن يُقتلوا بلا رحمة إذا هربوا لذلك فقد قاتلوا ببسالة حتى فازوا في المعركة. وقد قام العديد من الجنرالات الرومان باتخاذ زوج من الرايات بعيدا عن أيدي حاملي الراية أثناء احتدام المعركة وألقوها في منتصف جيوش العدو ومن ثم قاموا بعرض مكافأة لمن يستعيدها ولكن هذا ليس من أجل منع الجنود من الهرب ولكن لكي يخلقوا جوا من التنافس بين الجنود ويقوموا بتشجيعهم على القتال مع الحماس الزائد.

الآن وبعد أن تحدثت عن الأشياء التي يتعين على القيام بها قبل المعركة وأثناء

المعركة فإنه ليس من الخطأ أن أتحدث عما ينبغي أن يحدث بعد المعركة وخصوصا أنني يجب أن أكون موجزا جدًّا فيما يخص هذه النقطة ولكنه لا ينبغي أن أقوم بحذفها لأنها جزء من نظامنا. أقول بعد ذلك إنه عندما تقوم بتحقيق نصر، فإنه يجب عليك أن تقوم باستخدام كل الوسائل لإثبات وتأكيد هذا النصر وأن تقوم بتقليد يوليوس قيصر (Julius Caesar) بدلا من حنبعل حيث قام الأخير بفقدان إمبراطورية روما بسبب العبث وقضاء وقته في كابوا (Capua) بعد أن كان قد هزم الرومان في معركة كاناي (Cannae)، أما سيزار (قيصر) على الجانب الآخر لم يكن يهدأ له بال بعد المعركة وكان دائما ما يسعى لمطاردة العدو ويقوم بالكر والفر وكل مرة يزداد الغضب والنشاط أكثر من المرة الأولى التي هاجمهم فيها.

ولكن عندما يحدث ويخسر الجنرال أحد المعارك فإن القائد لابد له في المقام الأول أن يخرج بأقل الخسائر وخاصة إذا كان لديه قوات متبقية يُعتد بها، فربما قد يجني بعض المزايا من إهمال العدو والتأخر والغفلة بعد الانتصار. وبعد الانتصار غالبا ما يكون الجنود متقاعسين مما يعطي للجيش المهزوم الفرصة للمعاودة وهزيمتهم. وهذا ما فعله مارسيوس (Marcius) مع القرطاجيين حيث قتل (the two Scipios) في المعركة وهزم جيوشهم آخذا في الاعتبار القليل من القوى التي غادرت من تحت قيادة مارسيوس حتى هاجمهم وهزمهم. ومن هنا فإننا نرى أن الرجال في كثير من الأحيان يكونون في خطر عظيم في حين أنهم يعتقدون أنهم في أمان، ولكن إذا لم يستطع أي قائد أن يجني أي نوع من المزايا من هزيمته الأولى فإنه يجب أن يسعى بكل الوسائل على الأقل لجعل هذه الخسارة خفيفة ومحتملة قدر المستطاع وأن يقوم بمنع أي ضرر إضافي.

وبالتالي فإنه يجب عليك أن تستخدم كل الطرق إما لتشتيت العدو أو العمل على تأخيره إذا كان يلاحقك، في الحالة الأولى عندما تكون على دراية بأنك لم تعد قادرا

على الوقوف على الأرض الخاصة بك فإن بعض الجنرالات قد قاموا بإعطاء الأوامر لقادتهم التابعين بأن ينفصلوا ويتراجعوا مع قواتهم عبر الطرق المختلفة لحين الالتقاء في ميعاد محدد وهذا يجعل العدو في قلق من تقسيم قواته ويجعل العدو يتركهم جميعا أو على الأقل يسمح لبعضهم بالهروب. في الحالة الثانية؛ قام العديد من الجنرالات بإلقاء حقائبهم وآثارهم في الطريق وذلك في حين أن يكون العدو منشغلا بالسلب والنهب فيكون بذلك لديهم الوقت للهروب وإنقاذ أنفسهم، واستخدام الحيلة التي قام بها (Titus Didius) تيتوس ديديوس لإخفاء الخسائر التي أصيب بها في المعركة والتي لا تليق بالإعلان ولا يلزم نشرها بعد أن قام بالقتال من الصباح وحتى المساء وخسر عددا كبيرا من رجاله فأمر بأن يتم دفنهم أثناء فترة الليل بحيث في اليوم التالي يمكن للعدو أن يرى العديد من رجاله حوله وأن ما قُتل هو عدد قليل من الرومان وبدأ في التراجع على الفور.

والآن فإني أعتقد أنني أجبت إلى حدٍّ كبير على أسئلتك على الرغم من أنها ربما تكون ليست محددة أو ليست واضحة كما هو متوقع، وهذا صحيح إذ إنني لم أضف شيئا جديدا بشأن تشكيل الجيوش من أجل المعركة منذ قام بعض الجنرالات بتشكيل جيوشهم من القلب مع تفوقها في الجبهة متخيلين بأن هذا التشكيل هو أفضل طريقة من أجل اختراق الجيوش وفتح صفوفها، ومن أجل الدعم ضد هذا فإن الجانب الآخر قد قام بتكوين جيشه في شكل زوج من المقصات المفتوحة لاستقبال الجيش الآخر في الفراغ ومن ثم تطويقه من كل جانب. اسمح لي أن أوصيك بقاعدة عامة: لكي تقوم بإحباط أي من تصميمات وترتيبات العدو فإن أفضل شيء تقوم به هو أن تفعل ما يجبرك عليه العدو ولكن بمحض إرادتك فإنك قد تمضي بطريقة هادئة ومنظمة وتقلب كفة الأمور في صالحك من حيث المزايا على عكس ما كان العدو يتمنى من الدمار لك ولكن إذا كنت مضطرا لأن تفعل ذلك إجباريا فبالتأكيد سوف

يكون الفشل من نصيبك وللتأكد من صحة هذا فإنه لا داعي لتكرار ما قلته من قبل، لأنه عندما يتقدم العدو في تشكيل مفتوح ينوي أن يفتح ويُقطع جيشك إربا وإذا قمت بفتح جيشك بنفسك فمن المؤكد أنك سوف تقطعه هو إربا ولا يمكن له أن يؤذيك، وقد وضع حنبعل الأفيال في المقدمة لنفس الغرض وهو كسر بناء جيش Scipio ولكن عندما قام الأخير بفتح الطريق لهم بنفسه قام بتحقيق انتصار كامل، وكذلك (Hasdrubal) صدربعل قام بوضع صفوة جنوده وخيرتهم في مركز المقدمة لنفس الغرض، لكن شيبيو قام بترتيب المقدمة بحيث تنفتح وتتقدم محبطا كل مخططاته وقام بهزيمته، لذلك عندما يتم التعرف على هذه التصميمات فإنهم يشعرون بخيبة أمل شديدة ويجنون الدمار.

وأعتقد أيضًا أنني لدي شيء آخر لأقوله لك بخصوص الاحتياطات التي يجب أن يأخذ بها القائد قبل قيادة جيشه للمعركة، في المقام الأول، وهذا رأيي الخاص، أنه لا يجب أن يشتبك مع العدو إلا إذا كانت لديه ميزة عن العدو أو أسبقية أو إذا كان مضطرا للتحرك وحينها فإن الميزة قد تنشأ من التضاريس، النظام، التفوق، شجاعة الجيش، ومن الممكن أن يكون مضطرا للالتحام عندما يتم إقناعه بأنه إذا لم يفعل فإنه سوف يُهزم هزيمة ساحقة وأنه سيجني الدمار، ومثل هذا الدمار عندما لا يكون لديه مال ليدفعه للجنود حيث تبدأ القوات في التمرد والحديث عن حل الجيش، أو عندما لا يكون لديه رؤية ومن ثم يؤدي به إلى المجاعة أو عندما يكون العدو على علم بقدوم الإمدادات إليه، وفي مثل هذه الظروف فإنه يجب عليه دائما الالتحام في المعركة مع العدو لأن هذا أفضل له وهو محاولة تجربة الحظ حيث إنه أفضل له شرف التجربة مع احتمال نجاحها من عدم تجربة الحظ مما يؤدي إلى التدمير على يد العدو، وبالتالي فإن هذا باعتباره خطأ كبير للجنرال بعدم المخاطرة بالاشتباك مع العدو في مثل هذه المناسبات كما هو الحال إذا كان لديه فرصة لتحقيق النصر ويقوم بإهمالها إما بسبب الجهل أو الجبن.

وبعض المزايا قد تنتج بسبب إهمال العدو وسوء التصرف وغيرها قد تنتج من اليقظة الخاصة بك وحسن تصرفك، والعديد من الجيوش قد تم تطويقها عند عبور الأنهار حيث يقوم العدو بالانتظار حتى يتم نقل نصف الجيش وينقض عليهم ويُلحق بهم الهزيمة وهذا ما فعله قيصر في (Helvetii) عندما قام باختراق الجزء الرابع من جيشهم والذي كان منفصلا عن البقية بمسافة النهر الذي عبروه بعرض النهر. في بعض الأحيان يكون العدو متراخيا جدًّا ومُرهقا جدًّا بسبب الاندفاع والسعي للمطاردة بحيث إذا كان رجالك لديهم وقت قليل للراحة وتجديد القوى فإنك لن يكون لزاما عليك شيئا تفعله سوى مواجهة العدو وتحقيق الانتصار. وإذا قام العدو بالتقدم للمعركة في الصباح الباكر فإنه لا يجب عليك توجيه جيشك لمحاربته في الحال، فبدلا من ذلك دع رجاله ينتظرون حاملين السلاح لساعات حتى يخفت حماسهم ويقل ومن ثم تخرج أنت من خندقك وتقوم بالاشتباك معه كما فعل شيبيو وميتيللوس (Scipio and Metellus) في إسبانيا، إذا كان العدو قد تضاءلت قوته بسبب تقسيم جيشه كما فعل شيبيو في إسبانيا أو لأي سبب آخر فإنك ينبغي بأي حال من الأحوال ألا تفوت هذه الفرصة لمحاربته.

وأكثر الجنرالات تعقلا وحصافة قد اختار استقبال العدو بدلا من البدء بالهجوم لأن غضب الصدمة الأولى يمكن أن يُقاوَم بسهولة عن طريق صمود الجنود وحزمهم واستعدادهم وإعدادهم في الصفوف الخاصة بكل منهم، وعندما تنتهي هذه الصدمة فإن غضبهم ينحسر في التراخي واليأس، وعن طريق الشروع في هذه الطريقة قام فابيوس Fabius بهزيمة كل من السامنتيز والإغريق (Samnites and the Gauls) ولكن زميله ديسيوس (Decius) الوثني قد اتخذ مسارا آخر وهُزم وقتل، بعض الجنرالات، الذين يعتقدون أن العدو يتفوق عليهم، قد قاموا باختيار تأجيل المعركة حتى المساء لأنهم إذا كان من المقدر أن يُهزموا فإنه سيكون بمقدورهم في هذه

الحالة حماية أنفسهم تحت مأوى الليل، أما الآخرون الذين يعرفون أن العدو لن يهاجمهم في وقت معين وذلك من خلال قوانين دينهم، تكون لديهم الفرصة ليهاجموا ويلحقوا الهزيمة بالعدو، وقد قام يوليوس قيصر نفسه بالاستفادة من هذه الميزة ضد أريوفيستوس (Ariovistus) في بلاد الغال وكذلك فيسباسيان (Vespasian) ضد اليهود في سوريا.

ولكن قبل كل شيء فإن الجنرال يجب أن يتحرى الدقة في أن يختار الرجال الذين يثبتون ولاءهم وإخلاصهم والحكمة والخبرة الطويلة في الأعمال العسكرية وذلك بالقرب منه شخصيا كنوع من المستشارين وعن طريق هؤلاء الرجال يمكن للجنرال أن لا يعلم فقط حالة جيشه ولكن أيضًا حالة جيش العدو (أي الجيوش أكثر من حيث العدد، أي الجيوش أفضل تسليحا، تنظيما، أي الجيوش أقوى في سلاح الفرسان، أي من قواته الخاصة أكثر جاهزية للعمل تحت ضغط الخدمات الصعبة والإجهاد وعما إذا كان سلاح المشاة أو الفرسان من المرجح أن يكونوا أكثر فائدة)، ويترك المستشارين ينظرون جيدًّا لطبيعة الأرض الموجودين فيها وما إذا كانت ذات ميزة لهم أم للعدو، أي من الجيشين يمكن أن يكون مرتاحا بصورة أكبر عن طريق الإمدادات والتنبؤات، وما إذا كان من الأفضل الالتحام مع العدو بصورة مباشرة أو تأجيل ذلك وما هي المزايا والعيوب التي يمكن أن تحدث مع مرور الوقت، لذلك يحدث أحيانا أنه عندما يرى الجنود أن الحرب طويلة الأمد والمعركة تتوقف من وقت لآخر فإن الجنود قد يفقدون حماسهم ويصبحون مرهقين جدًّا من المصاعب التي تنمي فيهم التمرد ويهجرون ألويتهم. ومن المهم أيضًا بصورة كبيرة معرفة صفات وتصرفات قائد العدو ومن حوله، على سبيل المثال، معرفة ما إذا كان جريئًا أو مغامرًا أو حذرًا أو خجولًا. ثانيا يجب على القائد أن ينظر إلى أي مدى يستطيع أن يثق في مساعديه ويجب أن يكون حذرا بصفة خاصة من عدم إشراك

رجاله في الحرب إذا كان على دراية بأنهم محبطون ومتخوفون من عدم تحقيق النصر، لأنها في الواقع نذير شؤم عندما يفكرون في عدو لا يقهر. في هذه الحالة وفي مثل هذه الظروف فإنه يجب عليك إما أن تسعى لتجنب المعركة كما فعل ماكسيموس الذي استفاد دائما من أن يجعل حنبعل لا يجرؤ على مهاجمته. أو إذا كنت تفكر في أن العدو لن يهاجمك، مع ذلك فستكون لديك ميزة للاستفادة من الموقف حيث يجب عليك أن تترك ساحة المعركة كليا وأن تقوم بتوزيع رجالك وقواتك في مدن وقلاع مختلفة لكي تقوم بجذب العدو وإرهاقه عن طريق السياج والموانع.

زانوبى: هل لا توجد وسائل أخرى لتجنب الاشتباك مع العدو؟

فابريزيو: أعتقد أنني قد أخبرت بعضكم في محادثة قمت بها من قبل أن الجيش في الميدان لا يمكنه تجنب الاشتباك مع العدو إذا كان العدو عازما على ذلك إلا في حالة قيامك بالتراجع فجأة أو التحرك لمسافة 50 أو 60 ميلًا بعيدًا عن العدو والحفاظ على التراجع كلما تقدم العدو.

لم يرفض ماكسيموس القتال أبدا ضد حنبعل ولكنه لم يختر أن يفعل هذا إلا عندما تكون لديه ميزة على العدو، وحنبعل متدبرا الطريقة التي يتبعها ماكسيموس من أجل تحصين نفسه فرآه حنبعل حكيما جدًّا ولا يمكن إجباره على الحرب، ولكن إذا تعرض ماكسيموس للهجوم وقتها كان سيكون مضطرا للقتال معه بأي ثمن أو الفرار.

وعندما كان فيليب المقدوني والد بيرسيوس في حروبه مع الرومان، قام باختيار مكان ليعسكر فيه على قمة تلة عالية جدًّا لكي يتجنب الاشتباك معهم ولكنهم هاجموه وهزموه هناك ومثال آخر سينجيتوركس (Cingetorex) قائد الإغريق قام بالتراجع إلى مسافة كبيرة حتى لا يتم إجباره على مواجهة يوليوس قيصر والذي كان

على عكس توقعاته وقام بتجاوز النهر الفاصل بينهما على حين غفلة، البنادقة (أهل مدينة البندقية) في الحروب الأخيرة، قد يتجنبون المعركة مع الفرنسيين إذ ساروا بعيدا عنهم، كما فعل سينجيتوركس مع قيصر وسار بعيدا عنه بدلا من أن ينتظرهم يعبرون نهر آدا (Adda) ولكنهم لم تسنح لهم الفرصة لمهاجمتهم عندما كانوا يعبرون هذا النهر وفي نفس الوقت لم تكن لديه فرصة للتراجع، أما الفرنسيون فقد قاموا بالاقتراب من التلال التي عسكر فيها البنادقة وقام الفرنسيون بمهاجمتهم وقتلهم وهزيمتهم. باختصار، لا يوجد طرق أخرى لتجنب المعركة، إذا كان العدو مصرا على الاشتباك معك وبالتالي لا يوجد فائدة لذكر مثال ماكسيموس لأن حنبعل قد تجنب القتال معه بنفس الدرجة التي تجنب بها فابيوس ماكسيموس القتال.

وكثيرا ما يكون الجنود تواقين متشوقين للقتال وعن طريق النظر في تفوق العدو وطبيعة التضاريس أو بعض الظروف الأخرى فإنك تعلم أنك لست في وضع التفوق أو في وضع غير مناسب وبالتالي فإنك سوف تتراجع عن المعركة عن طيب خاطر. ويمكن أن تحدث أيضًا ضروريات تجبرك أو فرصة تدعوك للقتال ولكن تجد جنودك متشائمين وكارهين لهذا القتال، وفي الحالة الأولى فمن الضروري إما قمع الحماس وفي الحالة الثانية يجب إلهاب الحماسة. في الحالة الأولى (عندما يكون الجنود توّاقين للقتال) عندما لا يكون للإقناع والنصح أي تأثير فمن الأفضل أن تسمح لبعض منهم بأن يتعرضوا لقسوة العدو لكي يتعلم الذين عانوا والذين لم يعانوا من قسوة العدو، وأن يكونوا أكثر طاعة ومريحين لك في الاستحقاقات القادمة، وهذا ما حدث في جيش ماكسيموس وهو أنه ليس فقط قائد الفرسان ولكن أيضًا بقية الجيش كانوا جميعا متشوقين للقتال ضد حنبعل على الرغم من أن ماكسيموس كان عكسهم تماما، وقد نشب الانقسام بصورة عالية جدًّا لدرجة أن ينقسم الجيش كما حدث سابقا، وقد رابط ماكسيموس مع قواته

بالخندق وخرج مينوسيوس واشتبك مع العدو ولكنه كان سيُهزم هزيمة ساحقة إذا لم يقم ماكسيموس بالسير لنجدته ومن هذا المثال يمكننا القول بأن كلًّا من قائد سلاح الفرسان وباقي الجيش يجب أن يكونوا مقتنعين بأن يكونوا أكثر تعقلا وتقبلا لحكمة ورأي ماكسيموس.

أما بالنسبة للوسائل المُلهبة للرجال وتأجيج رغبتهم في القتال سيكون من الأولى بصورة جيدة إغضابهم ضد العدو وذلك بأن تقوم بإخبارهم أن العدو يحتقرهم وأن تقوم بالإيحاء بأنك قمت بأسر ضباط من العدو وتقوم بعمل المراسلات مع العدو، أو أن تقوم بالتخييم في مكان يمكنك فيه أن ترى يوميا ما يفعله العدو وبين الحين والآخر تقوم بالاشتباك معهم خشية من أن تكون الأشياء التي تراها يوميا تصبح مألوفة، وإذا فشلت هذه الإجراءات فإنك يجب أن تعاملهم بازدراء وأن تخطب فيهم بطريقة غليظة وبلا شفقة وأن توبخهم على الجبن، يجب عليك أن تسعى لأن تجعلهم يخجلون من أنفسهم عن طريق إخبارهم بأنه إذا لم يكن لدى البقية الشجاعة الكافية ليتبعوك فإنك سوف تأخذ هذه الكتيبة معك - من يمكنك الاعتماد عليهم - وإنك سوف تحارب العدو بهذه الكتيبة فقط، ولكن لكي تجعل رجالك أكثر جرأة وأكثر شجاعة وحزما يجب عليك قبل كل هذا أن تتأكد من أنهم لم يقوموا بإرسال أموالهم إلى منازلهم أو قاموا بوضعها في مكان آمن بحيث عندما تندلع الحرب يقومون بالهرب وينقذون حياتهم بهذه الأموال، ولكن يجب عليك أن تفقدهم حبهم للمال والذي هو في حياة الرجال كحبهم لحياتهم.

زانوبى: لقد قلت إن الإنسان يجب عليه أن يلهب حماس الجنود للقتال عن طريق الخطب الرنانة، هل سوف تلهب حماس كل الجيش أم الضباط فقط؟

فابريزيو: إنها مسألة سهلة جدًّا لحث الرجال أو عدد قليل من الناس إما أن يفعلوا شيء أو لا يفعلوا شيء إذا كانت الدلائل والحجج ليست كافية فإنك يمكنك

أن تستخدم القوة والسلطة، ولكن الصعوبة الكبيرة تكمن في جعل الجيش بالكامل يغير قراره عندما يكون تنفيذه يتعلق بالمساس والضرر بالشعب أو عامة الجماهير، أو أن هذا القرار يعارض ويحبط مخططاتك وتصميماتك الخاصة، ففي هذه الحالة لا يمكنك الاستفادة من شيء سوى الكلمات والتي يمكن أن تُسمع وتؤثر في نفوس الجيش كله إذا كنت تريد أن يتأثر بها الجيش كله ولهذا السبب، فإنه من الضروري أن يكون القائد خطيبا مفوَّها وأن يكون جنديا، لأنه إذا لم يكن يعرف كيفية تقديم نفسه للجيش بأكمله، فإنه أحيانا سوف يجد أنها ليست بالمهمة السهلة تحويلهم لتحقيق أهدافه، ولكن لا يبدو أن هناك ولو أدنى اهتمام بهذه النقطة في الوقت الحاضر، قم بقراءة حياة الإسكندر الأكبر، وسوف تجد أنه غالبا ما كان مضطرا ليقوم بالخطب الرنانة في جنوده كما كان يقوم بتعنيفهم وإلا لن يكن قادرا أبدا على أن يقودهم عبر الصحراء الهندية والعربية - الغنية بالغنائم الثمينة - حيث خضعوا لجميع أنواع المشقة والعناء.

هناك العديد من الأشياء التي يمكن أن تثبت وتبرهن على دمار الجيش، ومنها إذا كان القائد لا يقوم بإلقاء الخطب في رجاله بصورة دورية وعن طريق ذلك يقوم القائد بتبديد مخاوفهم وإشعال حماسهم وشجاعتهم ويؤكد على قراراتهم ويوضح لهم الفخاخ المصنوعة من أجلهم ويعدهم بالمكافأة ويخبرهم بالمخاطر وكيفية الهروب منها ويمكن له أن يوبخ، ويتوسل، ويهدد، ويثني عليهم، ويعاتب أو يملأهم بالأمل ويستفيد من كل الفنون الأخرى التي يمكن أن تثير أو تهدئ المشاعر والرغبات البشرية، لذلك إذا أراد أي أمير أو أية دولة أن تجعل جيوشها مُطيعة فإنهم ينبغي عليهم تعويد جنرالاتهم على الخطب في الرجال وكذلك تعويد الرجال على السماع لقادتهم.

كذلك الدين والقسم الذي يقوم به الجنود عندما يتم تجنيدهم ساهموا إلى حد كبير في جعل الجنود يقومون بواجباتهم وذلك في العصور القديمة، أي عندما يقوم الجنود بأي تقصير فإنهم سوف يكونون مهددين ليس فقط بالعقاب من البشر ولكن أيضًا للانتقام الإلهي أو النقمة الإلهية، ولديهم أيضًا العديد من الاحتفالات الدينية الأخرى والتي كان لها تأثير كبير جدًّا على كل مشاريعهم وأن يظلوا في أي مكان تُقام فيه الشعائر الدينية من أجل واجب التقديس، سيرتوريوس (Sertorious) كان يعلم هذا جيدًّا وكان قد اعتاد على أن يكون لديه مشاورات على خلفية أنه قد تم إرساله من قبل الآلهة لتؤكد له النصر. لقد تظاهر سوللا بعمل محادثات أو بأنه كان يتحدث مع صورة كانت قد اتخذت من معبد أبوللو، وعدد كبير من الجنرالات قاموا بإخبارنا بأن بعض الآلهة أو غيرها قد ظهرت لهم في المنام والرؤى وأمرتهم ونصحتهم بمواجهة العدو، وفي أيام أجدادنا، وعندما كان شارل السابع ملك فرنسا يحارب انجلترا، قد تظاهر بأن كل شيء يقوم به قد نُصح به عن طريق عذراء أرسلت إليه من السماء وقد أطلق عليها اسم شائع وهو (عذراء فرنسا) والتي منحته العديد من الانتصارات.

وأيضا من الملائم أن تُعلِّم رجالَك أن يقوموا بوضع أعدائهم في حالة ازدراء كما فعل أجيلوس (Agesilaus) الإسبرطي عندما جعل رجاله يشاهدون بعض رجال الفرس وهم عراة وعندما رأوا الفرس بجلودهم البيضاء والناعمة لم يعد لديهم سبب للخوف منهم.

وقد اضطر بعض القادة رجالهم للحرب عن طريق حرمانهم من كل وسائل حماية النفس ماعدا النصر، وهذه بكل تأكيد هي الوسيلة التي تجعلهم يحاربون بكل استماتة، وهذا القرار يزيد عادة إما عن طريق الثقة التي يضعونها في أنفسهم

وجيوشهم وأسلحتهم وانضباطهم ونظامهم الجديد والانتصارات التي حققوها في الآونة الأخيرة، أو عن طريق الثقة والاحترام الموجودين لديهم لقائدهم، مثل هذه الثقة هي نتيجة رأيهم في قائدهم والقيم الموجودة في هذا القائد وليس نتيجة لأية مصلحة خاصة قد تلقوها منه، أو من أن هذا نتيجة حبهم لوطنهم وهو أمر طبيعي لكل الرجال، وهناك طرق عديدة من أجل إجبار الرجال على القتال ولكن هذا هو الخيار الأقوى والأكثر عملية وهو أن تدع الرجال بدون بدائل أخرى سواء القتل أو النصر أو إما أن أنتصر أو أموت.



شد الرحال والإمدادات في الحروب

الكتاب الخامس

إقامة المعسكرات وشدُّ الرحال بالخروج من المعسكرات وكذلك إمدادات وتموين القوات

فابريزيو: لقد أوضحت لك كيف يجب تشكيل الجيش عندما يكون على وشك الاشتباك مع جيش آخر، وكيف يمكن هزيمة العدو، والعديد من الظروف المحيطة الأخرى المتعلقة بالحرب والتي يمكن أن تحدث من خلال وقائع وحوادث مختلفة ومتنوعة، وأعتقد أنه حان الوقت الآن لأوضح لك كيف يمكن إعداد جيش ليس لديه عدو مرئي بصورة فعلية في الأفق ولكن من المتوقع أن يتعرض للهجوم فجأة، خاصة عندما يسير عبر بلد العدو أو أحد البلاد المشتبه بأنها تميل نحو هذا العدو.

حينها يجب أن تعرف، في المقام الأول، أن الجنرالات الرومان عادة ما قاموا بإرسال بعض من قوات الفرسان على رأس الجيش من أجل استطلاع البلاد وتمهيد الطرق ثم يتبعهم الجناح الأيمن مع العربات والحقائب التابعة له في مؤخرته ثم بعد ذلك تأتي أحد الفيالق ومعها عرباتها وهكذا يأتي الجميع بنفس الطريقة، وآخر من يأتي يكون الجناح الأيسر مع أمتعته وباقي الفرسان يأتون خلف الجميع، وكان هذا هو الترتيب الملاحظ والمُتبع عموما أثناء السير، إذا حدث وتم الهجوم عليهم سواء في المقدمة أو المؤخرة فإن العربات يتم توجيهها على الفور إما لليسار أو لليمين ويتم وضعها في مكان مناسب من حيث طبيعة الأرض والتي فيها يوضع الجيش أيضًا بعيدا عن المواجهة، وإذا تعرضوا لهجوم على الجناح الأيمن فإنهم يقومون بتوجيه العربات إلى الجانب الأيسر والعكس بالعكس، ويقومون بتحويل الجهة التي يتم الهجوم عليها إلى المقدمة، ومن هنا فإني أعتقد أنها وسيلة منظمة جدًّا وجيدة جدًّا وأعتقد أنها أيضًا وسيلة جديرة بالتقليد، ولذلك، فعند المناسبات المماثلة فإنني أود أن أقوم بإرسال الفرسان المسلحين بالأسلحة الخفيفة على رأس الجيش من أجل تأمين وتمهيد الطريق والأفواج الأربعة يجب أن يسيروا بعد هذا واحدًا تلو الآخر،

كل منهم ومعه أمتعته في المؤخرة، وهناك نوعان من الأمتعة، الأمتعة التي يستخدمها الأفراد والأمتعة التي يستخدمها الجيش ككل، وأنا يجب أن أقسم أمتعة الجيش إلى أربعة أقسام وأضع كل ربع من الأمتعة تحت رعاية كل فوج من الأفواج، المدفعية والمرشدين وكل من يحضر في الميدان يجب أن يتم توزيعها فيما بينهم بنفس الطريقة، بحيث كل فوج يكون له حصة متساوية في قطار الأمتعة.

ولكن نظرا لأنه قد يحدث في بعض الأحيان أن تقوم بالعبور بمسيرتك من خلال بلدة لا تشك فقط بأنها تابعة للعدو ولكن تتوقع أن العدو سوف يهاجمك في التو، فإنك سوف تكون مُلزما بالتأمين بصورة أكبر وتقوم بتغيير التشكيل والنظام الخاصين بمسيرتك بحيث لا يجدك العدو ولا سكان المنطقة غير جاهز لاستقبالهم في أي جانب من جوانب جيشك إذا قاموا بالهجوم عليك بصورة مفاجئة.

وفي مثل هذه الحالات، قام جنرالات القدماء بتشكيل جيشهم على صورة مربع مستطيل الأضلاع بحيث يمكنهم الدفاع عن أنفسهم من كل جانب ويكونون على استعداد للقتال وكذلك السير، وأنا أعترف بأنني أحب هذه الطريقة في التوزيع، وسوف أستخدم هذا المثال في ترتيب وتوجيه الفوجين بنفس الطريقة في نفس المناسبات المشابهة والتي هي مربع مستطيل طويل الأضلاع أجوف من المنتصف وطول كل جانب يصل إلى 424 قدمًا. وأجنحتي سوف تكون على غرار تلك المسافة وفي كل واحد سوف أضع خمس كتائب كل واحدة تلو الأخرى بحيث تكون كل كتيبة المسافة بينها وبين الأخرى ست أقدام بحيث تأخذ هذه الكتائب مساحة 424 قدمًا بما في ذلك الفواصل بينهم ونقوم بافتراض أن الكتائب تأخذ مساحة من الأرض تبلغ 80 قدما، وفي مقدمة ومؤخرة المربع الأجوف في الوسط فإنني سوف أضع العشرة الكتائب الأخرى فيه، بحيث يكون خمس منهم في مقدمة هذا المربع والخمسة الآخرون في المؤخرة، وبمثل هذه الطريقة التي يكون بها أربع منهم جنبا

إلى جنب متلاحمين يجب أن تكون في مقدمة الجناح الأيمن، وأيضا أربع منهم يتم تنظيمهم بنفس الطريقة بجوار المؤخرة على اليسار بمراعاة الفاصل بين كل منهم بمسافة 8 أقدام، وسوف أضع أخرى على مقدمة الجناح الأيسر على خط مع الأربع الأوائل، وكذلك كتيبة أخرى بجانب مؤخرة الجناح الأيمن وكذلك على خط مع الأربع الآخرين هناك.

الآن وبعد أن أصبحت المسافة بين كل جناح والآخر هي 424 قدمًا ويتم وضع الكتائب في مقدمة المربع - بما في ذلك المسافات بينهم - لن تأخذ أكثر من 274 قدمًا، وسوف تظل هناك مساحة شاغرة من 150 قدمًا بين الكتائب الأربعة على الجهة اليمنى والكتيبة الواحدة على الجهة اليسرى، وسوف يكون أيضًا هناك المسافة بين الكتائب في المؤخرة بدون أي اختلاف ماعدا الفراغ في المقدمة سوف يكون بالقرب الجناح الأيسر وبالقرب من مؤخرة الجناح الأيمن. سوف أضع الـمشاة (velites) العاديين في المساحات الفارغة الأولى والغير عاديين سوف أضعهم في المساحات الفارغة التالية، وهذا لن يساعدني بالتأكيد على أن أضع كمية من الرجال تصل إلى ألف رجل في كل مساحة فارغة، ولكن لترتيب ذلك يجب أن يكون الفراغ الأجوف الموجود في وسط الجيش يصل إلى 424 قدمًا على كل جانب، ويجب اتخاذ الحيطة من ألا تقوم الخمس الكتائب الموضوعة في المقدمة ولا الخمس الأخرى الموضوعة في المؤخرة بالتحرك أو القيام بأية أدوار في المساحة المذكورة بين الجناحين، ولهذا الغرض فإن آخر رجل على الجانب الأيمن والأيسر للصف الأول من كتائب المؤخرة يجب أن يكونوا قريبين ليس على خط مستقيم ولكن بشكل غير مباشر مع الرجل الأقرب في آخر خط في كل جناح، آخر رجل في الجانب الأيمن والجانب الأيسر في آخر صف من الكتائب في المقدمة يجب أن يكونوا قريبين بنفس الطريقة مع الرجل الأقرب في أول صف من كل جناح، ومن ثم يكون هناك فراغ مفتوح في كل زاوية من زوايا

الجيش وهو فراغ كبير بما يكفي لكي يسع عدد 333 من الرماحين الغير عاديين أو فوق العادة، ولكن في حين أنه سوف يتبقى فيلقان من الرماحين الغير عاديين فإنني سوف أضعهم على صورة مربع في منتصف المنطقة داخل الجيش وفي مقدمة هذا المربع أو أن أضع القائد بنفسه جنبا إلى جنب مع مجموعته.

الآن، بالرغم من أن هذه الكتائب تم إعدادها لكي تسير في اتجاه واحد ولكن يمكن أن تكون مضطرة أن تقاتل في أكثر من جهة، فيجب عليك أن تدربهم وتجعلهم مؤهلين لمثل هذه الأغراض، ولهذا فإن الخمس كتائب الأولى المحمية من كل جوانبها ماعدا المقدمة يجب أن تتكون من الرماحين في صفوفهم الأمامية، والكتائب الخمس الأخيرة مغطاة في كل جانب ما عدا المؤخرة ولذلك يجب أن تتكون من الرماحين في صفوفهم الخلفية، ولنفس السبب فإن كل جناح يجب أن يكون لديه الرماحون الخاصُّون بصفوفه الأبعد، والعرفاء والضباط الآخرون يجب عليهم أن يتخذوا مواقعهم الملائمة في نفس الوقت لذلك عندما يشتبك الجيش فإن كل سلاح وكل عضو في هذا السلاح يمكن أن يكون في المكان الملائم وذلك طبقا للنظام والطريقة التي أخبرتك بها مسبقا عندما كنت أتحدث عن النطاق الذي يجب أن يأخذه الجيش في نظام وترتيب المعركة.

وأود أن أقوم بتوزيع المدفعية على طول كل جناح، الخيالة الخفيفة التسليح يجب أن تُرسل قبل الجيش من أجل استطلاع التضاريس وتأمين الطريق، وسوف أقوم بوضع الرجال المسلحين في مؤخرة كل جانب وعلى مسافة 80 قدمًا من الكتائب. ولهذا فإن ثمة قاعدة عامة في تنظيم الجيش وهي أن تضع سلاح الفرسان لديك دائما إما في الأجنحة أو في العمق أو المؤخرة، لأنه إذا قمت بوضعهم في المقدمة فإنك يجب أن تفعل هذا على مسافة من الجيش مثل التي يجب أن يأخذها العدو بحيث يكون لديهم الوقت والمساحة الكافية للدوران بدون الوقوع في ارتكاب الأخطاء

مع المشاة، أو يجب عليك أن تترك المسافات الملائمة في المقدمة من أجل أن تسعهم حتى لا يحدث اضطراب في بقية القوات الأخرى الخاصة بك، هذا هو الأمر الذي يستحق أن يتم تذكره دائما بصورة جيدة، ومن يهمل هذه الاحتياطات فسوف يقع في الاضطرابات والهزيمة عند طريق أفراد ورجال جيوشهم.

العربات والمرشدون والرجال الآخرون الغير مسلحين الذين يتبعون المعسكر يجب أن يتم وضعهم في المربع الأجوف ويتم ترتيبهم بحيث -عند أي مناسبة تحدث- يكون لديهم ممر خاص سواء من المقدمة للمؤخرة أو من جناح لآخر.

وعمق الجيش بأكمله عندما يتم عرض الجيش كله، سوف يكون 584 قدما من المقدمة للمؤخرة باستثناء الفرسان والمدفعية لأنه تم تكوينهم من فوجين، فيجب أن يتم النظر في كيفية نشر وتمركز كل منهم. الآن وحيث إنه تم تميز الأفواج عن طريق العلامات والأرقام الخاصة بكل منها وكل من هذه الأفواج يتكون من عشر كتائب وعقيد، الخمس كتائب الأولى من الفوج الأول يجب أن يتم نشرها وتمركزها في مقدمة الجيش والخمس كتائب الأخرى يجب وضعها في الجناح الأيسر وقائد الفوج يجب أن يأخذ مكانه في الزاوية اليسرى من المقدمة، وبعد ذلك، فإن الخمس كتائب الأولى من الفوج الثاني يجب أن يتم نشرها وتمركزها في الجناح الأيمن والخمس كتائب الأخرى يتم وضعها في الخط الخلفي أو المؤخرة مع القائد الخاص بهم في الزاوية التي قاموا بتشكيلها هناك حيث يؤدي وظيفة قائد حماية المؤخرة.

وعندما يتم تشكيل الجيش، فيجب عليك وضعه في إطار الحركة وأن تقوم بملاحظة واتباع هذا النظام في المسيرة كلها، وهذا هو الذي سوف يقوم بتأمينك بصورة مؤثرة ضد أية هجمة من سكان الريف، وكل الاحتياطات والتدابير الأخرى فيما يخص هذا الأمر تعتبر ضرورية، إلا إذا كنت تقوم بين الحين والآخر بإرسال بعض القوات أو اثنين من الخيالة الخفيفة أو جزء من المشاة (velites) لكي

يقوموا بطردهم وإبعادهم لأنه بالنسبة لتلك الأنواع من الأشخاص الغير منظمين المضطربين فإنهم يكونون خائفين بشدة من القوات المنظمة لدرجة أنهم لن يأتوا أبدا في مجال رماحهم وحرابهم كما لا يقل الرعب من سيوفهم، ومن المحتمل أن يقوموا بعمل صيحات وعمل خدعة بأنهم سوف يهجمون عليك، وهذا مثل مجموعة من الأوغاد يقومون بالصياح على والنباح على كلب درواس ضخم لا يجرؤون على المغامرة بالاقتراب منه، ولهذا، في كل وقت كان حنبعل يقوم فيه بعبور أرض الإغريق لكي يغزو إيطاليا لا يأخذ في الاعتبار أهل الريف أو يعطيهم حسابا قليلا، من أجل الراحة والسرعة في المسيرة يجب عليك أن ترسل مهندسين أو ممهدي الطرق قبل الجيش من أجل عمل ممرات آمنة وهؤلاء المهندسون يجب أن تتم تغطيتهم عن طريق الخيالة من أجل استطلاع الريف، وسوف يقوم الجيش بالسير لمسافة عشرة أميال في اليوم وبهذا النظام وبسهولة كبيرة ومازال الوقت كافيا لعمل المخيمات وتجديدها قبل حلول الظلام هذا والسير المعتاد للجيش يكون حوالي عشرين ميلا في اليوم.

وإذا ما تمت مهاجمتك عن طريق جيش نظامي فإن ذلك لا يمكن أن يكون مفاجأة لدرجة أنه لن يكون لديك الوقت الكافي لكي تضع نفسك في الوضع الدفاعي الملائم والسليم ولأن هذا الجيش المهاجم يتحرك بطريقة منظمة فسوف تكون قادرا على توجيه قواتك بالطريقة التي ذكرتها أو بالطرق الأخرى المشابهة، لأنه إذا تعرضت للهجوم في المقدمة، فإن عليك ألا تفعل شيء سوى القيام بتهيئة المدفعية ووضعها على أجنحة الجيش وأن تجعل الخيالة يخرجون من المؤخرة وأن تضعهم متمركزين في الأماكن السليمة مع مراعاة المسافات التي أوصيت بها، ويجب أن يتقدم 1000 من الـمشاة (velites) في المقدمة - على أن يقوموا بتقسيم أنفسهم إلى جزأين كل جزء يتكون من 500 - وأن تسمح لهم بأن يتخذوا مواقعهم بين الفرسان وفي كل جناح من أجنحة الجيش، أما الفجوة أو الفراغ الذي يتركونه يمكن أن يتم

ملئه باثنين من الأسلحة وهم الرماحون الغير عاديين والذي تم وضعهم في فجوة المربع، والـمشاة (velites) الغير عاديين الذين كانوا في الخلف، يمكن أن يقسموا إلى جزأين ويوزعون أنفسهم بصورة متعادلة على طول خط كل كتيبة من أجل تقديم الدعم للكتائب، وكل العربات والمرشدين سوف يخرجون عن طريق الممر الذي سيُفتح لهم في مؤخرة الكتائب، ولأن المربع الأجوف سيكون فارغا سوف ندع الخمس كتائب الموجودة في الخلف تتوجه نحو الأمام باتجاه المقدمة عبر الفتحات الموجودة بين الأجنحة، ثلاث منهم يتقدمون حتى تكون المسافة بينهم وبين الجبهة 80 قدما، أما الكتيبتان الباقيتان فيظلون على نفس المسافة في مؤخرة الثلاث كتائب الموجودة أمامهم مع مراعاة المساحات الفاصلة بينهم جميعا، كل هذا يمكن أن يتم في وقت قصير جدًّا، ونظامك في المعركة سوف يكون أكثر مشابهة لتلك الأساسيات الأولى التي أوصيت بها مسبقا، وإذا كان التنظيم متقاربًا في المقدمة فإنه أيضًا سوف يكون أكثر التحاما وإحكاما في الأجنحة وهذا ما سوف يجعلها أكثر قوة بكثير، ولكن لأن الكتائب الخمس في المؤخرة كانت قد نشرت الرماحين وجعلتهم متمركزين في صفوفها الأخيرة للسبب الذي ذكرته بالفعل، فإنه سيكون من الضروري بسبب هذه المناسبة أن تقوم بوضعهم في صفوفهم في المقدمة وذلك لدعم الجيش من ناحية المقدمة أو الجبهة، لهذا الغرض فإنهم يجب عليهم التحول لليمين أو لليسار - كتيبة وراء كتيبة في الحال كما لو كانوا جسدا واحدا - أو الرماحون يجب أن يعبروا عبر صفوف حاملي الدروع ويتمركزوا بأنفسهم أمام حاملي الدروع، وهذه وسيلة أسرع بكثير من غيرها وتتعرض لأقل اضطراب، والشيء نفسه يجب أن يحدث أثناء الهجوم في كل أنحاء الجيش حيث يكون الرماحون في مؤخرة حاملي الدروع كما سوف أوضح لك.

إذا كان العدو يتقدم بنفسه في المؤخرة، فإنه ليس عليك سوى أن تجعل جيشك بأكمله يقوم بالمواجهة من هذا الجانب وفي الحال تجعل مؤخرة جيشك تتحول في

الحال لتصبح هي المقدمة والمقدمة تتحول لتصبح هي المؤخرة، ويجب عليك أن تتبع كل التوجيهات التي قدمتها لك بالفعل في تكوين المقدمة، وإذا كان العدو من المرجح أن يشن هجوما على الجبهة اليمنى لجيشك فإن كل جيشك يجب أن يتحول للمواجهة من هذه الجهة وكما قلت لك قم بعمل الجبهة هناك وكن على حرص بأن تضع الفرسان والـمشاة والمدفعية طبقا لهذا التوزيع، هذه التغييرات تؤدي إلى اختلافات بسيطة ماعدا المسافة بين الأجنحة وبين المقدمة والمؤخرة، وهذه حقيقة، أن تحويل الجانب الأيمن إلى المقدمة، المشاة يجب أن يملؤوا الفراغات بين الفرسان وأجنحة الجيش يجب أن تكون الأقرب إلى الجبهة اليسرى، وفيلقا الرماحين في المنطقة يجب أن يتقدموا من أجل ملء مراكزهم، ولكن قبل أن يقوموا بفعل هذا، فإن العربات والأشخاص العزل يجب أن يتركوا المنطقة ويتراجعوا من خلال الفتحة التي تركها لهم الـمشاة خلف الجناح الأيسر والذي سوف بعد ذلك يصبح مؤخرة الجيش، المشاة الآخرون المتمركزون في المؤخرة يجب عليهم الحفاظ على أمكانهم بحيث لا يمكن ترك فتحات هناك، لأن ما كان هو المؤخرة من قبل سوف يصبح الآن الجناح الأيمن، كل المناورات الأخرى اللازمة في هذه الحالة يجب أن يتم تنفيذها طبقا للطريقة الموصوفة بالفعل، وما قيل عن كيفية تكوين مقدمة من الجناح الأيمن يمكن أن يتم تطبيقه على الأيسر، لأن نفس التصرفات والمناورات يجب أن تتم بناء على تلك المناسبة.

إذا كان العدو كثيرَ العدد وقام بالتخطيط لمهاجمتك على الجانبين في آن واحد، فإنه يجب عليك أن تقوم بتدعيم كلا الجانبين من خلال أولئك الرجال الذين لا يتعرضون للهجوم عن طريق مضاعفة صفوفهم وتقسيم المدفعية بأكملها والـمشاة وبينهم الفرسان. ولكن إذا كان العدو يهاجمك على ثلاثة أو أربعة جوانب في نفس الوقت فإن جيش العدو أو جيشك ليس لديه حكمة على الإطلاق، فبكل تأكيد

القائد الحكيم لن يقوم بتعريض نفسه للهجوم في العديد من الأجناب في نفس الوقت عن طريق جيش قوي ومنظم بشكل جيد، من ناحية أخرى فإن العدو لا يستطيع أن يفعل هذا بنجاح ما لم يكن جيشه ضخمًا بصورة كبيرة بحيث يمكنه تقريبا توزيع رجاله على مقدار عدد كل جيشك من أجل مهاجمتك من كل الاتجاهات، وإذا كنت غير حذر وقمت بالمغامرة في بلد العدو، أو أي مكان آخر حيث يمكن أن تتعرض للهجوم عن طريق أحد الجيوش وكان هذا الجيش أقوى منك ثلاث مرات وأكثر نظاما منك ثلاث مرات، فلا تلومن إلا نفسك إذا حدثت لك أية مصيبة أو كارثة، ولكن إذا كانت هذه المصيبة ليست نتيجة لعدم حرصك ولكن بسبب بعض الحوادث الغريبة والغير متوقعة، فإنك من الممكن أن تقوم بحماية سمعتك على الرغم من كونك قد تم تدميرك تماما من جراء ذلك - كما هو الحال مع Scipio عندما كان في أسبانيا، ومع Hasdrubal صدربعل في إيطاليا - ولكن إذا كان العدو ليس أقوى منك بكثير ويهاجمك في جانبين أو ثلاث في نفس الوقت آملا أن يلقي بك في هاوية الاضطراب، فإن هذا خطأه وميزة لك، لأنه في هذه الحالة يكون بالتأكيد قد أضعف من قواه كثيرا بصورة تمكنك بسهولة من دعم وتعزيز الهجوم في مكان، وتقوم بالهجوم عليه بقوة في مكان آخر وهذا سوف يؤدي إلى هزيمته.

لذلك فإن هذا الأسلوب في تنظيم الجيش هو ضد عدو لا تراه على أرض الواقع، ولكن ذلك العدو الذي يمكن أن يقوم بمهاجمتك فجأة وعلى حين غفلة، فإنه من الضروري وذو أهمية قصوى أن تقوم بتعويد جنودك ليس فقط على أن يكون تشكيلهم ومسيرتهم طبقا لهذا النظام، ولكن أيضًا إعداد أنفسهم للمعركة كما لو كان الهجوم سيتم عليهم في المقدمة، ومن ثم العودة لترتيبهم السابق مرة أخرى والمضي قدما.

بعد هذا يجب أن يتم إطلاعهم على كيفية تحويل المؤخرة أو أي جناح من الأجنحة

إلى المقدمة ثم يقوموا بالتراجع لترتيبهم الأول، كل هذا يجب أن تتم ممارسته مرارا وتكرارا إذا كنت تريد أن يكون جيشك جاهزا وخبيرا في هذه التدريبات، وهذه هي النقطة التي يجب على جميع الأمراء والقادة أن ينتبهوا لها بعناية لأن نظام الجيش وانضباطه يتكون بصورة رئيسية من معرفة كيف تقوم بالقيادة وتنفيذ هذه الأشياء، والجيش الذي يكون جيدًا في تنفيذ هذه التمارين فقط يمكن أن يُسمى جيشا جيدًا ومنضبطا، وإذا كان مثل هذا موجودا، فلا أعتقد أنه سوف يوجد جيش يستطيع هزيمته. وإذا قيل بأن تشكيل الجيش في هذه المربعات يجلب معه قدرا كبيرا من المشكلات والصعوبات سأسمح بهذا القول ولكن هذا التنظيم ضروري جدًّا وهذه الصعوبات يمكن تجاوزها عن طريق التدريب المتكرر وحين يتم هذا فإن تنظيم كل أجزاء الجيش الأخرى سوف تبدو أكثر سهولة وخفة.

زانوبى: إنني أتفق معك تماما في أن هذه الأشياء ضرورية جدًّا، وأنا أعتقد أنك شرحتها لي بصورة جيدة جدًّا، بحيث لم تدع أية مادة ناقصة أو أية مادة تستدعي الإضافة، ومع ذلك فإن هناك نقطتين أخريين أحب أن أعرفها بصورة مُرضية، في المقام الأول، عندما تريد أن تقوم بتحويل الجبهة الخلفية أو أحد الأجناب إلى المقدمة ومن ثم يقوم الرجال بالمواجهة من هذا الجزء، فهل يحدث هذا عن طريق أوامر القائد، أم عن طريق الطبول، أم عن طريق بعض الإشارات الأخرى؟، في المقام الثاني، هل هؤلاء الذين قمت بإرسالهم في مقدمة الجيش من أجل تمهيد الطريق ومن أجل عمل ممر آمن للجيش هل يكونون جنودا منتمين لكتائبك أم أنواعًا أخرى من الناس تم تعيينهم خصيصا من أجل هذه المهمة أو الخدمة؟

فابريزيو: إن السؤال الأول هو وثيق الصلة للغاية، إن العديد من الجيوش قد وقعت في اضطراب عظيم عندما لا يتم سماع أوامر الجنرال أو يتم تنفيذ هذه الأوامر بصورة خاطئة، ولذلك مثل هذه الأوامر يجب أن تكون واضحة جدًّا ومفهومة،

وخصوصا في المناسبات الهامة، وإذا تم إعطاء هذه الأوامر عن طريق دق الطبول أو عن طريق صوت الأبواق فإن هذا يجب أن يتم بطريقة مميزة جدًّا بحيث يتم ملاحظتها وملاحظة الصوت بدون أن يكون هناك خطأ، ولكن إذا تم إرسالك برسالة شفهية، فإنه يجب أن تكون حريصا على أن تتجنب الكلمات العامة، وأن تستخدمها بحذافيرها، ولكن حتى في تلك، لا تخاطر بأن يتم تفسير هذه الأوامر تفسيرًا مزدوجًا فكن على حرص بألا يتم تفسير هذه الأوامر بصورة خاطئة، بعض الجيوش تم تدميرها بسبب صيحات الضباط عندما يقولوا: (أفسح طريق، أفسح طريق give way) بدلا من أن يقولوا (تراجعوا retreat) وهذا تحذير كافٍ لكي لا تستخدم هذه التعبيرات مرة أخرى، وإذا كنت تريد تحويل مؤخرة أحد الأجنحة بأنْ يتقدموا للأمام، وكنت تريد من رجالك أن يستديروا بحيث يكون وجههم مقابلًا لهذا الطريق فلا تقول (استديروا turn) ولكن قل (تغيير كامل ومفاجئ about face) (توجه لليمين right face) (توجه لليسار left face) على حسب ما يتطلبه الموقف. وعلى نفس الشكل، فإن كل الأوامر الأخرى يجب أن تكون واضحة وبسيطة مثل (قربوا الصفوف close ranks) (قف halt) (إلى الأمام forward) (تراجعوا retreat)، وإذا تم تسليم الأوامر بوضوح وصراحة عن طريق الكلمات الشفهية، فدعهم يستخدمون هذه الطريقة، وإذا لم يكن كذلك، قم باستخدام الطبول أو الأبواق.

أما بالنسبة لطليعة الجيش أو مستكشفي الطريق فإنني أفضل أن أقوم بتفويض بعض من جنودي الخاصين من أجل هذه المهمة، وليس لمجرد أن القدماء قد قاموا بعمل هذا، ولكن لكي يكون معي عدد أقل من العُزَّل الغير مسلحين، وبالتالي، ستكون الأعباء أقل في جيشي، ولهذا السبب، يمكن لي أن أستعين بأكبر عدد من الرجال الذين أريدهم من كل كتيبة، هؤلاء الرجال سوف يتركون أسلحتهم

وعتادهم في رعاية الرجال الموجودين في أقرب صف، وسيتم تزويدهم بالفؤوس، والمعاول، والمجاريف وغيرها من الأدوات الضرورية، بحيث عندما يقترب العدو، فإنهم سوف يعودون في الحال إلى صفوفهم في الجيش ويتسلمون مواقعهم وأسلحتهم من جديد.

زانوبى: لكن كيف يتم حمل معدات الاستطلاع هذه؟

فابريزيو: عن طريق العربات المخصصة لهذا الغرض.

زانوبى: إنني أشك في قدرتك على أن تجعل جنودك يقومون بمثل هذا النوع من العمل.

فابريزيو: إنه أمر سهل، لأنني سوف أقوم بإقناعك بهذا قبل أن نرحل، ولكن اسمح لنا أن نتجاوز ونرجأ هذا الموضوع في الوقت الحاضر، إذا تفضلت بهذا، لأنني سوف أخبرك أولا كيف أقوم بإمدادهم بالمؤن، بما أننا نرهقهم بالعديد من التمرينات، فأعتقد أنه حان الوقت لإعطائهم القليل من التغيير. كل الأمراء والقادة يجب أن يولوا عناية بأن تكون جيوشهم خفيفة وغير مثقلة بقدر الإمكان، بحيث يكونون في أي وقت لائقين بدنيا وجاهزين لأية مأمورية أو بعثة. والآن فإن الصعوبات التي نجمت عن نقص أو غزارة الإمدادات قد توطنت من بين أهم الحوادث الهامة للجيش. إن القدماء لم يكلفوا أنفسهم الكثير من المشاق حول تزويد قواتهم بالخمر، وذلك حتى عندما يصلون إلى بلدان لا يجدون فيها الخمر فإنهم سوف يشربون الماء ومعه القليل من الخل من أجل إعطائهم نفس مذاق الخمر أو النبيذ، لذلك، بدلا من الخمر فإنهم يحملون معهم الخل دائما.

إنهم لا يقومون بخبز الخبز في الأفران كما هو معتاد في المدن، كلُّ جندي له تعيين محدد من الوجبات أو الطحين والدهن والتي عندما يقوم بعجنهم سويا وعملهم

جيدًّا تكون مغذية كالخبز، وكذلك فإنهم اعتادوا على أن يحملوا معهم كمية كافية من الشوفان والشعير لخيولهم وللماشية الأخرى، ولديهم قطعان من الثيران والماشية والماعز والتي يتم قيادتها خلف الجيش ولذلك لا يتسببون في أي عائق كبير. وكنتيجة لهذه الاحتياطات، فإن جيوشهم في بعض الأحيان يمكنها السير لعدة أيام عبر صحارى البلدان ويجتازون الأماكن الوعرة دون ضغوط أو صعوبات.

على النقيض، فإن جيوشنا الحديثة، والتي لا يمكنها أن تعيش بدون خمر أو بدون تناول الخبز المجهز كما يتم في المدن (ولا يمكنهم أن يحملوا كمية كافية لتدوم على طوال الوقت)، فإنْ هذا غالبا ما يؤدي إلى المحن الكبيرة، أو يكونون ملزمين على أن يقوموا بتزويد أنفسهم بمثل هذه الضروريات بطريقة يجب أن تكون مزعجة جدًّا ومكلفة، ولذلك، فإني أود أن أستبعد هذه الطريقة في جيشي، وألا أسمح للجنود بأن يتناولوا أي نوع من الخبز إلا ما صنعته أيديهم كما هو الحال بالنسبة للنبيذ فإنني لن أقوم بحظر استخدامه إذا تم إحضاره إلى المعسكر ولكنني لن أقوم حتى بأي مجهود من أجل توفيره لهم.

في كل الأشياء الأخرى المتعلقة بالمؤن، فإنني يجب أن أحذو حذو القدماء والتي عن طريقها يمكن تجنب الكثير من الصعوبات والمتاعب وكذلك يمكن عن طريقها اكتساب العديد من المزايا في أيةِ حملة.

زانوبى: لقد هزمنا العدو في ميدان المعركة، وبعد ذلك سارت جيوشنا لأراضيه، فمن المعقول أننا يجب حينها أن نستفيد من ذلك عن طريق اغتنام ونهب بلاده، وفرض الجزية على المدن، وأن نأخذ البعض إلى السجن، لكن أود أولا أن أعرف كيف شرع القدماء في مثل هذه المناسبات.

فابريزيو: إنني أعتبره أمرا مسلما به، حيث قد أجرينا بعض المحادثات فيما يخص

هذه المسألة من قبل، إنك سوف تعترف وتسلم بأن تلك الحروب، كما تحدث ويتم إدارتها حاليا، تقوم بإذلال وإفقار ليس فقط المهزومين ولكن أيضًا الفاتحين المنتصرين لأنه إذا خسر أحد الفريقين أرضه فالفريق الآخر يتحمل نفقات باهظة وهائلة من أجل الحصول عليها، ولم يكن ذلك الحال في العصور السابقة عندما كان الفاتح دائما ما يحصل على الثراء عن طريق النصر، والسبب في هذا أن الغنائم والأمتعة لم يعد يتم حسابها كما كان عليه الحال في السابق، ولكن يتم تركه لتقدير الجنود، وهذا يسبب اضطرابين عظيمين، أولهما ما قد ذكرته بالفعل والآخر هو أن هذا سوف يصيب الجنود بالطمع الشديد للغنائم مما يجعلهم يضعون جانبا كل قواعد الانضباط العسكري والنظام، ومن هنا فإنه كثيرا ما حدث أن المنتصر يتم انتزاع النصر من بين يديه مرة أخرى.

ومع ذلك، فإن الرومان كانوا على يقظة كبيرة جدًّا لهذه النقطة، متخذين إجراءات ضد كل هذه المتاعب حيث إن هذه الأشياء التي تم اغتنامها أو نهبها تعود إلى الخزينة العامة وتقوم بعد ذلك بإنفاقها فيما يعتقد أنه مناسب، لهذا الغرض قام الرومان بإحضار محاسبين وملاحظين في جيوشهم، رجال يمكن أن نطلق عليهم صارفي الرواتب وفي يديهم يتم إيداع كل الغنائم التي تم الحصول عليها في الحرب، ويتم إنشاء صندوق عن طريقه يقوم القائد بدفع رواتب الجنود وتحمل نفقات المرضى والجرحى ودفع أية رسوم أخرى لازمة للجيش، وفي الواقع، فإن القنصل يكون لديه الصلاحية لتوزيع هذا الجزء من الغنائم على الجنود وهذا ما كان يفعله غالبا، وهذا لم يسبب أية نتائج سيئة، لأنه عندما يتم غزو العدو فإن كل الغنائم المأخوذة منه كان يتم وضعها في منتصف الجيش وجزء معين منها يتم منحه للجنود طبقا لرُتبهم وجدارتهم، وهذه العادة جعلت لديهم النية والعزيمة موجودة بصورة أكبر لتحقيق النصر أكثر من النية للسلب والنهب.

بعد أن قام جنود الفيالق بهزيمة الأعداء فإنهم لم يتم إقناعهم أبدا بألا يتحركوا من أماكنهم - لقد تم تكليف الفرسان والقوات المسلحة بالأسلحة الخفيفة من أجل هذا الغرض - بحيث إذا كانت الغنائم من نصيب أول رجل يصل إليها فإن هذا سوف يؤدي إلى فقدان النظام والهدوء في الصفوف ولهذا فإن مثل الإجراء سوف يكون له عواقب وخيمة جدًّا، ومن هنا كانت الحاجة لوجود الخزينة العامة بعد أي انتصار، ومن هنا كان كل قنصل يعود إلى روما منتصرا وكان عند عودته من الحروب دائما ومن أجل الصالح العام يحضر معه الجزء الأكبر من المالية أو الكنز الذي جمعه من خلال الجزية ونهب العدو، لقد تصرف القدماء بحكمة كبيرة في نقطة أخرى تتعلق بهذه المسألة: لقد أمروا بأن يتم إيداع الدفعة الثالثة من راتب كل جندي في يد حامل لواء السلاح الخاص به، ولا يتم صرف هذا الجزء له إلا بعد نهاية الحرب ويبدو أن هذا قد تم لسببين: في المقام الأول من أجل توفير مالهم، والذي يمكن أن يتم إنفاقه في النفقات الغير ضرورية حيث إن معظم الشباب عُرضة للقيام بهذا عندما يكون لديهم الكثير من المال في جيوبهم، وفي المقام الثاني من أجل أن يجعلوهم أكثر حزما وعندا في الدفاع عن ألويتهم حيث يجب أن يعلم الجنود أنهم إذا لم يلتزموا بهذه المعايير أي الشدة والحزم فإنهم سوف يفقدون رواتبهم المتأخرة، واتباع هذا النظام يمكن أن يُسهم في إعادة إحياء الانضباط العسكري القديم بيننا.

زانوبى: عندما يسير أحد الجيوش، فإنه بالتأكيد يجب أن يكون مُعرضا لكثير من الحوادث الخطرة، ومن أجل تدارك وتجنب هذه الحوادث، فلابد من بذل أقصى قدر من الدهاء والحصافة والقدرات الخاصة بالقائد، فضلا عن الشجاعة القصوى للجنود، ولذلك سوف نكون مدينين لك بالشكر إذا وضحت لنا هذه الأمور.

فابريزيو: إنني سوف أمتثل طواعية لسؤالك، لأن هذه المعرفة ضرورية للغاية لأي شخص حريص على أن يكون متعلما بصورة كافية عن فن الحرب. فوق كل

شيء، عندما يسير القائد يجب عليه أن يكون على دراية بالكمائن والتي يمكن أن يقع فيها من تلقاء نفسه، أو يمكن أن يقابلها بمكر من العدو قبل أن يكون على علم بها. وليتجنب هذه الكمائن، يجب عليه أن يقوم بإرسال فرق أو مجموعات قوية من أجل استطلاع البلد، وأنه يجب أن يكون حذرا إذا كانت هذه البلد تزخر وتمتلئ بالعديد من الغابات والجبال لأن هذه هي الأماكن الأكثر ملاءمة لعمل الكمائن، حيث إن هذه الجبال والغابات يمكن أن تؤدي أحيانا إلى تدمير الجيش بأكمله إذا لم يكن القائد على دراية بها، ولكن هذا لا يمكن أن يؤدي إلى أي ضرر إذا كان القائد على دراية بهذا، إن تحليق الطيور وسحب الغبار كثيرا ما تكشف العدو لأنه حينما يقترب العدو فإنه بالطبع يجب أن يثير غبارا كثيفا، وهذا يجب أن يكون في صالحك، ولذلك، فإنه بمثابة تحذير كافٍ من أجل الاستعداد للهجوم، وقد حدث أيضًا في كثير من الأحيان أنه عندما لاحظ القادة عددًا كبيرًا من الحمام أو أنواع أخرى من الطيور والتي عادة ما تطير مع بعضها في أفواج، وفجأة تأخذ جانبًا وتحوم حوله في الهواء دون النزول إليه مرة أخرى، فإن الشكوك تحوم حول وجود كمين في هذه المنطقة، وعلى أية حالة، وعن طريق إرسال سرايا من أجل استكشاف الكمين، كان بمقدورهم أحيانا الهروب من العدو وأحيانا هزيمته.

لتجنب الانجرار للوقوع في كمين من قبل العدو، يجب عليك أن تكون حذرا وفطنا لمظاهر الإغراء، على سبيل المثال: إذا كان العدو قد ترك لك غنائم كبيرة في طريقك، يجب أن تشك في أن هناك خطافًا داخل الطعم، أو إذا فرت فرقة أو مجموعة قوية من العدو أمام عدد قليل من رجالك، أو أن عددًا قليلًا من رجال العدو قاموا بالهجوم على جزء قويٍّ من جيشك، أو إذا قام العدو فجأة بالهروب من دون أي سبب واضح، فإنه من المعقول أن تتخيل أن ثمة حيلة في هذا الأمر وأنه يعلم جيدًّا ما يفعله، لذلك، كلما ظهر العدو ضعيفا ومقصرا أكثر، كلما يتوجب عليك بصورة

أكبر أن تفتح عينيك وأن تكون حريصا بصورة أكبر إذا كنت تريد أن تتجنب الوقوع في شراكه، لهذا الغرض يجب عليك أن تتصرف بطريقة مزدوجة، فعلى الرغم من أنك يجب أن يكون لديك مخاوف من العدو، ولكن ظاهريا وفي كل كلماتك وأفعالك يجب أن تبدو أنك تقلل من شأنه وتحقر منه، التصرف الأول سوف يجعلك أكثر يقظة وأقل عرضة للمفاجأة، والتصرف الآخر سوف يقوم بإلهام جنودك بالشجاعة والثقة في النصر.

وبالمثل، يجب أن تتذكر دائما أن الجيش يتعرض لمخاطر أعظم وأكبر عندما يقوم بالسير عبر بلد العدو بصورة أكثر من تلك الخطورة في ساحة المعركة، وبالتالي، يجب على القائد أن يكون حذرا بصورة مضاعفة في مثل هذه الأوقات، أول شيء يجب أن يقوم به القائد هو أن يكون لديه خريطة دقيقة للبلد بأكملها والتي عن طريقها يجب أن يسير حتى إنه قد يكون لديه معرفة كاملة بكل المدن والمسافات بين كل مدينة والأخرى وكذلك يكون لديه علم بكل الطرق، الجبال، الأنهار، الغابات، المستنقعات ومواقعها وطبيعتها الخاصة. ولهذا الغرض، فإنه من الضروري أن يقوم بطرق عديدة بتوفير العديد من الأشخاص الذين هم من مناطق مختلفة والذين على دراية جيدة بتلك الأماكن ويجب أن يسألهم عن كثب وأن يقوم بمقارنة رصدهم حتى يكون قادرا على القيام بعمل الحكم السليم منها، وبالإضافة إلى القيام بذلك، فإنه يجب أن يرسل بعضًا من الفرسان تحت قيادة بعض القادة ذوي الخبرة ليس من أجل استكشاف العدو ولكن من أجل ملاحظة نوعية التضاريس ولكي يروا ما إذا كانت تتفق مع خرائطه والمعلومات التي تلقاها. ويجب عليه أن يُبقي عينيه جيدًا على مرشديه، والذين يجب أن يشجعهم على خدمته بإخلاص عن طريق الوعود بالمكافآت الكبيرة إذا قاموا بتأدية واجباتهم، وأن يقوم بتهديدهم بأشد العقاب إذا قاموا بخداعه. ولكن فوق كل تلك الأشياء، يجب عليه أن يحافظ على سرية تصميماته

وخططه، وهذه مسألة ذات أهمية قصوى في أية مأمورية أو مهمة عسكرية، ولكي يمنع جيشه من الوقوع في الاضطرابات عن طريق أية هجمة مفاجأة، فإنه يجب عليه أن يأمر رجاله بأن يكونوا مستعدين على الدوام إذا كان شيئا من هذا القبيل متوقعا، حيث لا يمكن أن تكون رهيبة ولا ضارة إن حدثت

ومن أجل منع الارتباك أثناء المسيرة، قام العديد من الجنرالات بوضع العربات والعزل الغير مسلحين بالقرب من العلم وأمروهم أن يتبعوه عن قرب وكثب قدر الإمكان، بحيث إذا توجب عليهم في أي مناسبة أن يتوقفوا أو يستريحوا أو يتراجعوا يمكنهم القيام بهذا بقدر أكبر من السهولة والاستعداد، وأعتقد أن هذا عرف جدير بالتقليد، ويجب على الجنرال أيضًا أن يكون حريصا للغاية بألا يسمح لجزء من قواته بأن يقوم بفصل نفسه عن الآخرين أثناء السير ولا حتى بالسماح لأي فوج أن يقوم بالتحرك أسرع أو أبطأ من البقية مما يجعل جيشه ضعيفا وغير مترابط وبالتالي يعرضه لخطر كبير، ومن الضروري لذلك تمركز الضباط على طوال الأجنحة والحفاظ على المسافة الموجدة فيما بينهم وذلك عن طريق تقييد أولئك الذين يسيرون بسرعة شديدة، وتسريع الآخرين الذين يسيرون ببطء شديد، وهذا لا يمكن أن يحدث بصورة أكثر ملاءمة إلا عن طريق دقات الطبول أو عن طريق بعض أصوات الآلات الموسيقية، والطرقات أيضًا يجب أن تكون مفتوحة وواضحة بحيث على الأقل يمكن لكتيبة واحدة أن تسير عبر الطريق في وقت واحد وبنفس تنظيم المعركة.

وبعد ذلك يجب دراسة وإمعان النظر في مميزات وتقاليد وعادات العدو: سواء ما كانوا يقومون عادة بالهجوم في الصباح أو عند الظهيرة أو في المساء، أو ما إذا كان أكثر قوة في سلاح الفرسان أم في سلاح المشاة، حيث إنك سوف تقوم بتنظيم وتعديل تحركاتك والاستعدادات الخاصة بك وفقا لهذه الظروف، والآن سوف نتطرق لحالة معينة، يحدث في بعض الأحيان أن يكون الجنرال مضطرا للفرار أو شد

الرحال قبل وصول العدو لأنه غير قادر على المواجهة مع العدو أو لأنه يحاول أن يتجنب الاشتباك، ولكن بمجرد أن يدرك العدو ذلك، فإنه أيضًا يقوم بشد الرحال، ويضغط بصورة كبيرة جدًّا على المؤخرة أو الخطوط الخلفية للقائد، ومن المحتمل أن ينقض عليه العدو ويجبره على الاشتباك قبل أن يتمكن من اجتياز النهر الذي يقع في طريقه. الآن، بعض الذين كانوا في هذا الموقف الخطير قاموا بتطويق الخط الخلفي في جيشهم عن طريق حفر خندق وقاموا بملئه بحزم الحطب والمواد الأخرى القابلة للاشتعال ثم قاموا بإشعال النيران فيها، وبالتالي، وهكذا اكتسبوا الوقت اللازم لعبور النهر بسلام، وذلك قبل أن يتمكن العدو من عبور الخندق.

زانوبى: إنني بالكاد أستطيع أن أفكر أن مثل هذه الحيلة أو الوسيلة يمكن أن تكون مجدية بصورة كبيرة، لأنني أتذكر أنني قرأتُ أنه عندما كان (هانو Hanno) القرطاجي مُحاطا من قبل الأعداء، قام بإشعال النيران في عيدان الحطب في الجزء الذي كان يريد الانطلاق منه، وكان هذا فعالا جدًّا حيث أن العدو، فكر في أنه ليس من الضروري أن يقوم بمراقبة هذا المكان وقام بتوجيه مراقبته لمكان آخر، وبمجرد أن عرف هانو بهذا قام بتوجيه أمر لرجاله بأن يغطوا وجوههم بالدروع الخاصة بهم من أجل أن يقوموا بحماية أنفسهم من اللهب والدخان وأن يندفعوا عبر النيران، وهكذا استطاع أن يهرب مع جيشه بأكمله.

فابريزيو: صحيح جدًّا، ولكن تذكر ما قلته، وقم بمقارنته مع ما فعله هانو. لقد أخبرتك أن الآخرين قد قاموا بحفر خندق عميق وملؤه بالمواد القابلة للاشتعال ومن ثم قاموا بإضرام النيران فيها ولذلك فإن العدو لم يكن لديه فقط النيران ولكن الخندق لكي يعبره قبل أن تأتي عليهم النيران، والآن فإن هانو لم يكن لديه أية خنادق. لذلك ولأنه نوى أن يعبر من خلال النيران كان على يقين بأنها لن تكون شرسة وإلا لكان ذلك وحده كفيلا بأن يوقفه، هل تتذكر عندما كان (نابيس Nabis) محاصرا في

إسبرطة عن طريق الرومان، قام بإضرام النيران في الجزء من المدينة الذي كان هو نفسه موجودا فيه حتى يمنع العدو من الدخول إليها ومن التقدم أبعد من ذلك، ولذلك فإنه لم يجعلهم فقط يتوقفون حيث كانوا، ولكن أيضًا اقتادهم للخروج من المدينة مرة أخرى بصورة كاملة.

لكن بالعودة لموضوعنا، فإن الروماني (كوينتوس لوتاتيوس Quintus Lutatius)، عندما اقتربت جيوش (السمبريون Cimbri) من مؤخرة جيشه ومر من على نهر كان يريد أن يعبره، بدا مصمما أن يتوقف هناك لمقاتلتهم، ومن أجل هذا الغرض، نصب رايته، وأقام التحصينات، ونصب الخيام وقام بإرسال الخيالة لجمع المؤن، وباختصار لقد تصرف بالأسلوب الذي أقنع تماما جيوش السمبريون بأنه يريد أن يعسكر هناك، وهم أيضًا قاموا بتحصين أنفسهم وقاموا بإرسال العديد من الكتائب للبلدة كما فعل هو، وعندما علم لوتاتيوس بهذا قام على الفور بجمع خيامه وعبر النهر بدون أي عائق.

بعض الجنرالات قد قاموا بتحويل مجرى النهر عندما لم يكن لديهم أية وسائل أخرى لاجتيازه والتراجع عن جزء من مجرى النهر باتجاه مخالف حتى يصبح الآخر يمكن عبوره. وعندما يصبح المجرى الحالي سريعا للغاية، فإن الخيول الأقوى والأثقل يجب أن توضع في مواجهة تدفق المياه بدلا من المشاة من أجل كسر قوتها وتسهيل عبورهم والخيالة خفيفة التسليح يجب أن يتم وضعها في مكان منخفض نسبيا عن المشاة من أجل التقاط أي من المشاة إذا حدث وانجرف مع التيار، والأنهار التي لا يمكن عبورها يجب أن يتم عبورها بمساعدة الجسور والعوامات وغيرها، وبالتالي فإنه من الضروري أن تأخذ مع الجيش دائما المواد والأدوات الملائمة لبنائها.

أحيانا ما يحدث أن تجد العدو يقف على الجهة الأخرى من أجل أن يمنعك من العبور، في مثل هذه الحالة أود أن أوصي باستخدام الحيلة أو الوسيلة التي

استخدمها يوليوس قيصر في أرض الإغريق أو بلاد الغال: عندما أتى إلى نهر ووجد (فيرسينجتوريكس Vercingetorix) مع جيشه على الضفة المقابلة، قام يوليوس قيصر بالسير بمحاذاة الضفة لعدة أيام وكذلك فعل فيرسينجتوريكس على الضفة المقابلة، وأخيرا قام قيصر بالتخييم في منطقة مليئة بالأشجار حيث يمكن أن يخفي جزءًا من رجاله، وقام بسحب ثلاثة أفواج من كل فيلق وتركهم هناك وأعطاهم أوامر بأن يقوموا بعمل جسر فوق النهر وأن يقوموا بتحصينه في أسرع وقت ممكن حتى يمكنه الرحيل، وبعد ذلك واصل سيره، وعلى الجانب الآخر قد لاحظ فيرسينجتوريكس أن عدد فيالق قيصر كما هو ولم يفكر في أن هناك جزءًا قد تركه خلفه، وقام باتباع تحركات قيصر كما فعل من قبل على الجانب الآخر، ولكن عندما علم قيصر أن الكوبري قد انتهى عمله، قام بعمل سير عكسي مفاجئ ووجد كل شيء جاهزا طبقا لأوامره وفي الحال قام بعبور النهر دون أية معارضة.

زانوبى: ما هي القاعدة أو العلامة الموجودة والتي يمكن عن طريقها اكتشاف معبر النهر بأي قدر من اليقين؟

فابريزيو: إن النهر الذي يمكن عبوره دائما هو النهر الأكثر ضحالة، حيث يمكنك أن ترى سلسلة من التلال أو قطعة من اليابسة موجودة فيه، وبين المكان الذي يبدو أن المياه تسير فيه ببطء والمكان الذي يبدو أن المياه تسير فيه بسرعة لأن هناك كثيرا من الحصى والرمل تركت هناك أكثر من أي مكان آخر، وحقيقة هذه الملاحظة قد تأكدت عن طريق الخبرة الطويلة وبالتالي يمكن الاعتماد عليها.

زانوبى: ولكن افترض أن يكون القاع وعرا وشاقا، أو لينا جدًّا ومليئا بالثغرات، بحيث لا يمكن للفرسان عبوره بأمان، ما هو العلاج في هذه الحالة؟

فابريزيو: سوف أقوم بعمل سياج أو حاجز خشبي نقال وأجعله يغطس في الماء حيث يمكن أن نعبر بسهولة من خلاله، ولكن دعونا نمضي قدما.

إذا حدث لأحد الجنرالات أن تمت محاصرته أو تطويقه مع جيشه في ممر بين جبلين وهناك فقط طريقان يستطيع بهما أن يخلص نفسه ويخرج. أولهما من ناحية المقدمة والثاني من جهة مؤخرة الجيش وكل من الناحيتين محتلتين من قبل العدو، لا تزال هناك طريقة مارسها من قبل الآخرين وحققت نجاحا في مثل هذه الظروف وهي أن: يقوم بحفر خندق عميق جدًّا ومتسع جدًّا في مؤخرة الجيش وذلك بهدف أن يبدو أنه يريد أن يؤمن نفسه كثيرا من هذه الجبهة وأن يقوم باستخدام كل الوسائل الأخرى لكي يجعل العدو يعتقد أنه ينوي أن يبذل كل قوته في المقدمة من أجل أن يخرج من هذا الجزء بدون تكبد أي مخاطر في مؤخرة الجيش. في مثل هذه الحالات، فإن العدو بالتالي يتم خداعه عن طريق هذه المظاهر، حيث يقوم بطبيعة الحال بتوجيه قوته بالكامل من المؤخرة حيث يعتقد أنها في أمان تام، من أجل أن يقوم بمنعه من تأمين المقدمة، وهنا، يقوم القائد باستغلال الفرصة عن طريق رمي الجسور فوق الخنادق بصورة مفاجأة وبالتالي ينجو من بين أيدي العدو.

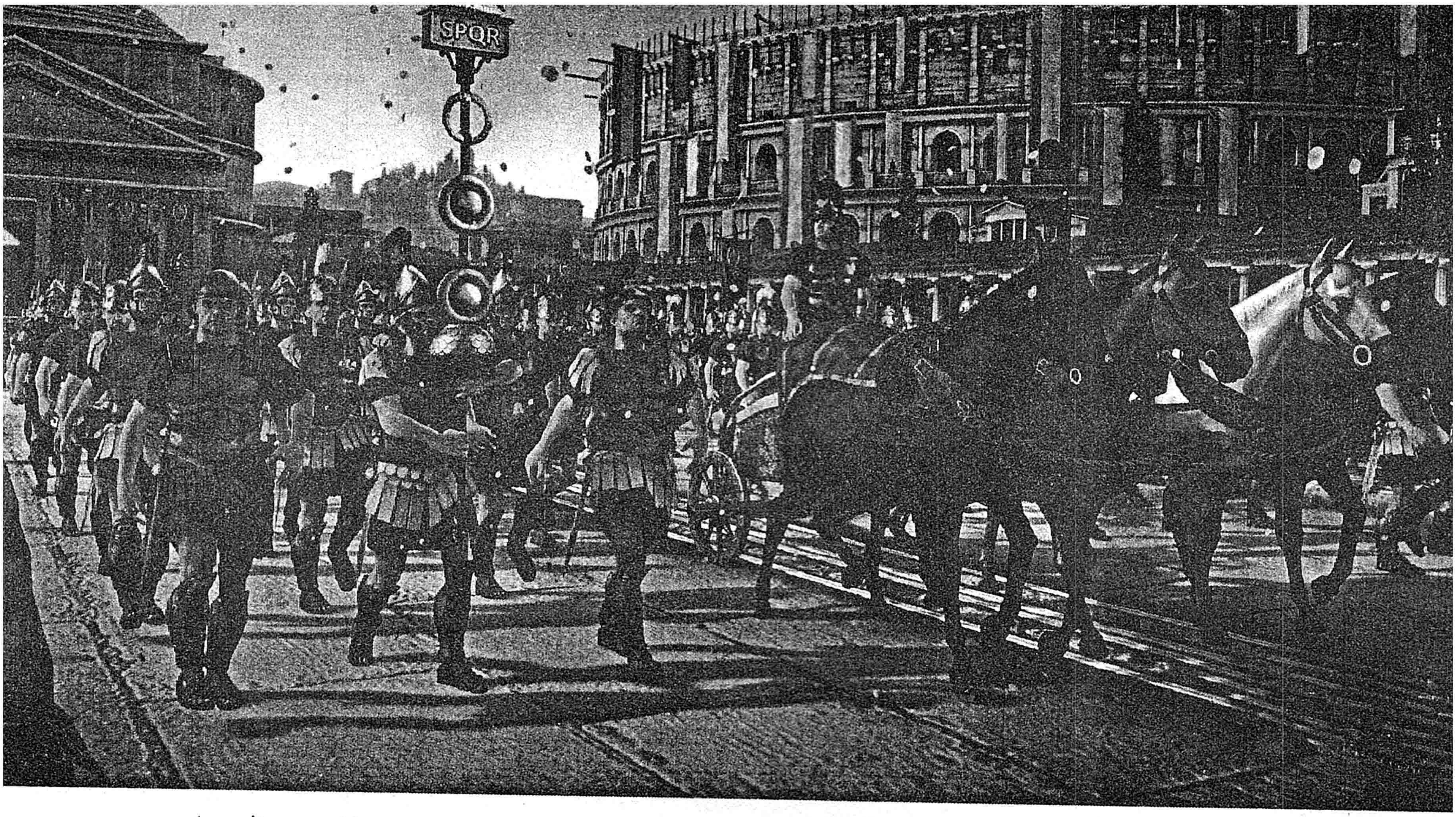
وقد تمت محاصرة القنصل الروماني (لوسيوس مينوسيوس Lucius Minucius) وجيشه من قبل العدو في جبال ليجوريا (سلاسل جبال إقليم ليجوريا Liguria)، ونظرا لأنه لم ير أية وسائل أخرى للخروج، قام بإرسال مجموعة من النومديان (النومديان Numidians) - والذين كانوا معه - وكانوا مسلحين بصورة سيئة جدًّا ويعانون من الفقر والخيول العجاف وذلك بتوجيههم إلى الممر الذي تم إغلاقه بواسطة العدو، وفي الحال قام العدو بمضاعفة حراسته وقام باتخاذ كل الإجراءات الضرورية من أجل الدفاع عن الممر بقوة وذلك عند ظهورهم الأول، وعندما أصبحوا أكثر قربا اكتشف العدو أن منظرهم بائس ومثير للشفقة فقام العدو بتوجيه جزء من حراستهم إلى مكان آخر، وبمجرد أن علم النومديان بذلك قاموا بعمل هجمة شرسة وغاضبة جدًّا على الباقين منهم، وقام النومديان بالعبور من خلالهم

وعاثوا فسادا في البلاد المجاورة، وبذلك كان العدو مرغما على ترك مواقعه وأن يترك الممر مفتوحا أما مينوسيوس وجيشه بالكامل لكي يخرجوا من تلك الجبال التي تم إيقافهم عندها.

بعض الجنرالات، عندما يتعرضون للهجوم من قبل قوة متفوقة بكثير عن قوتهم، فإنهم يقومون بتوجيه وتنظيم رجالهم بصورة بحيث يكونون قريبين جدًّا من بعضهم البعض، ويتركون أنفسهم محاصرين عن طريق العدو لكي يشقوا طريقهم عن طريق اندفاع حاسم وحازم من خلال ذلك الجزء من جيشهم الذي يعتقدون أنه كان الأضعف والأكثر تباعدا. وهذه الطريقة نجحت في بعض الأحيان بشكل جيد للغاية.

(ماركو أنطونيو Mark Antony) أثناء تراجعه للخروج من (بارثيا Parthia) لاحظ أن العدو يقوم بمهاجمته كل صباح عندما كان يشد الرحال، ويقوم بمضايقة مؤخرة جيشه طوال اليوم، فقرر ألا يقوم بشد الرحال حتى الظهر. وقد استنتج (البارثيون Parthians) إلى أنه لن يتحرك على الإطلاق في ذلك اليوم، وقام العدو بالعودة إلى معسكره، وتركوه يكمل مسيرته ما تبقَّى من اليوم بدون إزعاج.

ونفس القائد من أجل أن يحمي جنوده من سهام البارثيين أمر جميع رجاله بالركوع عندما يجدوا العدو قريبا، وأن يقوم الصف الثاني بتغطيه رؤوس الصف الأول وذلك عن طريق الدروع الخاصة بهم والصف الثالث يقوم بنفس الدور مع الصف الثاني والرابع يقوم بنفس الدور مع الصف الثالث وهكذا، لذلك كان الجيش كله مغطى وفي مأمن من سهامهم. هذا كل ما يخطر ببالي الآن بشأن الحوادث التي يمكن أن تحدث للجيش خلال المسيرة. إذا لم يكن لديك أية أسئلة أخرى لتسألها بخصوص هذا الأمر، فإنني سوف أنتقل إلى جزء آخر في موضوعنا.



موكب انتصار للجيش الروماني

الكتاب السادس

- الهجوم والدفاع عن المدن والقلاع

زانوبى ZANOBI: بما أننا الآن بصدد تغيير موضوعنا، أتوسل إليك في راحة لكي أبتعد بنفسي عن مركزي، أتمنى أن يقوم (باتيستا ديللا بالا Battista della Palla) بأخذ مكاني، وعند القيام بهذا سوف نقوم بطريقة ما بتقليد نماذج القادة ذوي الخبرة والذين هم في أثناء المعركة يقومون بوضع أفضل عناصر جيوشهم في المقدمة والمؤخرة، بحيث يمكن للقائد أن يبدأ الهجوم من المقدمة بقوة وتقوم المؤخرة بتدعيم وتعزيز هذا الهجوم بكل عزم وثبات (كما أخبرنا السيد فابريزيو Signor Fabrizio) وقد كان (كوزيمو روسيللاي Cosimo Rucellai) حكيما بقيادة طليعة الجيش أو المقدمة إذا ما جاز لي استخدام التعبير في هذه المحادثة، وباتيستا لقيادة المؤخرة، وقمنا أنا و(لويجي ألماندي Luigi Alamanni) بتكليف أنفسنا بقيادة الخط الثاني، ولأننا قمنا بأداء المهمة المُسندة إلينا بجدارة، لذا أجرؤ على القول بأن باتيستا سوف يفعل الشيء نفسه.

باتيستا: حتى اللحظة جعلت نفسي خاضعا بالكامل للجماعة ويجب عليَّ أن أقوم بهذا في المستقبل. ولذلك فنحن نتوسل إليك سنيور فابريزيو أن تمضيَ قدما في الحديث وأن تقبل العذر عن هذه المقاطعة.

فابريزيو: إذا كانت هذه مقاطعة، فإنها مقبولة، وأنا أؤكد لكم أن هذا التغير في الضباط، كما أخبرتكم من قبل، يقوم بإنعاش عقلي بدلا من إرهاقه. ولكن دعونا نكمل موضوعنا.

الآن حان الوقت من أجل إعطاء الجيش الفرصة للتخييم والراحة في أمان، كما تعلم فمن الطبيعي أن تحتاج كل المخلوقات لفترات من الراحة المُستحقة بعد العمل،

ويمكننا القول بأن أيّ شخص لا يشعر بالأمان لا يمكنه أن يشعر بالراحة، ربما أنك قد توقعت أنني يجب أن أجعل جيشي يعسكر أولا ومن ثم أعطيهم أوامر المسيرة وبعد كل هذا أوضح لهم كيف يقومون بالاشتباك مع العدو، ولكنى في الواقع فعلت النقيض من ذلك تماما، ففي الواقع كنت مجبرا على ذلك. حيث إنني قمت بعرض ما يجب أن يفعله جيش متحرك في مسيرة عندما يجبر فجأة للتجهيز والإعداد للقيام بهجوم، وكان من الضروري جدًّا أن أقوم بإخبارك أولا في أي ترتيب للمعركة يجب أن يتم تشكيل الجيش.

لكي يكون رجالك في أمن وأمان، فإن معسكرك يجب أن يكون قويا ومُحكما بصورة جيدة، ويعتمد الأمر الأول إما على الفن أو على طبيعة الموقع وهذا الأخير يتطلب حرص القائد والتنظيم الجيد، وقد اعتاد اليونان على أن يبحثوا عن المواقع القوية بطبيعتها، ولم يقوموا أبدا بالتخييم في أي موقع لم يكن محاطا بالجبال أو الأنهار أو الغابات أو أي من وسائل الحماية الأخرى.

أما الرومان، على النقيض، لم يعتمدوا كثير على الطبيعة كما كانوا يعتمدون على الفن والتنظيم الجيد في معسكراتهم وقاموا باستمرار باختيار المواقع حيث يمكنهم ترتيب قواتهم على النظام المعتاد وممارسة قوتهم المعتادة عندما يتطلب الأمر ذلك، وبالتالي يمكننا القول بأن تشكيل معسكراتهم كان دائما بنفس الطريقة لأنهم لم ينحرفوا عن انضباطهم المعمول به، ولكن اختاروا المكان الذي يمكنهم أن يجعلوه مريحا لهم، في حين أن الإغريق كانوا كثيرا ما يكونون مضطرين لتغيير طريقة وتشكيل المعسكرات لأنهم كانوا يجعلون نظامهم معتمدا على طبيعة المكان، والذي لا يمكن أن يكون دائما طبق الأصل أو مشابهًا لبعضه، ولذلك عندما يكون الموقع غير مهم كان الرومان يعوضون هذا النقص عن طريق الفن والصناعة، وبسبب أنني قمت باعتماد واتباع سلوك وإدارة هؤلاء الأشخاص كنموذج يُحتذى به في معظم الحالات

فإنني أيضًا أود أن أوصي أيضًا بطريقتهم في القيام بعمل المعسكرات لجيوشهم، ولا أود في اتباعه بالضبط في كل المواقف، ولكن فقط بقدر ما يمكن أن تتناسب مع الظروف في الوقت الحاضر.

لقد أخبرتك أكثر من مرة أنهم كان لديهم اثنان من الفيالق مكونان من مواطنين في جيوش القنصلية والبالغين نحو 11000 جندي من المشاة، و600 فارس، بالإضافة إلى 11000 جندي مشاة مكونين من المساعدين ومدعَّمين أيضًا بأصدقائهم وحلفائهم، ولكن عدد المساعدين في هذه الجيوش لا يتجاوز أبدا عدد جنودهم من المواطنين باستثناء سلاح الفرسان فهي لم تكن دقيقة جدا. كما أخبرتك مسبقا أيضًا أنهم دائما ما قاموا بوضع فيالقهم في الوسط وعلى الجانبين قاموا بوضع المساعدين من أجل الاشتباك في أي حين، كما قاموا أيضًا باتباع هذا في معسكراتهم على نحو يمكنني أن أتجرأ بأن أقول إنك بالتأكيد قمت بقراءة هذا في التاريخ القديم، ولهذا فإنني سوف لا أزعجك الآن بالتفاصيل الخاصة بالطريقة التي اتبعوها في مثل هذه المناسبات، ولكني سوف أقوم بإرضاء نفسي بإخبارك بكيفية اختياري لمكان المعسكر في الوقت الحالي، وبالتالي فإنك سوف تفهم بسهولة ما قمت باستعارته من الرومان.

وحيث إنهم كما تعرف لديهم اثنان من الفيالق في جيشهم القنصلي، فإنني أيضًا سوف أقوم بتقسيم جيشي إلى فوجين، كل منهما يتألف من 6000 جندي من المشاة و300 جندي من الفرسان، وأنت تتذكر كم عدد الكتائب وكيف قمت بتقسيمهم وكيفية تسليحهم وبأي الأسماء يمكن تمييز القوى المختلفة، أخيرا، أنت تعلم أنه في وقت إعدادهم بنفس نظام المعركة أو المسيرة، لم أذكر أي قوات أو كتائب أخرى، ولكن فقط عندما يجب أن يتم مضاعفة عددهم، لا يوجد ما يمكن فعله إلا مضاعفة عدد الصفوف.

والآن بما أني سوف أوضح لك طريقة عمل المعسكرات، فإنني لن اقتصر على

فوجين فقط، لكنى سوف أعلمك كيف ينبغي أن يتم توزيع وترتيب الجيش بالكامل وهو جيش يتكون من - كما في حالة الرومان - من فوجين من قواتنا، وكذلك يتكون من نفس العدد من المساعدين في المعركة، وأنا أفعل هذا لكي أعطيك فكرة واضحة عن عمل المعسكرات الكاملة، وذلك من أجل التمارين والعمليات التي ذكرتها حتى الآن وأوصيت بها، فإنه لم تكن هناك مناسبة لإحضار الجيش بأكمله إلى ميدان المعركة في آن واحد.

بعد ذلك ومن أجل عمل معسكر لجيش ما يتكون من 24000 جندي مشاة و2000 جندي من سلاح الخيالة أو الفرسان مقسمين إلى أربعة أفواج، اثنين من جنودنا واثنين من المساعدين، وأنا أريد أن أتبع وأتقيد بهذه الطريقة: بعد أن أقوم باختيار الموقع المناسب فإنني أفضل أن أنصب وأرفع رايتي في منتصف مربع كل ضلع فيه عمقه 200 قدم، وأحد جوانب هذا المربع يجب أن يواجه الشرق، والأخر يجب أن يواجه الغرب، وآخر يجب أن يواجه الشمال، والأخير يجب أن يواجه الجنوب، وهنا في هذا المربع يجب على القائد أن يحدد ويثبت أرباعه أو أركانه، ثانيا: وحيث كانت هذه الطريقة بشكل عام هي طريقة الرومان وتبدو جديرة بالتقليد، فإنني أفضل أن أقوم بفصل المقاتلين عن غير المقاتلين، وكذلك أولئك الذين يجب أن يكونوا جاهزين ولائقين بدنيا من أجل المعارك عن أولئك الذين محملين وموجودين لهدف آخر، ولهذا الغرض، أود أن أقسم الكل أو الجزء الأكبر من جنودي على الجانب الشرقي من المعسكر والآخرين في الغرب، مما يجعل الجانب الشرقي هو الجبهة، والجانب الغربي هو المؤخرة، والجانب الشمالي والجنوبي يكونان هما جناحا المعسكر.

ولكي أقوم بتمييز أرباع جنودي، فإنني سوف أرسم من الراية الأساسية ناحية الشرق خطين متوازيين بطول 1,360 قدمًا و60 قدمًا عرضا، وفي أقصى هذه الخطوط أود أن تكون هناك البوابة الشرقية لمعسكري، وعن طريق هذه الوسائل

يتم تشكيل حارة أو شارع بطول 260 , 1 بصورة مباشرة بعيدا عن هذه البوابة حتى أرباع القادة، وفيما يخص المسافة من الراية أو العلم حتى نهاية أرباعه تكون 100 قدم على كل جانب، وهذه المسافات يجب تسميتها باسم الشارع الرئيسي. ثانيا، يمكن أن يتم عمل شارع آخر من الجنوب وحتى البوابة الشمالية عبر رأس الشارع الرئيسي ويبدأ بالقرب من الجانب الشرقي لأرباع القادة، وهذا الشارع يجب أن يكون طوله 2500 قدم بحيث يمتد من أحد الأجنحة في المعسكر حتى الجانب الآخر، ويكون عرضه 60 قدمًا، دعنا نطلق عليه اسم شارع العبور أو (شارع الصليب)، وبعد أن قمت بالتمييز بين أرباع القادة وقمت كذلك برسم هذين الشارعين، فإنني أود المضي قدما في توفير أرباع للفوجين الخاصين برعاياي وأقوم بوضع أحدهما في الجانب الأيمن من الشارع الرئيسي والآخر في الجانب الأيسر، ولهذا الغرض أود أن أضع 32 موضعا على اليسار والمزيد على الجانب الأيمن من هذا الشارع، تاركا مساحة 60 قدمًا عرضا بين الموقع السادس عشر والسابع عشر لشارع العبور من أجل السير عبر منتصف هذين الفوجين، كما يمكن أن ترى هذا واضحا في الخطة التي سوف أقوم بوضعها. وفي الجزء الأمامي من هذين الوضعين النظاميين، على كل جانب من الشارع الرئيسي وحتى حدود شارع العبور (شارع الصليب) أود أن أقسم إلى أرباع قادة الرجال حاملي السلاح أو الذين يتولون خدمة الحراسة ورجالهم في 15 موضعا مجاورة لهم، ولهذا قمت بتخصيص 150 رجلا من حاملي السلاح من أجل كل فوج، حيث سيكون هناك عشرة رجال في كل واحدة من هذه الغرف أو المقصورات، يجب أن تكون خيام القادة بعمق 80 قدمًا وطول 20 قدمًا، وخيام رجالهم بعمق 60 قدمًا وطول 30 قدمًا، لكن يجب على هنا أن أطلب منك أن تتذكر الآن وإلى الأبد أنه كلما قمت باستخدام كلمة (عرض width) فإنني أعني المساحة الممتدة من الشمال إلى الجنوب، وعندما أتحدث عن (العمق depth) فإنني اعني المسافة التي تتراوح من

الشرق وحتى الغرب. في الأجزاء الخمسة عشر التي يجب أن تكون في كل جانب من جوانب الشارع الرئيسي وشرق شارع العبور، فإنني أود أن أقوم بتقسيم الفرسان ذوي التسليح الخفيف حيث أنه سيوجد 150 منهم في كل فوج وإنني أيضًا أود أن أضع عشرة منهم في كل خيمة، وفي الستة عشر المتبقية أود أن أضع قادتهم، وأقوم بتهيئة نفس الغرف التي خصصتها لقادة الرجال المسلحين الذين يحملون السلاح من أجل الخدمة والحماية، أما فيما يخص الفرسان في كل من الفوجين بالتالي سوف يتم توفير أماكن لهم في كل جانب من جوانب الشارع الرئيسي، وسوف يوضحون لنا كيفية توزيع المشاة، كما سأوضح لك مستقبلا.

لقد لاحظت كيف أنني قمت بتقسيم الثلاثمائة فارس الذين ينتمون إلى كل فوج، وضباطهم، في 32 موقعًا على كل جانب من جوانب الشارع الرئيسي بداية من شارع العبور أو الصليب (the Cross Street) وأنني قد تركت مساحة فارغة تصل إلى 60 قدمًا عرضا بين الموقع السادس عشر والسابع عشر وذلك من أجل الشارع المقابل، ومن ثم ولكي أقوم بتقسيم العشرين كتيبة التي يتكون منها الفوجين، أو أن أحدد موضعين لكتيبتين خلف الفرسان على كل من جانبي الشارع الرئيسي، وكل من هذه المواضع يجب أن يكون عرضه 60 قدمًا و30 قدمًا طولا مثل البقية، وأن يكون قريبا جدًّا من مواقع الخيالة التي يجب أن يكونوا سويا. في كل من المواقع الأولى بداية من شارع العبور أود أن أقوم بتقسيم عقداء الكتائب الذين يجب أن يكونوا على خط واحد مع قادة حاملي السلاح، وفقط هذا الموقع يجب أن يكون عمقه 20 قدما وعرضه 40 قدما. في الخمسة عشر مواقعًا التالية، التي توصل إلى الشارع المقابل فإنني أود أن أقوم بتقسيم كتيبة مشاة على كل جانب من جوانب الشارع الرئيسي وحيث يتكون كل منهم من 450 رجلا، فإنه سوف يكون هناك 30 في كل موقع، وأود أن أملأ الخمسة عشر موقعًا المتجاورة بالخيالة الخفيفة، على كل من أجناب

الشارع الرئيسي وعلى شرق الشارع المقابل، والسماح لهم بنفس الأبعاد الموجودة في الغرب، وفي كل من هذه الصفوف أو السلاسل، أود وضع كتيبة واحدة مكلفا إياها بالموضع السادس عشر، ويجب أن تكون على طول 20 قدمًا وعرض 40 قدمًا وحتى عقيد الكتيبتين يجب أن يكون مجاورا لقادة الخيالة الخفيفة، وعن طريق هذا التوزيع، فإن أول صفين من أماكن الإيواء يجب أن تتكون جزئيا من الفرسان والمشاة، ولكن لأن الفرسان يجب أن يكونوا مكشوفين وجاهزين للتحرك، والخيالة لن يكون لديهم خدم من أجل مساعدتهم في ارتداء الملابس ورعاية الخيول، فإن مشاة الكتيبتين الموضوعتين بجوارهم يجب أن يكونوا على استعداد للقيام بهذا الغرض وبالنظر في هذا، فإنهم ينبغي أن يتم إعفاؤهم من جميع الواجبات الأخرى في المخيم وذلك طبقا لممارسات الرومان.

بعد ذلك، نترك مساحة فارغة على اتساع حوالي 60 قدمًا عرضا في الجزء الخلفي من أماكن التخييم، على كل جوانب الشارع الرئيسي أحدهما يمكن أن يسمى الشارع الأول على اليمين والآخر يمكن أن يسمى الشارع الأول على اليسار، أود أن أقوم بتحديد حوالي 32 زوجا من المواضع موازية للآخرين بحيث تكون ظهورهم قريبة من بعضها البعض، وأود أن أترك نفس الأبعاد، وبنفس المسافات بين السادس عشر والسابع عشر للشارع المقابل، وفي كل من هذه أود أن أقوم بتقسيم أربع كتائب وقادتهم في الأول وفي الأخير من هذه المواضع، ثانيا، أود أن أترك مساحة أخرى تصل إلى 60 قدمًا عرضا في ظهر هذين الموقعين من أجل الشارع الذي ينبغي أن يدعى الشارع الثاني على اليمين، على أحد جوانب الشارع الرئيسي، والشارع الثاني على اليسار، على الجانب الآخر من الشارع الرئيسي بحيث يكونون قريبين من تلك، أَود أيضًا أن أقوم بتهيئة موضعين مزدوجين على كل جوانب الشارع الرئيسي، على نفس مواصفات الآخرين، حيث أود هناك أن أقوم بتقسيم الكتائب الأربع المتبقية

وقادتهم، بحيث يمكن نشر وتنظيم كل الفرسان والمشاة خاصتنا في الفوجين في ستة صفوف أو خطوط من المواضع المزدوجة مع مراعاة الشارع الرئيسي بينهم.

كما هو الحال للكتيبتين المساعدتين واللتين تحتويان على نفس العدد والنوع من القوى، فإنني أود أن أقوم بوضعهم على كل جوانب قوى الجنود الوطنيين في نظام وتعداد مشابه للموضعين المزدوجين، الخطان الأولان يجب أن يكونا مقسمين على أساس جزء من الفرسان وجزء من المشاة وعلى مسافة 60 قدمًا بعيدا عن الخطين الثالثين الخاصين بجنودنا على كل من جوانب الشارع الرئيسي، وهذا لكي أقوم بإفساح المجال لطريق بينهما وهذا يمكن أن يدعى على أحد الأجناب بالشارع الثالث على اليمين وعلى الجانب الآخر الشارع الثالث على اليسار. بعد ذلك، أود أن أقوم بعمل خطين آخرين من المواقع موازيين للمواقع السابقة على كل جوانب الشارع الرئيسي وهذه المواضع ينبغي أن يتم تقسيمها مثل أولئك الموجودين في الكتائب الخاصة بنا مع مراعاة وجود مساحة 60 قدما بينهما من أجل عمل شوارع أخرى وينبغي أن يتم ترقيمهم وتسميتهم طبقا لمواقعهم والمسافة من الشارع الرئيسي، ثم بعد ذلك، كل هذا الجزء من الجيش يجب أن يتم تقسيمه إلى 12 صفًا أو خطًا من المواقع المزدوجة مع عمل 13 طريقا بين التقسيمات المتعددة بما في ذلك الشارع الرئيسي والشارع المقابل وشارع العبور (شارع الصليب)، بالإضافة إلى هذا أود أن تكون هناك مساحة فارغة تصل إلى 200 قدم عرضا بين المواضع والخندق الذي يجب أن يشملهم، لذلك، إذا قمت بحساب المسافة بأكملها من مركز مكان القادة، فإنك سوف تجد أن الكل سوف يبلغ 1360 قدما.

لا تزال هناك مسافتان شاغرتان متبقيتان، إحداهما من أحياء أو مربعات القادة وحتى الجنوب، والثانية من هناك وحتى البوابة الشمالية للمعسكر، وكل من هاتين المسافتين، محسوبة من المركز بمسافة يصل طولها إلى 1250 قدمًا، وإذا قمنا بخصم

من كل من تلك المسافات 100 قدم من أجل أماكن الجنرالات على كل جانب، و90 قدمًا على كل جانب من أجل المنطقة أو الساحة (piazza)[1]، و60 قدمًا من أجل الشارع الذي يقسم من الوسط تلك المساحتين المذكورتين سابقًا، و200 أو أكثر من أجل الفراغات بين المواقع والخنادق حيث سيكون هناك مساحة متروكة تصل إلى 800 قدم عرضا و200 قدم عمقا لخط التمركز في كل جانب، وعمقهم سيكون نفس عمق أماكن الجنرالات، وكل منهم سوف يكون 100 قدم طولا و40 قدمًا عرضا، وفي هؤلاء أود أن أقوم بعمل حي أو مربع لعقداء عدة أفواج، ومحصلي الضرائب، والتمويل العام، وباختصار، كل هؤلاء الذين لديهم أية مهمة معينة أو أعمال تجارية بالجيش، ويجب ترك بعض الأماكن فارغة من أجل استقبال الغرباء أو المتطوعين، وضيوف القائد.

إلى الجزء الخلفي من أحياء أو أرباع القادة، أود أن أقوم بشق طريق من الشمال إلى الجنوب يصل اتساعه إلى 62 قدمًا وسوف أطلق عليه اسم الشارع الرئيسي، والذي ينبغي أن يمر على طول الجانب الغربي من الـ 80 موقعًا التي ذكرتها للتو، ومن ثم ستكون أرباع القادة وهذه المواقع تقع بين هذا الشارع وشارع العبور (شارع الصليب)، وبداية من الشارع الرئيسي أود أن أقوم بعمل شارع آخر مباشرة من أحياء أو أرباع القادة وحتى البوابة الغربية للمعسكر، وهذا الشارع يجب أن يكون عرضه 60 قدما ونفس طول الشارع الرئيسي، وينبغي أن نطلق عليه اسم شارع السوق. وعندما نتمم عمل هذين الممرين أود أن أقوم بعمل منطقة تسوق أو حي، في بداية شارع السوق وفي مقابله أحياء الجنرالات وتكون مجاورة للشارع الرئيسي، وهذه المنطقة يجب أن تكون 240 قدمًا على كل جانب.

وعلى يمين ويسار منطقة التسوُّق أود أن يكون لدي صف من التقسيمات أو

---

1. في اللغة الإيطالية معناها ميدان، شارع واسع، أو ساحة كبيرة - المترجم إلى العربية.

الأرباع وكل من هذه الأرباع يجب أن يحتوي على ثمانية مواقع مزدوجة والتي يجب أن تكون على مساحة 30 قدمًا طولا و60 قدمًا عرضا، وهذا هو 16 على كل جانب من أجناب منطقة السوق. وفي هذه الأماكن أود أن أضع الفرسان الزائدين عن الحاجة والذين ينتمون للقوات المعاونة، وإذا لم يكن هناك مكان كافٍ لاستيعابهم جميعا، فإنني أود أن أقوم بعمل مكان لهم في بعض من الـ 80 موقعًا المجاورين لأحياء القادة ولكن أساسا في تلك الأماكن الأقرب إلى الخندق.

ويتبقى لنا الآن أن نقوم بعمل أماكن للرماحين والـمشاة الغير عاديين خاصتنا وأنت تعلم أن هناك 1000 من الرماحين و500 من المشاة في كل فوج، لذلك فإنه في الفوجين الخاصين بنا نحن نمتلك 2000 رماح و1000 من المشاة، وكذلك أولئك التابعين للمساعدين يكونون أكثر من ذلك، ولازال لدينا 6000 رجل مشاة لكي نوفر لهم المكان، لذلك فإني أود أن أقوم بتقسيمهم على الثلاثة أجناب من القوس أو الخندق في الجزء الغربي من المخيم.

ولهذا الغرض أود أن يكون لدي صف من خمسة أماكن مزدوجة بطول 150 قدمًا طولا و120 قدمًا عرضًا في الجانب الغربي من الطرف الشمالي للشارع الرئيسي، تاركا مسافة شاغرة تصل مساحتها إلى 200 قدم بينهم وبين الخندق، وإذا كان هذا الصف يتكون من 10 أماكن فردية وإذا كان كل مكان طوله 300 قدم وعرضه 60 قدمًا فإن هذا من شأنه أن يسع 300 جندي من رجال المشاة بحيث يكون هناك ثلاثون في كل من العشرة، وبجانب هؤلاء ولكن مع وجود فاصل يصل إلى 62 قدمًا بينهم، فإنني أود أن أضع صفًا آخر من خمسة أماكن مزدوجة بنفس الأبعاد، وبعد هذا، وهكذا حتى يكون هناك خمسة صفوف مكونة من خمسة أماكن مزدوجة بنفس الحجم وبنفس المسافات بينهم وكلهم على خط مستقيم على مسافة 200 قدم من الخندق حتى غرب الشارع الرئيسي، وعلى الجانب الشمالي من المعسكر، ولذلك سيكون هناك 50 موقعًا

يضمون 1500 رجل. نتحول بعد ذلك من اليسار نحو البوابة الغربية، أود أن أرسم خمسة صفوف أخرى من الأماكن المزدوجة بنفس المحتويات والنسب، وفي الفراغ بين آخر الصفوف الخمسة الأخرى والبوابة الغربية (ولكن فقط مع بمساحة 30 قدمًا بين كل صف والآخر) هنا أود أن أقوم بتقسيم 1500 رجل بهذه الطريقة: كل الرماحين والمشاة الغير عاديين الذين ينتمون لأفواجنا يمكن أن يتم توزيعهم في 10 صفوف من الأماكن المزدوجة، بحيث يكون 100 فرد منهم أي عشرة في كل صف على طول نطاق الخندق من الشمال وحتى البوابة الغربية. وبالمثل بالنسبة للرماحين والمشاة الخاصين بالأفواج المساعدة أو الإضافية عن طريق تقسيمهم إلى عشرة صفوف من الأماكن المزدوجة وبنفس الأبعاد والمسافات بينهم على طول نطاق الخندق من الغرب وحتى البوابة الجنوبية؛ أود السماح لعقدائهم وضباط آخرين أن يأخذوا مثل هذه الأحياء أو الأرباع والتي ينبغي أن تكون أكثر ملاءَمة لهم.

وأود أن أزرع مدفعيتي على طول ضفاف الخندق، وفي المساحة الشاغرة والتي لا تزال متروكة على الجانب الغربي من الشارع الرئيسي أود أن أضع كل الناس العزل الغير مسلحين وكل العوائق التي تخص المعسكر، الآن يجب عليك أن تعرف ما أعنيه بكلمة العوائق (impediments) لقد عنى بها القدماء كل الأمتعة والبشر، والمؤن اللازمة للجيش ماعدا الجنود: رجال مثل النجارين، والسائقين، والحدادين، وقاطعي الحجارة، والبنائين، والمهندسين، والمدربين (canoneers) (على الرغم من أنهم يمكن احتسابهم من الجنود)، والطهاة، والجزارين، ورعاة البقر والأغنام من أجل حصول الجيش على قوته، وبإيجاز، كل طرق الحرفيين والأدوات، جنبا إلى جنب مع المركبات الملائمة وحيوانات الحمل من أجل حمل الذخيرة والمؤن وغيرها من المستلزمات. ومع ذلك، فإنني لا أود أن أضع لهؤلاء أماكن منفصلة ومميزة، ولكني أكتفي بتنظيم بعض الشوارع لتكون متروكة وواضحة تماما وغير مأهولة من أجلهم.

ومن بين المناطق الفارغة التي ستُترك بين هذه الممرات، أود أن أقوم بتحديد واحدة منها من أجل الرعاة وماشيتهم، وآخر من أجل الحرفيين بكل أنواعهم، وآخر من أجل المركبات التي تحتوى على المؤن، والأخير من أجل المركبات المُحملة بالأسلحة والذخائر، والشوارع التي أود أن أتركها دون عائق تماما يجب أن تكون شارع السوق، الشارع الرئيسي والشارع الآخر المدعو بالشارع الأوسط: هذا الشارع يمكن استخلاصه عبر المعسكر من الشمال وحتى الجنوب ويجب أن يقطع شارع السوق في زوايا اليمين ويخدم نفس الغرض في الجانب الغربي من المعسكر كما يفعل الشارع المقابل في الجهة الشرقية، بالإضافة إلى ذلك أود أن يكون هناك شارع آخر خلف مواضع الرماحين والـمشاة والذي يتراوح على ثلاثة أجناب من الخندق وكل واحد من هذه الشوارع يجب أن يكون عرضه 60 قدمًا.

باتيستا: إنني أعترف بجهلي في هذه الأمور، ولكن أعتقد أنه ليس هناك سبب لأخجل من ذلك، حيث إن فن الحرب ليس مهنتي، مع ذلك فإن التوزيع الذي قمت به قد سرني وأسعدني كثيرا، ولكني لدي فقط مشكلتان وأتوسل إليك أن تقوم بحلهما من أجل كشف الحقائق المتعلقة بهما، الأول هو لماذا قمت بعمل الشوارع والمناطق حول المواقع واسعة إلى هذا الحد؟ والثاني، الذي يحيرني أكثر هو كيف يتم إشغال المناطق التي تركتها للمواقع أو أماكن المبيت؟

فابريزيو: إن السبب في أنني جعلت جميع الممرات واسعة بمقدار 60 قدمًا هو أن كل الكتائب في نفس الوقت تكون مستعدة لأمر المعركة، ويمكن أن يقوموا بالعبور منها، ولذا أخبرتك مسبقا، إذا كنت تتذكر، أن كل كتيبة تحتاج إلى 50 أو 60 قدمًا. وأيضا من الضروري أن يكون اتساع المساحات البينية بين أماكن التمركز والخندق يكون 200 قدم عرضا، من أجل وضع الكتائب هناك بشكل صحيح، ومن أجل قيادة المدفعية، ولإفساح المجال أمام الغنائم والأسرى التي يتم الاستيلاء عليهم من

العدو، وأيضا عند الضرورة، ليكون هناك مجال لحفر الخنادق والمصارف الجديدة. علاوة على ذلك، فإنه من الأفضل أن يكون لديك أماكن تمركز على مسافة مناسبة من الخنادق، وحتى يكونوا بعيدا عن متناول النيران التي يطلقها العدو، ومن أجل بعض الأمور الهجومية الأخرى التي يمكن أن تتم عن طريق التوجيه.

للإجابة عن سؤالك الثاني، يجب على أن أخبرك بأنه ليس في نيتي لكل الفراغات التي وضعتها أن تكون مواقع التمركز مغطاة بالكامل عن طريق خيمة عظيمة فقط، ولكن لكي تكون مقسمة ومشغولة بها يتناسب وتوفير راحة أكبر لأولئك الذين يستخدمونها وصممت من أجلهم. إنهم يمكن أن يكون لديهم خيام أكثر أو أقل في المواقع كما يريدون شريطة ألا تتجاوز الحدود المخصصة لهم.

ولكن من أجل أن تقوم بوضع هذه المخيمات، يجب أن يكون المهندسون دائما قادرين وذوي خبرة، وضباط الإمدادات والبنائين جاهزين لعمل المخيم وأيضا لتمييز شوارعه المتعددة وتقسيماته بالبيارق والحبال العريضة حتى يقوم القائد بتحديد موقعه المناسب ولمنع الالتباس، لأن مقدمة المعسكر ينبغي أن تبدو دائما نفسها لذلك كل رجل يمكن أن يعرف أي شارع قريب منه وفي أي ربع أو حي يمكن أن يجد خيمته. وهذا القاعدة يجب أن يتم إتباعها والتقيد بها بصورة مستمرة، حتى يكون المعسكر نوعًا من البلاد المتحركة والمُحملة بنفس الشوارع وبنفس المنازل وبنفس المظاهر أينما ذهبت، وهذه هي الراحة والملاءمة التي لا يتوقعها أو يجدها الذين يختارون فقط المواقع المحصنة طبيعيا ذات المزايا لأنهم يجب عليهم دائما شكل وتكوين معسكرهم وفقا لطبيعة الأرض الموجود عليها.

إن الرومان، كما قلت من قبل، قد قاموا بعمل معسكراتهم بصورة قوية جدًّا في أي موقع وذلك عن طريق إقامة الخنادق والأسوار من حولهم وأيضا عن طريق ترك مساحة كبيرة شاغرة، بصورة عامة اثنتا عشرة قدما بالعرض وست أقدام

طولية، وبين مواقع التخييم والخندق فإنهم أحيانا قد تركوا مسافات أوسع وأطول وخصوصا إذا كانت لديهم النية لأن يظلوا في نفس المكان لفترة طويلة، أو إذا كان لديهم توقع بأن تتم مهاجمتهم، ومن جانبي فإني لا أنوي أن أقوم بتحصين معسكري عن طريق الأسوار إلا إذا كنت أنوي أن أقضي الشتاء هناك، وأود أن أقوم بالاكتفاء بالسور والخندق وليس أقل عمقا وعرضا من تلك التي أنويها الآن، ولكن أكبر إذا كان الموقف يتطلب ذلك، بالإضافة إلى ذلك أود أن يكون لدي نصف قوس أو هلال في كل زاوية من زوايا المعسكر وهذا الهلال من المدفعية من أجل مهاجمة العدو في فيالقه إذا قام بمهاجمة الخندق.

ويجب أن يكون الجيش متمرسا في التدريب على عمل المعسكرات وإزالتها أو شد الرحال من أجل أن يكون العديد من الضباط جاهزين وخبراء في عمل المواقع بصورة ملائمة، ومن أجل تعليم الجنود على أن يتعرفوا على أماكنهم الخاصة، ولا توجد صعوبة كبيرة في هذا التمرين كما سوف أعرض لك لاحقا.

أما الآن فإنني سوف أتطرق لكي أقول شيئا بخصوص الحراسة اللازمة للمعسكر، لأنه إذا لم يتم ذلك على النحو اللازم فإن كل ما تبقى من عملنا ورعايتنا لن يكون ذات قيمة وستكون هباء.

باتيستا: قبل أن تقومَ بهذا، أتمنى منك أن تخبرني بما يجب أن يتم عندما تقوم بالتخييم أو عمل معسكر بالقرب من العدو، حيث في هذه المناسبة، لن يكون هناك وقت كاف من أجل توزيع الأشياء بهذا الترتيب المنتظم من دون أن تعرض نفسك للخطر.

فابريزيو: لا يوجد جنرال يقوم بالتخييم قريبا جدًّا من العدو أبدا، إلا إذا كان هذا الجنرال في وضعية تسمح له بالدخول في المعركة في أي وقت يرضيه، إذا كان

العدو منتشرًا بنفس الطريقة من أجل الاشتباك فإن الخطر لا يمكن أن يكون أكثر من العادي لأن القائد من الممكن أن يقوم باستخلاص ثلثي جيشه وترك الثلث الباقي من أجل أن يقوم بعمل المعسكر له. وفي مثل هذه الحالات قام الرومان بتحري الدقة في حفر الخنادق وأن يتركو معسكرهم لـ (المحاربين القدامى ترياري triarii) ويأخذوا معهم فقط الأمراء (principes) والـ (hastate)[1] من أجل الوقوف على أسلحتهم؛ بحيث يكون المحاربون القدامى هم الخط الأخير في جيشهم من أجل الاشتباك، ويمكن أن يتركوا عملهم إذا تقدم العدو ويجهزوا أسلحتهم ويأخذوا وضعهم المناسب. لذلك إذا أردت أن تقوم بتقليد الرومان في مثل هذا الموقف، فإنك يجب عليك أن تترك أمور العناية وتحصين المعسكر للكتائب الموجودة في الخط الخلفي من جيشك وهم من يشبهون المحاربين الرومان القدامى.

ولكن بالعودة إلى ما كنت أريد أن أقول فيما يتعلق بحراس المعسكر، إنني لا أتذكر أنني قرأت أن القدماء اعتادوا على أن يكون لديهم أية حراسة أو عساكر دورية خارج خنادقهم ليلا بنفس الطريقة التي نسلكها الآن، وأعتقد أن السبب في ذلك أنهم اعتقدوا أنهم بهذا من الممكن أن يُعرضوا جيوشهم للخطر عن طريق استخدام هؤلاء الحراس، لأنهم قد يخونون أو يتخلون عنهم من تلقاء أنفسهم أو من الممكن أن تتم مفاجأتهم أو تدميرهم من قبل العدو لذلك فقد اعتقدوا أنه ليس من الجيد أن يضعوا أية ثقة في مثل هؤلاء الحراس، وبالتالي فإنهم قد وثقوا بالكامل في كل الحراس وعساكر الدورية الموجودين في خنادقهم وهؤلاء كانوا يظلون بمثل هذه الدقة والنظام بحيث أقل خطأ في أداء هذا الواجب يعاقب عليه بالموت. ولكنني سوف لن أرهقك، مع ذلك، بالتفاصيل الطويلة فيما يخص النظام والطريقة المتبعة في هذا الأمر لأنك من المحتمل أن تكون قرأت عن هذا في تواريخهم، إذا كنت لم تقرأ،

---

1. نوع من جنود المشاة القدماء الذين كانوا يحملون الدروع والرماح – المترجم إلى العربية.

فإنك يمكنك أن تحصل على هذه المعلومات حينما يحلو لك، ومن أجل الإيجاز إذن، فإنني سوف أخبرك فقط ما أود أن أفعل بنفسي في مثل هذه الحالات.

كنت أود أن يكون ثلث جيشي مستمرا في حمل السلاح كل ليلة: بحيث يكون ربع هذا الثلث يتولى الحراسة على طوال الخندق والأماكن الأخرى المناسبة في المخيم، ووضع حارسين في كل زاوية من المخيم بحيث يجب أن يظل جزء واحد هناك ودورية أخرى تطوف طوال الليل من زاوية إلى الأخرى وتعود مجددا وهذا النظام ينبغي أن يظل حتى في أثناء النهار إذا كان العدو قريبا.

كما يجب وضع كلمة سر (parole) أو كلمة عبور ويتم تغييرها كل ليلة وبعض الترتيبات الأخرى الملائمة للحراس وعساكر الدورية ولن أقول شيئا عن هذه الترتيبات لأنها معروفة للكل، ولكنْ هناك شيء ذو أهمية قصوى - اتباعه وممارسته سيكون له ميزة عظيمة وإهماله سوف يؤدي إلى ضرر كبير - المراقبة المشددة لأولئك الذين يخرجون من المعسكر ليلا وأولئك الذين يدخلون المعسكر لأول مرة، إن هذه المراقبة أمر غاية في السهولة لكي يتم للقيام بها بالنسبة لأولئك الذين يجب عليهم التقيد بنظام وطريقة المعسكر التي أوصيت بها، لأن كل مبيت له عدد معين من الرجال ينتمون إليه وبالتالي فإنك من الممكن أن ترى في الحال إذا كان هناك أكثر من أو أقل من العدد الذي يجب أن يكون متواجدًا، وإذا كان هناك أيٌّ من الغائبين بدون إذن، يجب أن تتم معاقبتهم بتهمة الهروب، وإذا كان يوجد أكثر من العدد الذي ينبغي أن يوجد فيجب عليك الاستفسار بجدية واهتمام عن هويتهم من هم، أي عمل لديهم هناك، وما هي الظروف الأخرى المتعلقة بهم، هذا الاحتياط سوف يجعل من الصعب جدًّا إذا لم يكن مستحيلا على العدو أن يقوم بعمل أية مراسلات سرية مع ضباطك، أو أن يكون مدركا للتصديات والخطط الخاصة بك، وإذا لم يكن الرومان متفطنين جيدًّا لهذه النقطة فكيف قام (كلاوديو نيرون Claudius Nero)

بترك معسكره في (لوكانيا Lucania) سرا وذهب إلى The Marches وعاد إلى ربعه أو حيه السابق، في حين لم يكن عند حنبعل أية معلومات عن هذا الأمر بالرغم من أن المعسكرين كانا قريبين جدًّا من بعضهما البعض، ولكن ليس من الكافي أن تقوم بإعطاء الأوامر الجيدة فقط لهذا الغرض، إذا لم تكن مراقبتهم مقيدة بمنتهى الشدة - لأنه ليس هناك حالة مهما كانت تكون فيها الدقة والطاعة العمياء ضرورية للغاية مثلما تكون في الحكومة أو الجيش - وبالتالي، فإن القوانين التي أنشئت من أجل الحفاظ عليها يجب أن تكون صارمة وقاسية والجنرال الذي ينفذ هذه القوانين يجب أن يكون ذي عزم وبأس شديد لا يلين.

. الرومان عاقبوا بالإعدام ليس فقط أولئك الذين يفشلون في أداء واجبهم ولكن أيضًا أولئك الذين يتركون مواقعهم أثناء المعركة، والذين قاموا بأي شيء للتخفي والخروج من المعسكر متظاهرين بأنهم سينجزون بعض الأعمال ولكن في الواقع لم يفعلوا، والذين قاتلوا بدون أوامر القائد، والذين ألقوا أسلحتهم بعيدا بسبب الخوف. ولكن عندما يحدث ويقوم أحد الأفواج أو الفيالق بأكمله بالتصرف بشكل سيئ يعملون لهم ما يسمى (بمكسرة أو تكسير العظام أو رمي القرعة cast lots) وفيه يجعلونهم يرمون القرعة ومن يقع حظه في رقم عشرة يقومون بإعدامه وهذا كان يُدعى أيضًا (عقاب الهلاك أو الفناء decimation) وكان هذا يتم من أجل تجنب إثارة المزيد من الدماء، وعلى الرغم من أن المعاناة لم تشمل الجميع، فإن كل واحد كان لديه خوف شديدا من أن يقع عليه الاختيار، ولكن بما أنه كانت هناك عقوبات صارمة فإنه ينبغي أيضًا أن يكون هناك منح وترقيات وذلك من أجل إثارة الرجال لكي يتصرفوا جيدًّا من تلقاء أنفسهم بدوافع الأمل والخوف، وبالتالي فقد كافأوا كل من يقوم بإثبات جدارته وتميزه وخاصة أولئك الذين ينقذون حياة زملائهم في المعركة، وأولئك الذين يقومون بتسلق أسوار مدن العدو أولا أو يقتحمون معسكرات العدو

ويصيبون ويقتلون ويسقطون العدو من على فرسه، وبهذه الطريقة فإن كل رجل يجتهد في مكان عمله يلقى جزاءه من قبل القناصل ويتم تكريمه أمام الجمهور، وأولئك الذين يحصلون على جوائز من هذا النوع، إلى جانب السمعة والمجد التي يحصلون عليها بين زملائهم، عند عودتهم من الحروب كان يتم استقبالهم بواسطة أصدقائهم وأقاربهم بكل الترحاب والتهاني.

ومن هنا فليس من المستغرب ولا عجب في أن هذا الشعب الذي كان شديد الدقة والانضباط بهذه الدرجة في مكافأة المزايا والفضائل ومعاقبة الإهانة والرذائل تمتد إمبراطوريته لمثل هذه الدرجة التي قاموا بها فهم بالتأكيد يستحقون التقليد في كل هذه المجالات

لذلك أطلب منك الإذن في أن أكون أكثر وضوحا في وصف إحدَى العقوبات الخاصة بهم. عندما يقوم أحد المُنحرفين المُدانين بالوقوف أمام القائد، فإن القائد بمقدوره يقوم بضربه بعصا ضربة خفيفة على رأسه، وبعد هذه الضربة يمكن له الهرب ولكن بما أن كل جندي في الجيش له مطلق الحرية أن يقتله فإنه لا يكاد يبدأ في الهروب حتى ينهال عليه الجميع بسيوفهم وسهامهم أو غيرها من الأسلحة. ونادرا ما يهرب وإذا فعل هذا فإنه لا يتم السماح له بالعودة إلى الوطن إلا بموجب عقوبات شديدة ويعتبر هذا حملًا كبيرًا من العار بحيث يكون من الأفضل له أن يُقتل.

وهذا العرف، إلى حد ما، مازال باقيا عند السويسريين في جيوشهم، بحيث إنهم دائما يسمحون بقتل الجاني عن طريق بقية الجنود، وأنا أعتقد أن هذا العرف جيد جدًّا لأنه إذا كنت ترغب في أن تمنع الآخرين من دعم وحماية الجاني، فمن المؤكد أنه من الأفضل لك أن تترك عقابه لهم، وفي تلك الحالة، فإنهم سوف ينظرون له دائما بشكل مختلف عن تلك التي كانوا يمكن أن ينظروا إليه بها إذا قام بمعاقبته أي شخص آخر.

وهذه القاعدة يمكن أن تطبق بصورة جيدة أيضًا في الحكومات، كما تعلمنا من مثال (مالينوس كابيتولينوس Manlius Capitolinus) والذي تم اتهامه من قبل مجلس الشيوخ، وكان يتم الدفاع عنه بشدة من قبل الشعب حتى تم تركهم لكي يحكموا عليه بأنفسهم، ثم بعد ذلك، حكموا عليه بالإعدام على الفور.

ومن هنا، فإنها طريقة جيدة لمعاقبة المنحرفين والسماح للعدالة بأن يتم تطبيقها بأمان، دون الخوف من التمرد وإثارة الفتنة، ولكن بما أن لا الخوف من القوانين ولا حتى التبجيل كافيان لكبح لجام وجناح الجيوش الكبيرة، فإن القدماء قد استخدموا أسلوب طلب العون من الدين وبالعديد من الاحتفالات الدينية المهيبة والجدية الكبيرة، فإنهم جعلوا جنودهم يؤدون أيمانا وعهودا صارمة للغاية من أجل الطاعة للجيش والانضباط العسكري، بالإضافة إلى ذلك، فإنهم استخدموا كل الأساليب الأخرى لحث وتشجيع جنودهم على الخوف من الآلهة، وذلك حتى إذا ما انتهكوا هذه الأيمان أو لم ينفذوا هذا القسم فإنهم لن يقعوا فقط تحت وطأة القانون البشري ولكن أيضًا ينتظرهم الانتقام من السماء.

باتيستا: هل سمح الرومان في أي وقت مضى بالنساء أو القمار في معسكراتهم، كما نفعل نحن في الوقت الحاضر؟

فابريزيو: لقد قاموا بحظرهما على حد سواء، إن ضبط النفس لم يكن شديدا جدًّا، لأن جنودهم كان يتم توظيفهم في العمل باستمرار سواء في أحد الواجبات أو غيرها، وبهذا لم يكن لديهم الوقت من أجل التفكير في النساء، ولعب القمار، أو أي من تلك الهوايات الدنيئة التي تجعل الجنود خاملين مستعدين للغواية.

باتيستا: لقد كانوا على حق. ولكن قل لي، ما هو النظام الذي اتبعوه عندما كانوا على وشك الخروج من المعسكر أو شد الرحال؟

فابريزيو: تقوم أبواق الجنرال بالعزف ثلاث مرات، في المرة الأولى، يقومون بحل الخيام وتعبئتها، وفي المرة الثانية، يقومون بتحميل عرباتهم، وفي المرة الثالثة، يبدؤون مسيرتهم مع مراعاة النظام الذي ذكرته مسبقا (جحافلهم في منتصف الجيش، وأمتعتهم في مؤخرة كل سلاح) ولكي تقوم بهذا، فإنه من الضروري بالنسبة لأحد جحافل المساعدين أو المعاونين أن تتحرك أولا مع أمتعتها الخاصة والجزء الرابع من المعوقات العامة (العزل والأمتعة وغيرها من الأشياء التي تحمل مع الجيش) في مؤخرتها، وهذا الأخير تم وضعه في واحد أو آخر من التقسيمات الأربعة في الجزء الغربي من المعسكر والذي تحدثت عنه منذ وقت ليس بالطويل. وبالتالي، فإن كل فيلق يجب أن يكون لديه تقسيماته الخاصة من أجل الدور المكلف به، بحيث عندما يكونون على وشك السير يكون كل فرد منهم قد عرف أين يأخذ مكانه.

باتيستا: هل اعتاد الرومان على إصدار أية أحكام أخرى في وضع مخيماتهم، إلى جانب تلك التي ذكرتها من قبل؟

فابريزيو: لابد لي أن أخبرك مجدّدا أنهم قد حافظوا على نفس طريقتهم في عمل مخيماتهم وهذا كان هو الاعتبار الأول والرئيسي. وإلى جانب هذا، كان لديهم اثنتان من النقاط الرئيسية: أولاهما كان الموقع الصحي، وثانيتهما كان اختيار مكان المعسكر الذي لا يمكن للعدو أن يحاصرهم فيه ولا يحرمهم فيه من المياه والإمدادات، ومن أجل منع تفشي المرض في جيوشهم فإنهم أثناء المسيرة كانوا يتجنبون السير بجوار المستنقعات والمواقع المُعرضة للرياح الضارة، ولقد قاموا بتكوين حكمهم على الموقع ليس كثيرا بالنظر في جودة المكان بقدر النظر في مظاهر وأسس حياة البشر الذين يعيشون بالقرب من هذا الموقع، إذا كانوا شاحبين أو مرضى، أو يخضعون لعلاج الربو أو الاستسقاء أو أي من الأوبئة الأخرى المستوطنة فإنه في هذه الحالة لن يتم التخييم هناك.

أما بالنسبة للنقطة الأخرى - ألا يكون هذا الموقع يسمح بأن يقوم العدو بمحاصرتهم - مثل أنْ يقوموا بالنظر في أين يكمن عدوهم وأين يكمن أصدقاؤهم، ومن هنا حكموا على احتمالية أو إمكانية تواجدهم من عدمها، ولكي لا تتم محاصرتهم فإن الجنرال أو القائد يجب أن يكون على دراية جيدة بطبيعة البلد الموجود فيه، ويجب عليه كذلك أن يجمع حوله من هم على دراية خاصة بمثل هذه الأمور كما يعرفها هو، ويوجد أيضًا احتياطات أخرى يجب اتباعها من أجل منع المرض والمجاعة داخل الجيش وذلك عن طريق: منع وتقييد جميع طرق الإسراف والإدمان بين الجنود، مع الحرص على أن يناموا تحت الغطاء، وأن يكون المخيم بالقرب من الأشجار بحيث يوفر لهم الظل أثناء النهار ويوفر لهم الأخشاب من أجل الوقود لإعداد طعامهم، وألا يقوموا بالسير عندما تكون حرارة الشمس شديدة جدًّا، ولهذا السبب ينبغي شد الرحال قبل ضوء النهار في فصل الصيف، وعدم السير بين الجليد والثلوج في فصل الشتاء ما لم يكن لديهم فرص متكررة لإشعال النيران الجيدة والملابس الثقيلة لحمايتهم من تقلبات الطقس، كما أنه من الضروري أيضًا منعهم من شرب المياه الراكدة والنتنة، وإذا وقع لأي منهم مكروه، فإنه يجب عليك أن تعطي أوامر صارمة للأطباء والجراحين في الجيش بتقديم الرعاية الكبيرة لهم، لأنه من الواقع السيئ أن يكون لدى الجنرال أي مرض في جيشه وهو يشتبك مع العدو في نفس الوقت، ولكن ليس هناك ما هو أكثر ملاءَمة من إبقاء الجيش في حالة صحية جيدة ومعنويات مرتفعة أكثر من التدريب، وقد اعتاد القدماء على تدريب قواتهم يوميا، ومن ثم فإن التدريب والممارسة الصحيحة والملائم له أهمية كبيرة بكل تأكيد لأنه يحافظ على صحتك بالمخيم ويؤمن لك الفوز في الميدان.

كما أنه من أجل الوقاية من المجاعة، فإنه من الضروري ليس فقط أن تولي أهمية كبيرة لمنع العدو من قطع المؤن عنك ولكن أيضًا للنظر في من أين لك أن تقوم

بالإمداد الملائم وأن تنظر فيما إذا كانت الإمدادات التي قمت بها تم الحفاظ عليها بشكل سليم أو تم تخزينها بشكل سليم)، ولذلك فإنه يجب أن يكون دائما لديك مخزون احتياطي كافٍ لمدة شهر على الأقل ومن ثم تقوم بإلزام أصدقائك المجاورين وحلفائك بتزويدك بكمية معينة يوميا، ويجب عليك أيضًا إنشاء مخازن في أماكن محصنة جيدًا وقوية، وقبل كل شيء، أن تقوم بتوزيع المؤن الخاصة بك على النحو الواجب وبشكل مقتصد بين رجالك، وتعطيهم نسبة معقولة كل يوم، وأن تقوم بتنفيذ هذا بدقة حتى لا تتسبب بأية وسيلة أو بأخرى باستنفاد المخازن الخاصة بك وتلقي بنفسك في التهلكة أو تشل حركة نفسك.

وعلى الرغم من أن كل المصائب في أحد الجيوش يمكن تداركها في الوقت المناسب، فإن المجاعة وحدها يمكن أن تنمو خطورتها أكثر فأكثر ومن المؤكد أنها ستدمرك في نهاية المطاف، ولن يقوم أي عدو بالاشتباك معك في مثل هذه الظروف لأنه سيكون واثقا من أنه سيغزوك من دون أي قتال، على الرغم من أن النصر الذي يتم تحقيقه بهذه الطريقة لا يمكن أن يكون مشرفا مثل النصر الذي تم تحقيقه بالسلاح ومع ذلك فإنه من المؤكد أنه يأتي بدون مخاطرة.

إن الجيش الذي يضيع مؤنه بتعسف وتبذير وإسراف دون التبصر واعتبار دور الحكمة من التدبير وظروف العصر، لا يمكنه أن يهرب أو يفلت من المجاعة، فعدم وجود الحرص في الوقت المناسب لمنع تضييع المؤن والإسراف في الاستهلاك بدون فائدة يؤدي إلى المجاعة،وبالتالي، فإن القدماء قد أخذوا حذرهم من ألا يتم السماح للجنود بتناول كمية أكثر من المسموح بها يوميا وهذا في أوقات محددة، وألا يتم السماح لهم بتناول الإفطار أو العشاء إلا إذا فعل الجنرال نفس الشيء، كيف يمكن التقيد بهذه القوانين الجيدة في جيوشنا في الوقت الحاضر، أنا لا أريد أن أقول شيئا، فكل شخص يعلم أن جنودنا بدلا من أن يقوموا بتقليد نظام ورصانة القدماء، فإنهم متطرفون، وفاجرون، ومخمورون.

باتيستا: عندما تحولت محادثتنا أولا إلى المعسكرات، فإنك قلت إنك لن تقوم بتقييد وحصر نفسك في فوجين فقط، ولكن سوف تأخذ أربعة، الأفضل أن توضح كيف ينبغي على جيش بأكمله أن يقوم بعملية التخييم. لكن أود أن أعرف، كيف ستقوم بتقسيم جيشك إذا كان يتكون من عدد أكبر أو عدد أصغر من الرجال من هذا، والثاني ما هو العدد الكافي الذي تعتقد أنه كافٍ للاشتباك مع العدو؟

فابريزيو: بالنسبة لسؤالك الأول، فإنني أجيب بأنه، إذا كان جيشك يتكون من أكثر أو أقل من 5000 أو 6000 ليس لديك شيئ لتقوم به سوى إضافة أو تقليل الصفوف الخاصة بك وفقا لمواقع المبيت، ويمكنك أن تقوم بهذا في أي جزء تريد. ومع ذلك فإن الرومان كان لديهم معسكران مختلفان عندما ضموا جيشين قنصليين سويا، الأرباع الخلفية حيث كان العزل والعوائق يتم وضعهم بحيث يواجه كل منهما الآخر.

أما بالنسبة لسؤالك الثاني فإن الجيوش العادية التي أحضرها الرومان لأرض المعركة كانت تتكون من حوالي 24000 رجل، وفي المناسبات الأكثر ضغوطا لم يتجاوز عددهم أبدا 50000، وبهذا العدد قاموا بمواجهة الإغريق أو أهل الغال البالغ عددهم 200000 والذين غزوهم بعد نهاية الحرب القرطاجية الأولى، وقاموا بمواجهة حنبعل (Hannibal) بنفس العدد.

في الواقع فإن كلا من الرومان واليونانيين، اعتمدوا بصورة رئيسية على الانضباط الجيد وحسن التصرف. وكانوا دائما يتوجهون لحروبهم بجيوش صغيرة في حين كان كل من الدول الشرقية والغربية لديها عدد لا يحصَى من الجيوش، وكانت الدول الغربية تثق تماما في شراسة طبيعة أرضهم، أما الدول الشرقية فقد استفادت من الخضوع المطلق والتام الذي تقدمه الرعايا لأمرائها، ولكن لا الإغريق ولا حتى الرومان كانوا متميزين بشراسة طبيعة أراضيهم ولا الخضوع المطلق والتام الذي

تقدمه الرعايا لأمرائها، وكانوا مضطرين إلى اللجوء النظام الجيد، وقوة وكفاءة هذا النظام كانت عظيمة جدًّا بحيث أن أحد جيوشهم الصغيرة غالبا ما هزم العديد من أشرس وأعجز الجيوش.

وفي تقليد الرومان واليونان، فإنني لا أود أن يكون لدي رجال في جيشي أكثر من 50000، ولكن أقل إذا كنت سأختار، لأنه إذا كان لدي أكثر من ذلك فإنه من شأنه خلق مزيد من الفتن والبلبلة، ولا يصبحون فقط غير قادرين على حكم أنفسهم ولكن يفسدون الذين كانوا منضبطين. وقد اعتاد الملك (بيروس King Pyrrhus) أن يقول إنه مع جيش يتكون من 15000 جندي جيد فإنه يمكنه أن يقاتل العالم كله.

ولكن دعنا الآن ننتقل إلى موضوعات أخرى، لقد شاهدت أنت جيشنا يفوز بالمعركة، والحوادث التي قد تحدث وقت القتال، لقد رأيتها أيضًا أثناء المسيرة، وأصبحت على بينة بالمخاطر والمواقف الحرجة التي تخضع لها في مثل هذه الظروف، أخيرا، لقد رأيت كيف تم تقسيمهم داخل المعسكر الذي يجب أن يقيموا فيه لفترة ليس من أجل الاستمتاع بالراحة بعد العناء ولكن من أجل القيام بالإجراءات المناسبة من أجل أن تحقق الحملة النهاية السعيدة، وهناك العديد من الأشياء التي ينبغي النظر إليها وتواجدها في المعسكر وخصوصا إذا كان العدو لا يزال موجودا في الميدان، أو إذا كانت هناك أية مدن تنتمي إليه لم تخضع حتى الآن، أو إذا كانت هناك أية مدن يمتلكها الأشخاص الذين لديهم ولاء وإخلاص للعدو مما يجعل لديك سببًا كافيًا لتشك بهم، في تلك الحالات، فإنك يجب أن تجعل نفسك ربان وقائد من جهة وتقوم بتأمين المرافق من جهة أخرى، وبالتالي فإنه من الضروري أن تعرض كيف وبأي الوسائل يمكن القضاء على هذه الصعوبات بنفس العظمة والتي بها نفذنا كل حروبنا حتى الآن.

لننكب على بعض الخصوصيات الصغيرة أثناء الحرب، أقول أنه إذا كان هناك

العديد من الرجال أو الدول المختلفة يمكن أن يفكروا في القيام بأي شيء ربما يميل إلى مصلحتك ويتحول إلى ضرر عليهم (مثل هدم بعض من مدنهم أو طرد عدد كبير من سكانهم) فإنك ينبغي عليك تحريضهم بطريقة حتى إن أيًّا منهم لا يمتلك أي تصور أن لك أية مصلحة شخصية أو خاصة في القيام بذلك، وبالتالي فقد استحوذت عليهم وامتلكتهم بشكل فعال ومؤثر لدرجة أنهم بدلا من أن يتوحدوا حفاظا على سلامتهم، فإنهم لن يقدموا أقل مساعدة لبعضهم البعض، ومن هنا فإنك سوف تهزم الجميع وتجعلهم يخضعون لك بدون أية معارضة مادية أو ظاهرة. ولكن إذا كانت هذه الطريقة لن تؤثر، فإنك يجب أن تقوم بإعطاء أمر لكل منهم على حدة بأن يفعل ما كنت تريد أنت أن تفعله في نفس اليوم، لذلك فإن كل دولة من الممكن أن تكون مجبرة على الطاعة لأنها لن يكون لديها أي دعم من قبل جيرانها كي تعتمد عليه (تفعل ذلك وهى متخيلة بأنه لا يوجد أية دولة أخرى لديها أوامر من نفس النوع)، وبالتالي فإنك سوف تنجح فيما تخطط له بدون أية مقاومة أو أية تحالفات شكلت ضدك.

إذا كان ينبغي عليك أن تشك في ولاء أو إخلاص أي شعب وتريد أن تقي نفسك ضدَّهم عن طريق أخذهم على حين غفلة من أجل إخفاء نواياك بشكل أكثر فاعلية، فإنه من الأفضل أن تتظاهر بأنك لديك ثقة تامة فيهم، كاستشارتهم في بعض الخطط أو النوايا والتي يبدو أنك تتخذها لبعض الأشخاص الآخرين وأن تطلب منهم مساعدتهم لك في ذلك، كما لو لم يكن لديك أدنى شك في صدقهم أو تفكر بالتربص بهم، وهذا سوف يضعهم في موقف المفاجأة ويعطيك فرصة للتعامل معهم كما يحلو لك.

إذا كنت تشك في أن أي شخص من جيشك قد قام بإعطاء استخبارات للعدو أيًّا من الخطط أو النوايا الخاصة بك، ليس هناك أفضل من أن تستفيد من خيانته

حيث تتظاهر بأنك تثق به عن طريق إعطائه بعض القرارات السرية الذي كنت تنوي تنفيذها، في حين تقوم بإخفاء الخطط الحقيقة بحرص، ومن هنا فإنك من المحتمل أن تكون اكتشفت الخائن وتقود العدو إلى الخطأ والذي يمكن أن ينتهي بتدميره.

إذا، من أجل التخلص من بعض أصدقائك، وكنت تريد أن تقلل عدد جيشك سرا حتى أن العدو قد لا يكون على علم بذلك (كما فعل كلاوديوس نيرون Claudius Nero)، فلا يجب عليك أن تقوم بتقليل عدد مواقع المبيت ولكن يجب أن تترك الخيام الفارغة منصوبة وكذلك الرايات ترفرف وإشعال نفس النيران ودع نفس الحراس كما فعلت من قبل، وبالمثل، إذا كنت تتلقى إمدادات جديدة وكنت لا تريد أن يعرف العدو أنك قد تم تدعيمك، فإنه لا يجب أن تزيد عدد الخيام الخاصة بك، بحيث لا يكون هناك شيء أكثر أهمية من أن تبقي هذه الأشياء على أنها أمور سرية قدر المستطاع.

وعندما قام (ميتيللوس Metellus) بقيادة جيوش الرومان في إسبانيا، فأعطى أحد الأشخاص لنفسه الحرية في أن يسأله عما ينوى أن يفعله في اليوم التالي، فقال له: لو أن سترتي عرفت نيتي سأحرقها على الفور.[1]

(ماركوس كراسوس Marcus Crassus) سأله أحد ضباطه عن موعد شد الرحال، فقال: هل تعتقد بأنك سوف تكون الوحيد الذي لن يسمع صوت البوق؟.

من أجل أن تقوم باختراق تصميمات العدو السرية واكتشاف موقف وتوزيعات جيشه، فإن البعض قام بإرسال بعض السفراء مع ضباط ذوي خبرة ومهارة ويرتدون مثل بقية الحضور، ويأخذ هؤلاء الضباط الفرصة لمشاهدة جيوشهم ويراقبون نقاط

1. يجب علينا العرب التعلم من هذا الحرص يقول القائد لو هدومي عرفت بفكري في أية لحظة سأحرقها فورا، ولدينا استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ونحن العرب كل حوائجنا عند الغرب اتقوا الله – المترجم إلى العربية.

قوتهم ونقاط ضعفهم وذلك في دقيقة وهذه الطريقة تؤدي الكثير من الخدمات، أما البعض الآخر فقد تظاهروا بأنهم قد تشاجروا مع المقربين لهم وقاموا بإبعادهم وهؤلاء المُستبعدين يقومون بالذهاب إلى العدو ومن ثم يقومون بإبلاغهم بخطط العدو، كما أن نوايا العدو يمكن اكتشافها أحيانا من خلال فحص الأسرى الذين تحصل عليهم.

عندما قام (ماريوس Marius) بقيادة الجيش في الحرب ضد (الشيمبري Cimbri)، وأراد أن يختبر إخلاص الإغريق أو أهل الغال (الذين بعد ذلك قد سكنوا في لومبارديا وتحالفوا مع الرومان) كتب لهم بعض الرسائل والتي تركت مفتوحة وغيرها من التي كانت مختومة بالشمع، وفي السابق، قد طلب منهم عدم فتح الخطابات المختومة قبل يوم معين، ولكن قبل هذا الوقت أرسل في طلب هذه الخطابات مجددا، ووجد أنهم قد فتحوها وبالتالي فقد تيقن بأنه لا يمكن أن يضع أية ثقة فيهم.

بعض الأمراء لم يقم بإرسال جيشه على الفور من أجل مواجهة العدو عندما تم غزو أراضيهم، ولكن قاموا بعملية توغل في بلد العدو، وبالتالي يُلزم العدو على العودة من أجل الدفاع عن نفسه. وهذه الطريقة قد حققت نجاحا في الغالب، لأنه في مثل هذه الحالات فإن جنودك يقاتلون بروح وثقة (حيث يكونون مبتهجين بالنصر وحمل الغنائم) في حين أن جنود العدو يكونون في حزن شديد لتفكيرهم في أنهم قد هُزموا بدلا من أن ينتصروا، لذلك، فإن التحول لهذا النوع كثيرا ما يأتي بالعواقب الجيدة والحميدة. ولكن يجب عليك أن لا تحاول القيام بهذه الطريقة إلا إذا كانت بلدك محصنًا بصورة أفضل من بلد العدو، وإذا فعلت، فإنك سوف يتم تدميرك بكل تأكيد.

وإذا تم حصار أحد القادة في معسكره عن طريق العدو، فإنه ينبغي أن يسعى

لعقد معاهدة معه والحصول على هدنة لبضعة أيام، وفي أثناء هذه الفترة، فإن العدو يكون عُرضة لأن يكون مهملا ومقصرا بحيث يمكن لهذا القائد أن يجد الفرصة لكي يفلت من بين يدي هذا العدو. وبواسطة مثل هذه الوسائل فقد استعصى سولا على العدو مرتين وكذلك صدربعل الذي نجا من قبضة نيرون عندما حاصره في إسبانيا، وبجانب هذه الوسائل الملائمة، هناك أساليب أخرى لتخليص نفسك من قبضة العدو: مثل مهاجمته بجزء واحد فقط من قواتك بحيث تجذب انتباهه كليا لهذا الجزء، وبقية جيشك قد يجد وسائل لإنقاذ نفسه أو استخدام بعض الحيل الغير مألوفة والتي قد تملأ العدو في نفس الوقت بالخوف والدهشة لدرجة أنه لا يستطيع اتخاذ أية قرار بشأن كيفية التصرف أو إذا ما كان سيتصرف على الإطلاق، وهذا ما فعله حنبعل عندما تمت محاصرته من قبل ماكسيموس، حيث إنه كان لديه عددٌ كبير جدًّا من الثيران في معسكره وقام بتعليق بعض الشعل المضيئة في قرون هذه الثيران وتركها تجري بحرية حول البلدة، ومع غرابة هذا المشهد كان ماكسيموس متحيرا جدًّا لدرجة أنه لم يمكنه سوى السماح لهم بالفرار.

ولكن فوق كل اعتبار، يجب على الجنرال أن يقوم بتقسيم وتشتيت قوة العدو بجعله:

1- يشك في مستشاريه والمقربين منه

2- أو عن طريق إجباره بأن يقوم بتوظيف قواته في أماكن وفصائل مختلفة في آن واحد (وهذا بالضرورة سوف يقوم بإضعاف جيشه الرئيسي كثيرا) .

الطريقة الأولى يمكن أن تتم عن طريق تجنب إلحاق الأضرار بممتلكات بعض الرجال الذين يثق فيهم وذلك في وقت النهب والتدمير، وعدم تدمير منازل وعقارات الأشخاص الذين يثق بهم العدو، أو عن طريق عودة أطفالهم وأقربائهم الآخرين

الذين تم أسرهم وذلك بدون دفع أية فدية. وبالتالي، فإن حنبعل عندما قام بتدمير وحرق كل المدن والبلدان المحيطة بروما قام بترك ممتلكات فابيوس ماكسيموس فقط، وكذلك (كوريولانوس Coriolanus) أثناء عودته على رأس الجيش إلى روما، قام بحرص بحرق كل ممتلكات العامة وقام بالحفاظ على ممتلكات النبلاء، وعندما قام (ميتيللوس Metellus) بقيادة الجيش الروماني ضد (يوغرطه Jugurtha)، شجع واستمال السفراء الذين أرسلهم إليه ذلك الأمير أن يسلموا سيدهم كأسير لديه، وقد استمر في المراسلات معهم لنفس الغرض حتى اكتشف يوغرطه هذا فنما الحقد والضيق في نفسه من مستشاريه وقام بإعدامهم جميعا - لذريعة أو لأخرى.

كذلك (حنبعل Hannibal) بعد أن لجأ للتحالف مع (أنطيوخس Antiochus)، تمكن سفراء الرومان بدهاء شديد أن يجعلوا أنطيوخس يشك في حنبعل ولا يأخذ بنصيحته ولا حتى يثق فيه مجددا في أية مسألة مهما كانت.

أما بالنسبة لتقسيم وتشتيت قوة العدو، لا يمكن أن يكون هناك طريقة للقيام بذلك أفضل من التوغل في بلاده، وهذا سوف يجبره على التخلي عن كل شركائه الآخرين ويعود من أجل الدفاع عن بلده، وهذه كانت الطريقة التي استخدمها فابيوس ماكسيموس عندما كان لا يواجه الإغريق فقط ولكن أيضًا كان يواجه (التوسكانيين Tuscans)[1] و(الأومبريانز Umbrians) و(سامنيتيز Samnites) في آن واحد، أما (تيتوس ديدوس Titus Didius) فقد كان لا يملك سوى جيش صغير مقارنة بالعدو وقد كان لديه توقع بأنه سوف يتم تدعيمه بفيلق آخر من روما، وعندما علم أن العدو يخطط لقطع هذا الإمداد إثناء مسيرته، من أجل أن يمنع هذا

1. (التوسكانيون (Tuscans (سكان أكبر إقليم في وسط إيطاليا قبل توحدها) و(الأومبريانز (Umbrians (سكان شبه الجزيرة الإيطالية قبل التوحد) و(سامنيتيز (Samnites (سكان جنوب إيطاليا) المترجم إلى العربية.

فإنه لم يقم فقط بإشاعة الأخبار في معسكره بأنه سوف يشتبك مع العدو في اليوم التالي ولكن أيضًا سمح لبعض الأسرى الذين وقعوا في يده بالفرار وهؤلاء الأسرى بالتالي أخبروا قائدهم بنوايا تيتوس، وكان لهذا تأثيره حيث إن الجنرال قد رأى أنه ليس من الملائم أن يقوم بتقليل قواته عن طريق السماح لجزء منهم بأن يذهب لقطع مسيرة التعزيزات، ولذلك فقد وصلت التعزيزات إلى تيتوس بأمان، وعلى الرغم من أن هذه الحيلة لم تقم بتقسيم جيش العدو فإنها أثبتت وسائل تعزيز وتدعيم الجيش لنفسه.

أما البعض الآخر، من أجل أن يقوم بتفكيك قوة العدو، قاموا بالسماح للعدو بأن يدخل إلى بلادهم ويستولى على العديد من المدن، بحيث عندما يضعف جيشه الرئيسي عن طريق ترك حاميات على هذه المدن، فإنهم يهجمون عليه مع وجود احتمال كبير للنجاح، أما آخرون كان لديهم تخطيط لغزو إقليم معين، وقاموا بعمل خدعة وغزوا إقليما آخر، ويقومون بتحويل قواتهم فجأة إلى المكان الذي لم يتوقعه أحد على الإطلاق ويصنعون من أنفسهم سادة هذا المكان قبل أن يرسل العدو أية إغاثة، لذلك ففي مثل هذه الحالات فإن العدو يكون مضطرا للحفاظ على مكانه وعدم ترك مكان لتأمين آخر (لأنه غير متأكد من أنك سوف تعود وتهاجم الإقليم الذي أردت مهاجمته أولا)، بحيث إنه كما يحدث في كثير من الأحيان أن يصبح العدو غير قادر على تأمين المكانين على حد سواء.

إنه لمن الأهمية الكبرى أن تمنع انتشار التمرد أو الفتنة في الجيش، لهذا الغرض، يجب عليك أن تعاقب قادة هذا التمرد بطريقة مثالية، ولكن بمثل هذا النهج الذي يمكن أن يحدث قبل أن يتخيلوا أنك تنوي هذا.

إذا كانوا غير مقربين منك، فإنه من الأفضل أن تستدعي كل من البريء والمذنب معا لأنه إذا قمت باستدعاء المخالفين وحدهم فإنهم من الممكن أن يشكوا في نواياك

ويصبحوا أكثر عصيانا أو يتخذوا بعض الطرق الأخرى من أجل المراوغة للإفلات من العقاب، ولكن إذا كانوا في متناول يدك فإنك يمكنك أن تحقق استفادة لنفسك من أولئك الأبرياء وأن تقوم بمعاقبة الآخرين بمساعدة الأبرياء، أما فيما يخص الخلافات بين جنودك، فإن العلاج الوحيد هو أن تعرضهم جميعا لنوع واحد من الخطر وفي مثل هذه الحالات فإن الخوف يوحدهم عموما.

ولكن الطرق الأكثر شيوعا من أجل الإبقاء على جيشك موحدا هي سمعة القائد من حيث الشجاعة وحسن التصرف وبدون هذين الأمرين فإن لا الأصل النبيل ولا أي نوع من أنواع السُّلْطة يكون كافيا.

والآن فإن هناك شيئًا كبيرًا يتعين على القائد أن يقوم به من أجل الحفاظ على سمعته هو أن تدفع جيدًا وأن تعاقب بصورة سليمة وعادلة، لأنه إذا لم يقم بالدفع لرجاله على النحو الواجب، فإنه لا يمكنه معاقبتهم بشكل سليم وعادل عندما يستحقون العقاب، فلنفترض، على سبيل المثال أن جنديا تم اتهامه بالسرقة، كيف يمكنك أن تعاقبه على ذلك في حين أنك لا تدفع له أي أجر؟ وكيف يمكن أن يمتنع عن السرقة إذا لم يكن لديه أية وسيلة أخرى للعيش؟ ولكن إذا كنت تدفع لهم بشكل جيد ولا تقوم بمعاقبتهم بشدة عندما يخطئون سوف تزيد وقاحتهم وفجورهم، ومن ثم فإنك سوف تصبح مُحتقرا وتفقد سلطتك، وبعد ذلك سوف يترتب على ذلك أن تنمو الفتنة والشقاق بشكل طبيعي في جيشك وربما ينتهي ذلك بدمار جيشك.

إن قادة الجيوش في الأزمان السابقة لم يكن لديهم أية صعوبة في النضال ضد أي شيء يهرب منه قادة الجيوش في الوقت الحاضر ويقومون باستثنائه، وهذا كان يفسر على أنه إما نذير شؤم أو بشائر فرحة بحيث بدلا من أن تبدو هذه الأشياء على أنها سلبية يمكن أن تبدو على أنها مؤيدة وملائمة.

لأنه إذا نزل رعد وبرق على المعسكر، إذا حدث للشمس أو للقمر كسوف، أو إذا كان هناك زلزال، أو إذا سقط القائد أثناء صعوده على الحصان أو الترجل من على حصانه، فإن الجنود ينظرون لهذا على أنه نذير شؤم ويصابون بالفزع بحيث يقومون بالمقاومة الضعيفة لأي عدو يهاجمهم، وعندما تقع مثل هذه الحوادث، فإن هؤلاء القادة يحاولون تفسير هذا على أنه من الأشياء الطبيعية أو يحاولون تفسير ذلك على أنه يؤدي غرضهم ويعطيهم ميزة، وعندما حط يوليوس قيصر في إفريقيا فقد حدث أنه بمجرد أن وضع قدمه على الشاطئ أنه صرخ على الفور قائلا: (إفريقيا، لقد استوليت عليك).

أما آخرون فقد أوضحوا سبب الزلازل والخسوف لجنودهم، ولكن مثل هذه الحالات لها أثر قليل أو معدوم في عصرنا لأن الرجال لا يعطون أي قدر من الأهمية لمثل هذه الخرافات منذ أن قام الدين المسيحي[1] بتنوير عقولهم وبدد هذه المخاوف التافهة، ولكن إذا حدثت هذه المخاوف فيجب علينا تقليد أمثلة القدماء في مثل هذه المناسبات.

إذا حدثت أية مجاعة للعدو تؤدي به إلى اليأس، وقام العدو بالتقدم بشراسة للاشتباك معك، فإنك يجب أن تظل قريبا من الخنادق الخاصة بك وتتجنب المعركة إذا كان ذلك ممكنا، وهذا ما فعله (لاتشيدايمونيان Lacedaemonian) عندما تم استفزازهم من أجل القتال عن طريق (ميسينيانز Messenians)، ويوليوس قيصر عندما تم استفزازه بواسطة[2] (أفرانيوس وبيتريوس Afranius and Petreius).

1. وكذلك حذر ديننا الإسلامي من التطير ولكن شجع الفأل الحسن فعن أَنَسٍ أَنَّ نَبِيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال (لَا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ) أو كما قال ﷺ لأن الفأل تقوية لما فعله بإذن الله والتوكل عليه أما الطيرة فمعارضة ذلك - المترجم إلى العربية.

2. (أفرانيوس وبيتريوس Afranius and Petreius، من أشهر الحلفاء في عهود ما قبل الميلاد عند الرومان) - المترجم إلى العربية.

عندما قام القنصل فولفيوس بقيادة جيوش الرومان ضد الشيمبري، قام بجعل الفرسان يهاجمون العدو على مدى عدة أيام متتالية، وقد لاحظ أن العدو يقوم بالانسحاب من معسكره ويتابع قواته عندما تتراجع، وأخيرا قام بعمل كمين من الرجال خلف معسكر العدو ومن ثم انتصر عليهم.

بعض الأمراء عندما تم غزو أراضيهم وكان جيشهم يكمن بالقرب من العدو، قاموا بإرسال بعض مجموعات منهم بنفس رايات العدو من أجل نهب ونشر الخراب في أراضيهم، ويتخيل العدو أنهم أصدقاء جاءوا لمساعدته فيذهب للانضمام إليهم، ولكن عندما يكتشف العدو خطأه فإنه يكون قد سقط في الحيرة والارتباك ويعطي لخصمه الفرصة للفوز.

وهذه الإستراتيجية قد تم استخدامها بواسطة (الكسندر إبيروس Alexander of Epirus) ضد (الإليرين Illyrians) وكذلك بواسطة (ليبتنز السيراقوسي Leptines the Syracusan) ضد (القرطاجيين Carthaginians) وكلاهما نجح بسهولة في هذا الغرض.

والعديد من القادة قد اكتسبوا ميزة من خلال التظاهر بأنهم يهربون في خوف شديد ويتركون معسكرهم مليئا بالنبيذ والمؤن ومن ثم يكب العدو نفسه على هذه الأشياء ويعود الآخرون ويهجمون على العدو في حين أن العدو يكون في حالة سكر أو نائما، بهذه الطريقة قد انتصر (كورش الأكبر Cyrus) على (تيموريس Tomyris) وكذلك الأسبان على (تيبريوس جراتشوس Tiberius Gracchus) أما آخرون فقد قاموا بخلط السم في اللحم والشراب الذي تركوه وراءهم.

لقد أخبرتك قبل قليل أنني لا أتذكر أنني قرأت أن القدماء قد قاموا بوضع عساكر دورية أو حارس ليلي خارج محيط الخنادق في معسكراتهم ليلا، وذكرت لك

أنني أعتقد أن ذلك كان بسبب منع أي أذي يمكن أن يحدث، في كثير من الأحيان قد حدث أن الحراس المتمركزين في مواقعهم أثناء النهار من أجل أن يراقبوا تحركات العدو تسببوا في تدمير الجيوش حيث إنهم يتم مباغتتهم وإجبارهم على عمل إشارات لأصدقائهم من أجل المضي قدما، وبالتالي فقد تم رسم فخ لهم وإما أن يُقتلوا أو يقعوا في الأسر.

من أجل أن تقوم بخداع العدو فإنه قد لا يكون من الخطأ أن تقوم بتغيير بعض الإشارات أو العادات الخاصة التي استخدمتها من قبل بصورة مستمرة، كما فعل أحد القادة العظماء منذ زمان بعيد حيث جعل بعض الأجزاء المتقدمة من جيشه دائما تقوم بإعطائه إشارات بتقدم العدو وهذه الإشارات مثل النيران في المساء أو الدخان في أثناء النهار ولذلك فقد قام بتغيير هذا العرف أخيرا، فقد أمر تلك الأطراف أن يحافظوا على تلك النيران مشتعلة طوال الليل وأن يتركوا الدخان طوال فترة النهار، ولكن يقوموا بإطفائها أو إخمادها عندما يروا أن العدو قد بدأ في الحركة، وبالتالي فإن العدو يتقدم مرة أخرى ولا يرى الإشارات المعتادة ويتصور أنه لم يتم اكتشاف تقدمه ويندفع على الهجوم مثل هطول الأمطار، ومن هنا يتم سقوطه في الفوضى ويتم تدميره بواسطة خصمه والذي استعد جيدًا لاستقباله.

أما (ميمنون الروادي Memnon the Rhodian أحد أشهر القادة اليونانيين) من أجل أن يحرم العدو من الموقع القوي والمتميز، فقد جعل أحد رجاله يذهب للعدو كأنه قد فر من جيش ميمنون وأن يقوم هذا الشخص بإخبار العدو بأن الجيش في حالة تمرد وأن الجزء الأكبر من الجيش على وشك المغادرة، ولكي يؤكد هذا، قام ميمنون بإحداث ضجة كبيرة وبلبلة شديدة في معسكره بين الحين والآخر بصورة مزيفة، وبالتالي فقد اعتقد العدو أنه سوف يفوز بسهولة وقام بترك خنادقه ليهاجم ميمنون، وقد هزمهم وسحقهم ميمنون تماما.

يجب أن تولي عناية كبيرة أن لا يشعر العدو باليأس التام والمطلق، يوليوس قيصر كان دائما متفطنا لهذه النقطة في حروبه مع الألمان واعتاد على أن يفتح لهم طريقا للفرار بعد أن بدأ في أن يدرك أنهم عندما يدركون أنه من الصعب أن يهربوا فإنهم سوف يقاتلون باستماتة، فقد رأى أنه من الأفضل ملاحقتهم عندما يهربون بدلا من المخاطرة في عدم هزيمتهم لأنهم سوف يدافعون عن أنفسهم بعناد كبير.

(لوكولوس Lucullus)، قد لاحظ أن مجموعة من الفرسان المقدونيين الموجودين في جيشه كانوا في طريقهم إلى العدو كانت لديه خطة فورية، وبسرعة بديهة أمر كل ما تبقى من جيشه بالتقدم، وقد اعتقد العدو أنه خطط للهجوم عليهم فانقضوا على الفرسان المقدونيين وفي الحال اضطر الفرسان للدفاع عن أنفسهم والقتال بشجاعة بدلا من الفرار من لوكولوس كما كانوا يبيتون النية.

كما أنه أيضًا ذو أهمية قصوى أن تقوم بتـأمين أية مدينة تشك في ولائها سواء قبل أو بعد النصر، (بومبي Pompey) قد شك في ولاء (شاوشي Chauci) حيث إنهم قد كانوا حريصين على أن يرسل لهم الرجال المرضى في جيشه من أجل أن ينالوا العناية اللازمة في مدينتهم حتى يصبحوا بصحة جيدة مرة أخرى، ولكن بدلا من أن يرسل لهم الرجال المرضى فقد قام بإرسال أكثر الرجال شجاعة وعزيمة في جيشه في تمويه، وجعلوا من أنفسهم أسياد المدينة وحافظوا عليها من أجله.

وعندما أهين (بوبليوس فاليروس Publius Valerius) من قبل (الإيبيدوريانس Epidaurians) وفقد الثقة في إخلاصهم فقد أعلن العفو عن كل من يأتون إلى معبد معين خارج أبواب مدينتهم، وعندما أتى كل السكان من أجل أن ينالوا العفو، قام بإغلاق كل أبواب المعبد ولم يتم السماح بالعودة إلى المدينة إلا لمن يثق به.

الإسكندر الأكبر عندما كان مغادرًا لآسيا كان حريصا على التأكد من

(التراقيا Thrace)، قام باصطحاب كل النبلاء ورجال الريادة بهذا الإقليم معه وسمح لهم بمعاشات التقاعد، وترك كل العامة ليتم حكمهم عن طريق رجال في نفس ظروفهم وأحوالهم، وبالتالي فإن النبلاء كانوا راضين بمرتباتهم وعامة الناس لم يكن لديهم قائد لكي يقوم بقمعهم أو يؤدي إلى حثهم على التمرد وبذلك ظل الإقليم بأكمله هادئا.

ولكن كل الطرق التي يمكن اتباعها من أجل كسب قلوب الناس، لا تساهم كثيرا مثل الأمثلة الرائعة من الزهد والعدالة: مثال ذلك كان (شيبيو أو سكيبيو Scipio) في أسبانيا عندما أعاد السيدة الأكثر جمالا آمنة ولم يتم المساس بها إلى والدها وزوجها، وكان هذا الظرف الذي كان أكثر بناء لتهدئة إسبانيا أكثر من أي وقت مضى وأكثر من قوة أي سلاح.

وكذلك يوليوس قيصر قد اكتسب مثل هذه السمعة بسبب عدالته في دفع ثمن الأخشاب التي قام بقطعها لكي يقوم بعمل حواجز لمعسكره وهو في أرض الإغريق أو الغال، وهذا قد سهل كثيرا من غزوه لهذا الإقليم.

لكن أعتقد الآن أنني ليس لدي شيء لأضيفه لهذه الوثائق الخاصة أو للموضوع بصفة عامة، إلا إذا كنت سوف أقول بعض الأشياء التي تتعلق بطبيعة الهجوم والدفاع عن المدن، وهذا سوف أفعله بإيجاز وبوضوح على قدر المستطاع، إذا كنت لم أتعد كثيرا بالفعل على سعة صدرك.

باتيستا: سيدي إنك ودود وخير جدًّا، حتى إننا سوف نرغب في أن ترضي فضولنا فيما يتعلق بهذه النقاط، بدون أي خوف من أن نزعجك حيث إنك دائما ما تقدم لنا عرضا مجانيا لكل ما نخجل أن نسأل عنه، ونحن يجب علينا تعظيم هذا كخدمة كبيرة جدًّا، لذلك، وفضلا عن المتعة، إذا كنت ستتفضل بالمضي قدما في الموضوع،

لكن قبل أن تمضي قدما في الموضوع الذي تتحدث عنه، دعنا نتوسل إليك أن تخبرنا بما إذا كان من الأفضل أن تستمر في الحرب طوال فصل الشتاء (بحسب العرف في عصرنا) أو القتال في فصل الصيف فقط، وأن تقوم بإيواء القوات الخاصة بك قبل أن يأتي فصل الشتاء، كما اعتاد القدماء أن يفعلوا.

فابريزيو: في الواقع يا سيدي، إذا لم تقم بسؤالي عن هذا في الوقت المناسب، فإنني أعتقد كنت لأنسى أن أقول أي شيء فيما يخص هذا الموضوع والذي يستحق الكثير من الاعتبار والاهتمام، لذلك، لابد لي أن أستأذنكم لأقول لكم مرة أخرى إن القدماء كانوا أكثر حكمة وقد قاموا بقيادة أعمالهم بحذر كبير أكثر مما نفعله في الوقت الحاضر، لكن هذا كان ينطبق بشكل خاص على حروبهم، على الرغم من أننا في الواقع نذنب بأخطاء كبيرة في كثير من النواحي، فإننا مذنبون بصورة أكبر وأكثر في الحرب.

لا شيء يمكن أن يكون أكثر خطورة أو طيشا من أن يقوم الجنرال بمواصلة الحرب في فصل الشتاء[1]، وفي هذه الحالة، فإن المعتدي يكون بكل تأكيد معرضا لخطر الهزيمة والتدمير أكثر من أولئك الذين يكونون في موقف دفاعي وهذا بسبب أن الهدف الرئيسي والخطة بكل ما فيها من عناية وألم وتعب سيتم تبديدها على الحفاظ على النظام الجيد والانضباط وأن تكون لائق بدنيا ومستعدًا لمواجهة العدو بشكل سليم، والجنرال يجب أن يكون لديه دائما وجهة النظر القائلة (النصر الكامل عادة ما ينهي الحرب) .

ولذلك، فإن من يكون لديه جيش منظم ومنضبط بصورة جيدة تحت قيادته فإنه سوف يكون لديه بكل تأكيد ميزة معينة على أي جنرال آخر لا يملك هذا، وسوف

1. سبحان الله هذا ما حدث لنابوليون ومن بعده هتلر فقد كانت نهايتهما متشابهةً في روسيا في فصل الشتاء – المترجم إلى العربية.

يكون على الأرجح هو من يعود بالنصر. الآن يجب أن نعتبر أنه ليس هناك شيء يشكل عائقا للنظام والانضباط أكثر من المواقع الوعرة والطقس الرطب أو البارد، حيث إنه في المواقع المعتدلة يمكنك أن تقوم بترتيب قواتك طبقا للنظام المعتاد لك، ولكن الطقس السيئ سوف يجبرك على تقسيم قواتك، في مثل هذه الحالة لا يمكنك التعامل مع العدو بكامل قوتك حيث يكونون مقسمين في القرى والمدن والقلاع على بعد مسافات من بعضهم البعض بدون أي نظام أو ترتيب، وعلى هذا النحو وكما تتطلب الضرورة، فإن كل الآلام التي بذلتها من أجل تنظيم رجالك وجعلهم يتبعون النظام الجيد سوف يكون هباء في مثل هذا الفصل.

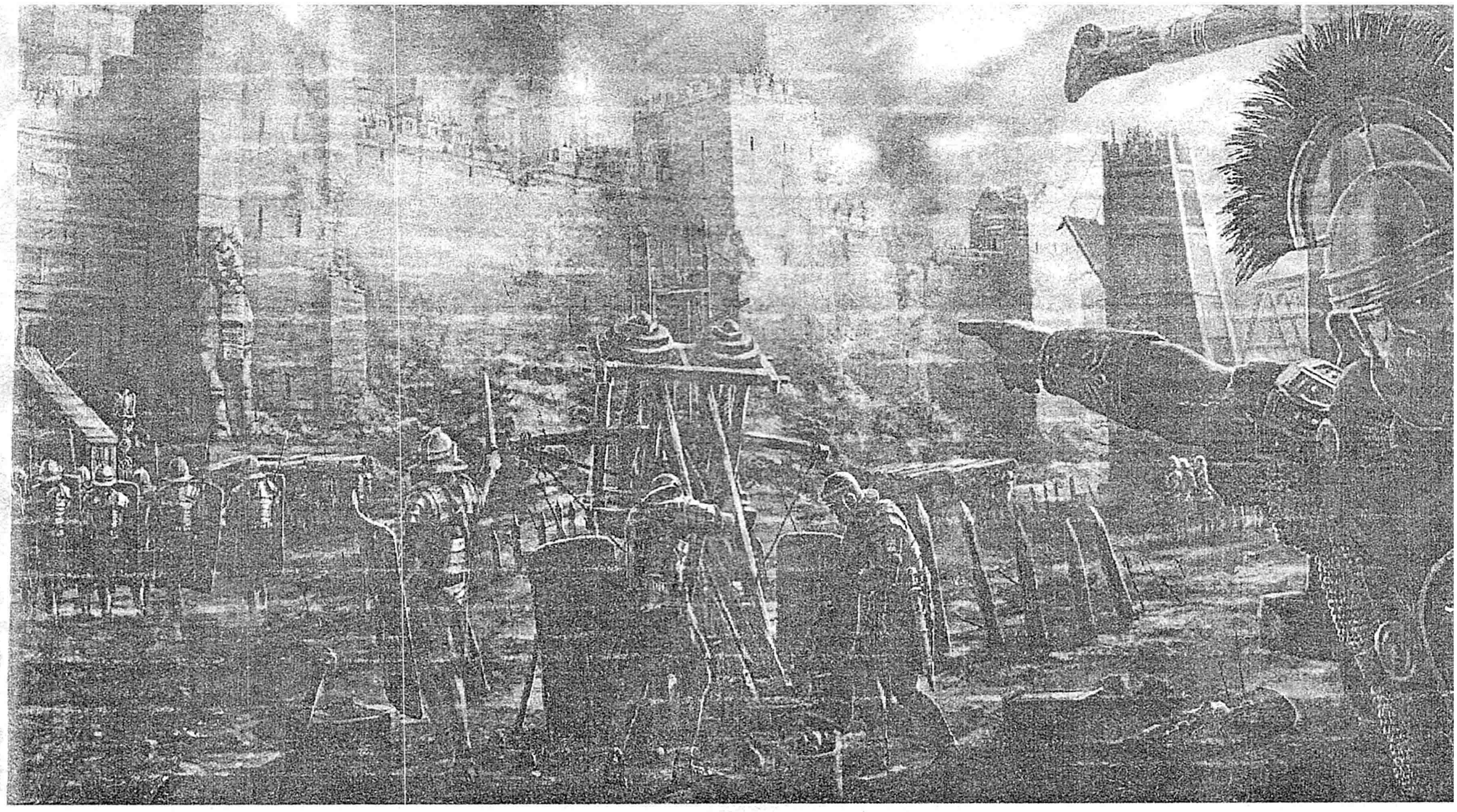
ولكن لا يوجد هناك سبب كبير للتعجب من أن القادة في أوقاتنا الحالية يقومون بمواصلة حروبهم في فصل الشتاء، حيث إنهم غرباء عن كل أنواع النظام والمعرفة العسكرية، وإنهم ليس لديهم إحساس لا بالخسائر والمتاعب التي ينبغي أن تنتج عن تقسيم قواتهم ولا حتى يجهدوا عقولهم للسعي في تأسيس الانضباط والنظام الجيد بين رجالهم والتي لم يعلموها حتى لأنفسهم، يجب عليهم أن يتأملوا، مع ذلك، وبناء على المصاعب المعدودة والخسائر التي تنجم عن الحملة في الشتاء، ويجب عليهم أن يتذكروا أن هزيمة الفرنسيين بالقرب من (جارجيليانو Garigliano) في عام 1503 لم تنتج كثيرا من شجاعة الأسبان، كما كان سببه هو قسوة الطقس.

لأنه كما قلت لك من قبل، أولئك الذين يقررون أن يستمروا في القتال ضد العدو في بلده أثناء فصل الشتاء فإنهم بالضرورة أن يحصدوا أسوأ ما فيه، لأنهم إذا قاموا بالإبقاء على كل رجالهم سويا في المعسكر فإنهم يجب أن يعانوا كثيرا من الأمطار والبرد، وإذا قاموا بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات مختلفة فإنهم بالتأكيد سوف يضعفون جيشهم بصورة كبيرة، في حين أن أولئك الذين ينتظرونهم في بلدتهم (العدو) يمكن أن يقوموا بتوحيد قواتهم في الحال، وليس من الممكن فقط أن يقوموا باختيار موعد

ومكان الهجوم ولكن أيضًا يمكن أن يبقوا على رجالهم آمنين ومستعدين تحت الغطاء حتى تسنح لهم الفرصة بالهجوم على بعض مجموعات العدو، لأن أولئك المتفرقين والمنقسمين لا يستطيعون أن يقوموا بأية مقاومة كبيرة.

بهذه الطريقة يمكننا أن نفسر هزيمة الفرنسيين التي ذكرتها للتو، وبهذه الطريقة أيضا، أولئك الذين لديهم معرفة بتسيير الشؤون العسكرية سيكون في خدمتهم وصالحهم إذا تم غزوهم في فصل الشتاء، وبالتالي، إذا كان هناك أي قائد يقوم بإغراق نفسه في مثل هذه الظروف حيث لا عدد، ولا نظام، ولا التنظيم الجيد، ولا حتى شجاعة قواته يمكنها أن تقدم إليه أية خدمة تسمح له بالاستمرار في الحرب أثناء فصل الشتاء.

مع ذلك، فإن الرومان من أجل الاستفادة القصوى من تلك المزايا التي استنزفت منهم الكثير من الآلام في اكتسابها، فإنهم دائما ما تجنبوا الحملات الشتوية كما فعلوا بالمثل مع المواقع المحاطة بالأشياء الوعرة والغير مريحة أو أية عوائق أخرى يمكن أن تحرمهم من الاستفادة بشجاعتهم وانضباطهم الجيد. هذا كل ما لدي لكي أقوله لك في الوقت الحاضر كي أجيب عن سؤالك الأخير، أما الآن فاسمح لنا بالمضي قدما، من فضلك للحديث عن طرق الهجوم والدفاع عن المدن وطريقة بنائها وتحصينها.



اطلاق المدفعية الرومانية

الكتاب السابع والأخير

الانضباط المثالي - المهارات الحربية اللازمة لميلشيا منظمة طبقا للتعليمات القديمة - إدانة الجيوش المعتمدة على المرتزقة - ورثى أن الحظ لم يعطه الفرصة أبدا لتشكيل وقيادة مثل هذا الجيش المثالي الذي طالما قام بوصفه

فابريزيو: يجب أن تعلم أن المدن والقلاع يمكن أن تكون قوية سواء عن طريق الطبيعة أو عن طريق الفن، المدن التي تحيط بها الأنهار أو المستنقعات أو الشراك والعوائق مثل (مانتوا أو مانتوفا Mantua) أو (فيررارا Ferrara) إحدى المدن القديمة التي انهارت مثل الإسكندرية القديمة وأعيد بناؤها)، أو تلك المدن التي تقع على صخرة أو تل شديد الانحدار مثل موناكو وسانتو ليو فهي محصنة عن طريق الطبيعة، أما تلك المدن التي تقع على التلال التي يعتبر صعودها أو تسلقها ليس بالأمر الصعب فإنها تعتبر ضعيفة منذ اختراع الألغام والمدفعية، ومن ثم فقد كان هؤلاء الذين يبنون الحصون في هذه الأوقات يقومون باختيار موقع مسطح أو منبسط ثم يقومون بتقويته عن طريق فنون التحصين.

ولهذا الغرض، فإن العناية الأولى يجب أن تكون بتحصين حوائط القلاع عن طريق استخدام الزوايا، والحصون، والغرف الصغيرة في سمك جدار القلعة والتي يمكن عن طريقها إطلاق النيران، وأنصاف الأقمار، وأعمال التحصين الخارجية من وجهين يشكلان زاوية بارزة يتم تشكيلها خارج الخندق وأمام الحاجز، بحيث لا يمكن للعدو الاقتراب منها دون أن تتم مهاجمته من قبل كل من الجبهة والجناح. وإذا بنيت جدران عالية جدًّا، فإنها سوف تكون معرضة كثيرا جدًّا للمدفعية، وإذا تم بناء الجدران منخفضة جدًّا، فإنها يمكن أن يتم تسلقها بسهولة، وإذا قمت بحفر الخنادق خارج الجدران من أجل جعل تسلقها أكثر صعوبة فمن الممكن أن يردمها العدو ويملأها (وهو الأمر الذي يمكن إن يتم بسهولة من خلال جيش ضخم أو كبير العدد) وسوف ينتصر العدو في التو ويسيطر عليها.

لذلك، في رأيي، فإن أفضل طريقة لمنع حدوث ذلك هو بناء جدران عالية وحفر خندق في الداخل بدلا من الخارج، وهذه هي الطريقة الأقوى في تحصين المدن ليس فقط لأنها تغطي الجيش المحاصر من نيران المدفعية لكنها أيضًا تجعل من تسلق الجدران أو عبور الخندق أمرا صعبا للغاية. أما الجدران الخاصة بك يجب أن تكون مرتفعة وسمكها يكون ياردتين من أجل الصمود أمام نيران العدو وأيضا يجب أن يكون هناك أبراج على طول الحائط وتكون المسافة بين كل برج والآخر 400 قدم، والخندق في الداخل يجب ألا يكون عرضه أقل من 60 قدمًا وعمقه 24 قدمًا، ويجب وضع كل التراب الذي يخرج من حَفر الخندق على الجانب بجوار المدينة يدعمه حائط يتم بناؤه في الخندق ويتحمل ثقل رجل على سطحه وهذا سوف يجعل الخندق أكثر عمقا، وفي قاع الخندق أود أن أقوم بعمل الغرف الصغيرة (كيسميتس) تبعد حوالي 400 قدم عن بعضها البعض من أجل إشعال النار في من يريد أن ينزل إلى الخندق.

أما المدفعية الثقيلة التي تستخدم من أجل الدفاع عن المدينة يجب أن يتم وضعها على داخل الجدران التي تدعم الخندق، وحيث إن الجدار الآخر يجب أن يكون عاليا جدًّا فإنك لن تستطيع استخدام قطع كبيرة جدًّا بدون صعوبات كبيرة وعقبات، وإذا حاول العدو التسلق، فإن ارتفاع الجدار الأول سوف يحميك، وإذا قام بقصفك بالمدفعية فإنه يجب عليه أولا أن يُسقط هذا الجدار، ولكن بمجرد إسقاط هذا الجدار (حيث إن الجدار يسقط بالاتجاه الذي قصف منه وحيث أن أنقاضه لا يكون لها خندق أو حفرة لكي تسقط فيه) فإن الأنقاض الخارجية يجب بطبيعة الحال أن تضيف إلى عمق الخندق خلف العدو لذلك، فإنه لا يستطيع التقدم بسهولة إلى أبعد من ذلك لأنه تم إيقافه هناك ليس فقط عن طريق تلك الأنقاض ولكن أيضًا عن طريق كل من الخندق الموجود بداخل الجدران والمدفعية المزروعة على الجانب الآخر من هذا الخندق.

والطريقة أو الوسيلة الوحيدة التي تكون أمام العدو في مثل هذه المناسبات هو ردم ذلك الخندق، وهذا أمر صعب للغاية بسبب الاتساع الكبير والعمق الكبير لهذا الخندق، وخطر الاقتراب من الحصون والمعاقل الأخرى المحيطة به، وخطر القيام بالتسلق عبر الأنقاض مع عبء السلالم الخشبية والأشياء المحمولة على ظهور رجال هذا الجيش، لذلك فإنني أعتقد أن مدينة محصنة بهذه الطريقة يمكن أنْ تعتبر منيعة.

باتيستا:هل تعتقد أن المدينة يمكن أن تكون أقوى إذا كان هناك خندق خارج الأسوار؟

فابريزيو: بكل تأكيد، لكني أقصد إذا كان من اللازم أن يكون هناك خندق واحد فإنه يجب أن يكون في الداخل.

باتيستا: هل تفضل اختيار أن يكون لديك مياه في الخنادق، أم أنك تفضل أن تكون الخنادق جافة؟

فابريزيو: يختلف الناس في آرائهم فيما يخص هذا الأمر، لأن الخنادق الممتلئة بالمياه تحميك من خطر الألغام، والخنادق الغير ممتلئة بالمياه من الصعب ردمها واجتيازها، ولكن في المجمل فإنني أفضل الخنادق الجافة، لأنها أكثر أمانا من النوع الآخر، لأن الخنادق الممتلئة بالمياه أحيانا ما تتجمد في فصل الشتاء ومن هنا فإن المدن التي تستخدمها يتم الاستيلاء عليها بدون صعوبة كبيرة (كما حدث لمدينة ميراندولا Mirandola مدينة الشمس الخافتة) عندما قام البابا يوليوس بمحاصرتها، ولكن من أجل حمايتها من الألغام، فإنني سوف أجعل خنادقي عميقة جدًّا بحيث إذا حاول أي شخص العبث فيها فإنه سوف يتم منعه عن طريق المياه.

كما أنني أود أيضًا أن أقوم ببناء قلعة أو أي نوع من أنواع الحصون، من نفس نوع الأسوار والخنادق وهذا سوف يجعل من الصعب جدًّا إن لم يكن مستحيلا أن يتم

الاستيلاء عليها. ثانيا: إنني أود أن أقدم نصيحة لأولئك القائمين على الدفاع عن المدينة التي على وشك أن تُحاصَر بألا يسمحوا بتاتا بتشييد أو إقامة حصون أو غيرها للدفاع خارج الأسوار أو على مسافة قليلة من المدينة.

وأود أن أنصح أيضًا أولئك الذين يبنون القلاع بألا يجعلوا هناك أي مكان للتراجع يسمح فيه للذين تم حصارهم بأن يتراجعوا عندما يتم هدم الأسوار أو الاستيلاء عليها من قبل العدو. إن السبب وراء حذري الأول هو أن حاكم المدينة المُحاصَرة لا ينبغي أن يقوم بعمل أي شيء في بداية الحصار والذي من شأنه أن يقوم بالتحقير من سمعته وبسبب هذا الانتقاص من قدره فلن يتم الاهتمام بكل أوامره ويثبط عزيمة قوات الحامية.

ولكن الحال سوف يكون بمثل هذا الشكل دائما إذا قمت ببناء قلاع صغيرة خارج المدينة التي يجب عليك الدفاع عنها، لأن هذا الحصون بكل تأكيد سوف تقع في أيدي العدو، وفي هذه الحالة فإنه من الصعب أن تحافظ على مثل هذه الأماكن أمام قطار المدفعية، وبالتالي فإن خسارة هذه الحصون سوف تكون هي خسارة لسمعتك ومن المحتمل خسارة المدينة نفسها.

عندما قام (جينوزى Genoese) بالتمرد ضد لويس الثاني عشر ملك فرنسا، قاموا ببناء بعض الحصون والمتاريس البسيطة المشتتة أعلى التلال الواقعة حول مدينة جنوه، وهذه الحصون قد تم إسقاطها في الحال عن طريق الفرنسيين وتسبب هذا في سقوط المدينة بالكامل.

أما الجزء الثاني من النصائح المتعلقة بالحصون، فإنني أقول أن لا شيء بمقدوره أن يُعرض الحصن للخطر الكبير أكثر من وجود أماكن لتتراجع إليها الحامية عندما يتم الضغط عليها بشدة، إلا إذا كان التراجع من أجل إيجاد مكان آمن يقومون فيه

بالاستعداد مرة أخرى بكل عناد وعزم وتصميم من أجل الدفاع عن المكان الذي تخلوا عنه وهو الحصن الأول، ولو سقط هذا أيضًا فإن كل المواقع الباقية سوف تسقط في يد العدو في التو والحال.

وفيما يتعلق بهذا فإننا لدينا مثال أخير ولا ينسى وهو فقدان القلعة في (فورلي Forli)[1] عندما تمت محاصرة الكونتيسة كاترينا عن طريق قيصر بوروجيا ابن البابا الكسندر السادس على رأس جيش فرنسي.

وهذه القلعة كانت مليئة بمثل هذه الأماكن من أجل التراجع والتي يمكن أن تتراجع الحامية من أحدها إلى الآخر والخروج من أحدها إلى الآخر على التوالي: أولا كانت توجد القلعة، وثانيا كان يوجد الحصن حيث كان يفصله عن القلعة خندق عليه جسر قد يمر من فوقه من مكان إلى الآخر، وفي هذه الحصن كان هناك ثلاثة أقسام منفصلة عن بعضها البعض عن طريق خنادق ممتلئة بالمياه ويوجد فوقها جسور متحركة، وبالتالي فإن الدوق قام بعمل ثغرة أو كسر في أحد جدران هذه الأقسام عن طريق المدفعية، وبدلا من أن يقوم (جيوفانني دا كاسالي Giovanni da Casale) والذي كان الحاكم وقتها، بالدفاع عن هذا الصدع أو الثغرة، قام بالتراجع إلى قسم آخر وبالتالي فإن قوات الدوق دخلت في الحال لهذا الجزء بدون معارضة واستولت على الجسور المتحركة ثم استولوا على كل الأماكن الباقية.

وفقدان هذا الحصن والذي كان يُعتقد أنه منيع نتج عن خطأين: الأول هو وجود أماكن من أجل التراجع بسهولة، والثاني عدم امتلاك أي من تلك الأماكن القادرة على التحكم في جسور الحصن. لذلك فإن سوء بناء القلعة ونقص الحكمة بين الحامية تسبب في هزيمة التصميم والعزيمة التي لا تلين وكذلك رحابة التفكير للكونتيسة كاترينا والتي كان لديها الشجاعة أن تنتظر الجيش هناك، والذي لا ملك

---

1. مدينة فورلي تشتهر بالزراعة الآن لبعض المحاصيل - المترجم إلى العربية.

نابولي ولا دوق ميلان كان لديهما الجرأة لهذا، وعلى الرغم من أن جهودها لم تُكلل بالنجاح، فإنها نالت المجد بسبب هذا الموقف وهذا واضح في العديد من الأشعار المكتوبة في مدحها فيما يخص تلك المناسبة.

وإذا كان لي أن أقوم ببناء قلعة، فإنني أود أن أجعل جدرانها قوية جدًّا وأن أقوم بتحصينها عن طريق الخنادق التي ذكرتها للتو. ولكني لا أود أن يكون لدي أية أماكن للتراجع ولا أي شيء آخر بالداخل سوى المنازل، وتلك المنازل أيضًا يجب أن تكون منخفضة جدًّا بحيث يمكن للحاكم في الوسط أن يرى كل جزء من الجدران في لمحة واحدة، ويمكن أن يعرف أين ترسل الإغاثة على الفور عند الضرورة، وكذلك الحامية يجب إقناعهم بأنه ليس لديهم ملجأ آخر يذهبون إليه، وإذا كان ينبغي بأية وسيلة أن يتم التراجع، فيجب أن نبني أماكن للتراجع حتى يكون كل واحد منهم قادرا على قيادة الجسر المتحرك الخاص به والذي ينبغي أن أقوم ببنائه في منتصف هذه الخنادق التي تفصل بعضها عن البعض.

باتيستا: لقد قلت إن الحصون الصغيرة ليست دفاعية في مثل هذه الأوقات، لكن، إذا لم أكن مخطأ، فإنني سمعت تأكيدًا آخر على أنه على قدر ما كان صغر الحصن، كان الدفاع عنه أفضل.

فابريزيو: هذه التأكيدات لا ترتكز على أي أساس، لأنه لا يوجد مكان يمكن أن يطلق عليه أنه قوي الآن حيث يمكن للمحاصرين أن يجدوا فيه مكانا لتأمين أنفسهم من خلال فتح خنادق أخرى وأسوار أخرى عندما يكون العدو قد استولى على المكان الأول، ولأن قوة المدفعية شديدة لدرجة أن من يعتمد فقط على سور واحد أو خندق واحد سوف يكون لديه مبرر قوى للبكاء على أخطائه لأنه سوف يؤدي بنفسه إلى التهلكة.

وبسبب أن الحصون والمعاقل (طالما أنها لم تتعد الأبعاد والحجم المعتاد حينئذ يمكن اعتبارها حصونًا وقلاعًا معتمدة) لا يوجد فيها مساحة من أجل إقامة مباني جديدة فيها، فمن المؤكد أن يتم الاستيلاء عليها في الحال عندما ينقض الأعداء عليها، وبالتالي، فمن الأفضل ألا نقوم فقط ببناء مثل هذه الحصون على مسافة من المدينة، ولكن أيضًا من أجل تحصين مدخلها وتغطية البوابات عن طريق الحصون المثلثة التي تقام أمام الحصن بحيث لا يمكن لأي شخص أن يدخل أو يخرج منها في خط مستقيم، بالإضافة إلى هذا فإنه يجب أن يكون هناك خندق بين الحصن المثلث والبوابة مع وجود جسور متحركة فوقها، كما أنه من الأفضل أيضًا أن يكون لديك مشبك حديدي في كل بوابة من أجل إبعاد رجالك بعد أن يقوموا بالتراجع وكذلك إعاقة العدو من الدخول معهم إذا كان ينبغي متابعتهم. وهذا هو السبب في اختراع البوابة الحديدية المعلقة ذات الأسنان المدببة، والتي كان يسميها القدماء كاتركتا (cataractae). وفي مثل هذه المناسبات، لا يمكنك أن تحصل على أية فائدة سواء من الجسر المتحرك أو البوابة نفسها حيث إن كلًا منهما سوف يكون مزدحما بالرجال.

باتيستا: لقد رأيت (portcullises)[1] في ألمانيا مصنوع من قضبان خشبية في شكل حاجز حديدي، ولكن كل المستخدمين في إيطاليا حاليا مصنوعة كلها من ألواح، ما هو سبب هذا الاختلاف؟ وأي منها يكون أكثر فائدة؟

فابريزيو: مجددا، يجب أن أخبرك بأن تقاليد الجيوش القديمة ومؤسساتهم العسكرية قد ألغيت تقريبا في كل جزء من العالم، لكن في إيطاليا يبدو أنها قد انقرضت تماما، وإذا كان لدينا أي شيء جيد لكي نتباهى به، هو بالتأكيد المستعار من أولئك خلف جبال الألب، لابد أنك سمعت، وربما بعضًا من الأصدقاء يتذكر،

1. الباب الحديدي ذو الأسنان المدببة من الأسفل ويرشق في الأرض عند إغلاقه - المترجم إلى العربية.

كيف اعتدنا بأسلوب ضعيف واهٍ أن نحصِّن قلاعنا قبل أن يأتي الملك شارل الثامن ملك فرنسا إلى إيطاليا في عام 1494.

الفواصل أو المساحات بين أعلى الأسوار لم يكن سمكها أكثر من قدم، والمساحات نفسها كانت ضيقة جدًّا من الخارج وواسعة جدًّا من الداخل، مع العديد من العيوب الأخرى التي سيكون من الممل جدًّا أن نقوم بتعدادها، لأنه عندما يتم عمل هذه الفواصل بأسلوب ضعيف جدًّا، فإنها يمكن أن تضرب باستمرار، وتكون الفتحات بين أعلى الأسوار متاحة هي الأخرى، ولكن الآن لقد تعلمنا من الفرنسيين كيفية عمل هذه (The merlons) المسافات البينية بصورة قوية وأن تكون كبيرة، وعلى الرغم من أن المسافات أعلى الأسوار لا تزال واسعة من الداخل ويزداد الضيق أكثر فأكثر بالاتجاه نحو السور فإن المدفعية والرجال لا يمكنهم بسهولة البروز خارج أسوار القلعة (هذه المسافات بعد ذلك قد اتسعت من ناحية الخارج) .

إن الفرنسيين لديهم العديد من التحسينات والاختراعات الأخرى التي لم يرها جنودنا وبالتالي لا يمكن تقليدها، ومن بين هذه أود أن أذكر (portcullises) الأبواب التي تحدثت عنها أنت للتو فقد تمت صناعتها على شكل حاجز حديدي به فتحات كالقضبان وهي أفضل بكثير من تلك التي تخصنا. إذا كنت تستخدم واحدة مصنوعة من لوح كامل من أجل الدفاع عن البوابة، فعندما تتركها تنغلق أو تنزل للأسفل فإنك سوف تلقي بنفسك في ضيق ولن تستطيع أن تزعج العدو من خلالها، لذلك فهو من الممكن أن يقوم بضربها بالفؤوس أو يقوم بإشعال النار بها دون أي خطر ولكن إذا تمت صناعتها مثل تلك البوابات التي بها فتحات مثل القضبان فإنك من الممكن أن تقوم بالدفاع عنها بسهولة ضد الأعداء إما عن طريق الأسنان المدببة التي تخرج منها أو عن طريق إطلاق النيران من خلال الفجوات الموجودة بين القضبان.

باتيستا: لقد لاحظت اختراع آخر من ما وراء جبال الألب والتي تم تقليده في إيطاليا مؤخرا: وهي صنع المكابح أو الأسلاك الموجودة في العجلات الخاصة بعربات المدفعية منحدرة من الحافة الخارجية وحتى المركز، الآن أود كثيرا أن أعرف السبب في ذلك لأنني دائما أعتقد أنّ النوع المستقيم من هذه أقوى من أي نوع آخر.

فابريزيو: يجب عليك ألا تنظر لهذا الانحراف عن العرف المعتاد على أنه تأثير التقلب في الرأي أو نزوة أو من أجل الزخرفة حيث إن القوة تعتبر ضرورة قصوى ويجب أن تعطى اعتبارا قليلا للشكل الجمالي.

إذنْ، فإن السبب الحقيقي لما قمت بملاحظته أنت هو أن مثل هذه العجلات أكثر أمانا وقوة من عجلاتنا، حيث إنه عندما يتم تحميل العربة فإنه يحدث إما أن تكونْ مستوية ومتوازنة أو مائلة إلى أحد الأجناب، وعندما تكون متوازنة فان كلا من العجلتين تتحمل نفس الوزن ولا تكون مثقلة به ولكن عندما تكون مائلة إلى أحد الجانبين فإن الوزن الكلى يقع بشكل كامل على إحدى العجلتين. وبالتالي إذا كانت أسلاك أو مكابح العربة مستقيمة فإنها سوف تنكسر في أقرب وقت لأنه عندما يحدث وتثنى العجلات فإن مكابح العربة أيضًا سوف تنثني ولا يمكن أن تتحمل الوزنْ الذي يضغط عليها. لذلك فإن صناعة مكابح العربة هذه الخاصة بالعجلات تنثني في اتجاه نقطة الوصل في العجلة، كما قال الفرنسيون مباشرة في حكمهم على هذا: عندما تنثني العربة إلى أحد الأجناب ويميل الحمل عليها، فبدلا من الميل، فإن الحمل سوف يكون في خط مستقيم مع العجلات وبالتالي فإنها سوف تكون أكثر قدرة على تحمل الثقل بأكمله مقارنة بتلك التي كانت تحمل نصف الحمل عندما كان يتم النقل.

ولكن بالعَودة لمدننا وحصوننا. إن الفرنسيين لازال لديهم طريقة أخرى لتأمين

بوابات مدنهم والسماح لرجالهم بالدخول والخروج منها بسهولة أكبر وبالأخص عندما تتم محاصرتهم (إنني لم أر واحدة منها تطبق في إيطاليا حتى الآن)، فهم يشيدون ويقيمون كومتين أو عمودين متعامدين في نهاية الجسر المتحرك على السطح الخارجي للخندق، وفوق كل من هذه يقومون بتثبيت مجموعة من الدعامات المثبتة بصورة متوازنة بحيث نصفها يخيم على الجسر المعلق والآخر خارجه، وتلك الأجزاء المعلقة بالخارج يتم ربطها مع بعضها مثل العارضة وفي نهاية كل دعامة متصلة بالجسر يقومون بتعليق سلسلة ويقومون بربطها في الجسر بحيث عندما ينوون غلق هذا الجزء من الجسر يقوموا بإرخاء السلاسل ويسمحون للحاجز الحديدي بالنزول والعكس عندما يريدون فتحه فإنهم يرفعون السلاسل مرة أخرى، وبالتالي، فإنها يمكن رفعها لمثل هذا الارتفاع الذي يسمح فقط للمشاة أو الفرسان أن يمروا من تحته إذا لزم الأمر، أو يقومون بإغلاق الممر بإحكام بحيث لا يمكن لأي شخص على الإطلاق أن يمر من أسفله. هذا وأنتهز الفرصة في أن أقول إن هذا الاختراع أفضل من المشبك الحديدي لأن الحاجز الحديدي لا يقع عموديا مثل المشبك، وبالتالي فإنه ليس من المرجح أن تتم عرقلته من قبل العدو.

ذلك وأن من يريد أن يقوم بتحصين مدينته بصورة صحيحة فإنه يجب أن يراعي هذه التوجيهات، بالإضافة إلى هذه التوجيهات، فإنهم لا يجب السماح لأي أرض بأن يتم زراعتها ولا يتم بناء المباني عليها إلا إذا كانت بعيدة عن المدينة بما لا يقل عن ميل على الأقل، وكل البلدة من حولها تنبغي أن تكون مكشوفة ومفتوحة، وخالية من الغابات أو المزارع أو المنازل والتي يمكن أن تعرقل رؤية المحاصرين وتكون بمثابة مأوى للعدو في طريقه للحصار. تذكر أيضًا أن المدن التي تكون خنادقها لديها ضفاف أعلى من سطح الأرض أو تكون خارج المدينة يمكن اعتبارها مدنًا ضعيفةً جدًّا وبدلا من أن تقدم لك أي شيء جيد، فإنها سوف

تخدم العدو فقط حيث تقوم بتغطية العدو وإخفاء ضربات المدفعية الخاصة به ولكن الآن دعنا نمضي قدما لكي نوضح ما يجب أن يتم داخل مدينة محصنة من أجل تحصينها بقدر أكبر ضد أي عدو.

لن أتعدى وأتجاوز كثيرا على وقتك وصبرك بحيث أقول لك إنه بجانب هذه التوجيهات التي أخذتها بالفعل، فإنه من الضرورة القصوى أن يتم تزويد الحامية بصورة جيدة بالذخيرة والإمدادات لأن كل شخص ينبغي أن يعرف هذا، ومن الواضح أنه بدون مثل هذه المخازن فإن كل الاحتياطات الأخرى والإعدادات الأخرى لن يكون لها جدوى. وبشكل عام، يجب أن أقول إن هناك نوعين من القواعد التي ينبغي ألا تنسى في مثل هذه الحالات، الأولى: هي أن تقوم بتزويد نفسك بأي شيء تعتقد أنك من الممكن أن تحتاجه، والثانية: حرمان العدو من أن يفيد نفسه عن طريق أي شيء يكون ذا نفع في البلاد المحيطة بك، وبالتالي، إذا كان هناك علف أو ماشية أو أي شيء آخر لا يمكنك حمله للمدينة، فإنه ينبغي عليك أن تقوم بتدميره بكل الطرق.

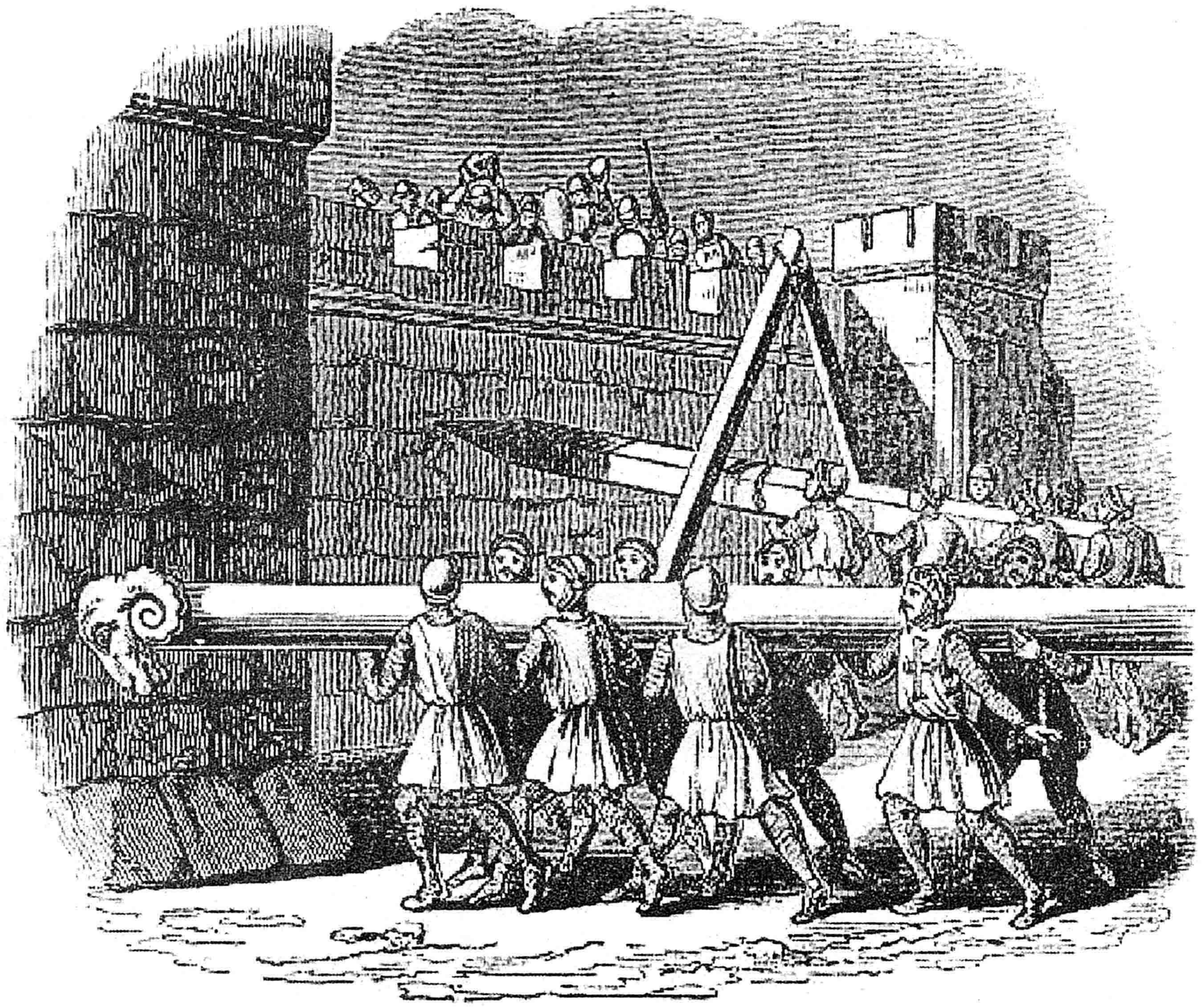
كما يجب عليك أيضًا أن تأخذ حذرك بألا يتم القيام بأي شيء بطريقة مضطربة أو غير منضبطة، وبأن كل رجل يعرف مكانه وأي جزء يجب عليه العمل فيه في أي مناسبة معينة. وبالتالي، فإنه من الضرورة القصوى أن تقوم بإعطاء أوامر صارمة بأن كل الرجال العجائز والأطفال والنساء والمرضى يجب أن يمكثوا في بيوتهم من أجل أن يفسحوا المجال لأي ممر واضح لأولئك الشباب والجاهزين بدنيا للعمل والحركة، ولكي تكون جاهزا لأي شيء طارئ ومفاجئ، فإن بعضًا من هؤلاء يجب أن يكونوا حاملين للسلاح على الأسوار والبعض الآخر على البوابات والبعض الآخر يظل في المناطق الرئيسية في المدينة.

ويجب أن يكون هناك جماعات خاصة أيضًا والتي يجب ألا تكون مقتصرة على موقع محدد، ولكن يتم تعيين هذه المجموعات من أجل تقديم الدعم لأية منطقة يجب أن تتم مساعدتها، وعندما يتم القيام بهذا التوزيع، فإنه من المستحيل أن تحدث أية اضطرابات قد تلقي بك في الحيرة والارتباك.

هناك شيء آخر يجب تذكره في كل من الحصار والدفاع عن البلدة: لا شيء يشجع العدو بقدر معرفته بأن المدينة لم تعتدْ على الحصار، حيث إنه غالبا ما يحدث أنْ يتم فقدان الدولة فقط عن طريق الخوف، دون الحاجة للانتظار لحدوث اعتداء.

لذلك، يجب أن يسعى المحاصرون إلى إظهار أنفسهم أقوياء وهائلين بقدر الإمكان ويقوموا باستغلال كل فرصة للتفاخر بمدى قوتهم، من ناحية أخرى، يجب على من تتم محاصرتهم أنْ يقوموا بوضع أشجع رجالهم في المواقع التي تتم بها مهاجمتهم بشراسة، الرجال الذين لا يتم خداعهم بالمظاهر، ولا يتم تحريكهم من مواقعهم إلا بقوة السلاح المباشر، حيث إنه إذا فشل العدو في المحاولة الأولى، سيكتسب من تتم محاصرتهم الشجاعة، وسيضطر العدو إلى اللجوء إلى أساليب أخرى، بعد إدراكه أنهم لم يفزعوا من المظهر فقط.

هناك العديد من الأدوات التي استخدمها القدماء في الدفاع عن المدينة، وكان أهمها السهام والأحجار الضخمة التي يتم إلقاؤها بقوة هائلة لمسافات كبيرة، استخدموا أيضًا العديد من الأدوات أثناء حصارهم لأية مدينة مثل المدق أو رأس الكبش (the battering ram, the tortoise)، وغيرها الكثير. أما اليوم فيتم استخدام البنادق الكبيرة سواء من قبل المحاصرين أو من يتم محاصرتهم. ولكن دعونا نرجع إلى موضوعنا.



وبالتالي، يجب على حاكم المدينة أخذ الاحتياطات المناسبة لكي لا يُفاجَأ بمجاعة أو هجمات تؤدى إلى هزيمته. بالنسبة للمجاعة، كما أخبرتك من قبل يجب وضع مخزون وفير من المؤن والذخيرة قبل بدء الحصار، ولكن إذا طال الحصار أكثر من اللازم، ونفد هذا المخزون في نهاية المطاف، فيجب عليه إذن استنباط بعض الطرق الغير اعتيادية كشراء المؤن من أصدقائه وحلفائه، خاصة إن وجد نهر داخل البلدة، كما فعل سكان (كاسيلينوم Casilinum) من الرومان. عندما حوصرت تلك البلدة بإحكام من قبل هانيبال أو حنبعل لدرجة أنهم لم يستطيعوا إرسال أي نوع آخر من الطعام، قام السكان بإلقاء كميات كبيرة من الجوز في النهر الذي يمر عبر مدينتهم، وقد حمل التيار هذا الجوز، بدون علم العدو، وزُود من تم محاصرتهم بالطعام لمدة

طويلة. قام بعض سكان المدن التي تم محاصرتها لجعل العدو ييأس من هزيمتهم بالمجاعة، إما بإلقاء كمية كبيرة من الخبز من فوق جدرانهم، أو بجعل ثور يلتهم الذرة ثم توجيهه للوقوع في أيدي العدو بحيث عندما يقوم العدو بقتله ويجد أن معدته مليئة بالذرة، فيتصور بأن لديهم وفرة منه داخل البلدة.

من ناحية أخرى، استخدم بعض القادة الكبار العديد من الحيل والأساليب لتدمير البلدة. سمح فابيوس ماكسيموس لأهل كامبنيون بزراعة حقولهم قبل محاصرة مدينتهم لكي يقوموا بتقليل متاجرهم، عندما وصل (ديونيسيوس Dionysius) قبل (ريجيوم Rhegium)، عرض على الشعب شروط للإقامة، من خلال معاهدة فرضها عليهم لتزويده بكمية كبيرة من المؤن، ولكن بمجرد ما أنقص مخزونهم وزاد مخزونه، قام على الفور بسد البلدة بإحكام شديد من جميع الجوانب وسرعان ما أجبرهم على الاستسلام.

قام الإسكندر الأكبر -لحرصه على احتلال (لوساديا Leucadia)- أولا سيطر على كل البلدان المجاورة وقام بتوجيه كل السكان إلى لوساديا، وفي نهاية المطاف امتلأت البلدة بالسكان، وقام على الفور بتخفيض عددهم بالمجاعة.

بالنسبة للهجوم أو الاعتداءات، فقد أخبرتك من قبل أن الأهمية القصوى تكمن في صد الهجمة الأولى، لقد سيطر الرومان على العديد من المدن عن طريق الهجمات المفاجئة عليهم من كل جانب، وأطلقوا عليها اسم هجوم الضرب من كل جانب (aggredi urbem corona)، كما فعل (سكيبيو Scipio) حين سيطر على قرطاج الجديدة في أسبانيا.

وبالتالي، إن تم تحمل مثل هذا الاعتداء، سيجد العدو بعد ذلك أن مواصلة النجاح مسألة صعبة، سوف يدخل العدو البلدة بعد دفعه للجدار، سوف يجد

السكان بعض سبل الإنصاف، إن لم يتم التخلي عنهم، حتى في هذه الحالة، فكثيرا ما حدث أن تم طرد المغيرين مرة أخرى أو قتلهم، خاصة عند حصول السكان على نوافذ عالية أو قمم منازل وأبراج وقاموا بمحاربتهم من هناك. لمنع هذا، عادة ما يقوم المهاجمون بفتح البوابات لإفساح المجال للآخرين للهروب بأمان، أو إعطاء أوامر -بصوت عالٍ بما يكفى ليسمعها الجميع - بعدم إيذاء أي أحد إلا المُسلحين وعدم مهاجمة من يقوم بتسليم سلاحه. كان هذا ذا فائدة كبيرة في الكثير من الأحيان في مثل تلك المناسبات.

إنها أيضًا مسألة سهلة أن تقوم بالسيطرة على بلدة إن هجمت عليها بطريقة مفاجئة وغير متوقعة، وحتى إن كنت على مسافة بعيدة منها مع جيشك، فلا تعتقد أن السكان سيرتابون بأن لديك مثل هذه النية، أو يمكنك مهاجمتهم دون أن يكون لديهم مهلة كافية لمعرفة مدى اقترابك. وبالتالي، إن كان في استطاعتك القيام بمسيرة طويلة وسريعة أو مسيرتين وتهجم عليها على حين غرة، فتصبح شبه متأكد من النجاح.

سأتغاضى طواعية في صمت عن بعض الإجراءات التي حدثت في عصرنا، لأنه من غير المُستحب أن أتحدث عن نفسي وعن أعمالي البطولية، وأنا حقا لا أعرف ماذا أقول بحق الآخرين. ومع ذلك، لا يسعني إلا اقتراح، في هذا الصدد، مثال قيصر بورجيا، عادة ما يسمى دوق فالنتين، باعتباره واحدا يستحق التقليد، عندما استلقى مع جيشه في نوشيرا واختلق هجومًا على كاميرينو، وقام فجأة بغزو دوقية أوربينو وفي يوم واحد غزا الدولة بأكملها دون أية صعوبة، رجل آخر لم يكن ليضعفها دون إضاعة الكثير من المال والوقت عليها.

وبالمثل، يتوجب على من يتم محاصرتهم الحذر من حيل وخدع العدو، ولذلك، يجب عليهم ألا ينخدعوا بالمظاهر - مهما كانت معتادة ومألوفة بالنسبة لهم -

ويشتبهون بأن هناك بعض الأذى الكامن وراء ذلك. فرض (دوميتيوس كالفينوس Domitius Calvinus) الحصار على بلدة واعتاد مع جزء كبير من جيشه السير حولها كل يوم، ومن هنا بدأ المحاصرون في التخيل بأنه فعل ذلك كنوع من التدريب فبدأوا يهملون في حراستهم، وعندما رأى دوميتيوس هذا، قام بالهجوم على المدينة وهزمها.

بعض القادة والجنرالات الذين كان لديهم ذكاء شديد كانوا يقومون بمسيرة بالقوات مبتعدين لكي يخففوا الحصار عن المكان، ثم يقوموا بجعل مجموعة من جنودهم يرتدون زى العدو ويمدوهم بنفس الأعلام، وعند وصولهم للبلدة، يقوموا بغزوها وفتحها على الفور.

قام الأثيني (سيمون Cimon) ذات ليلة بإشعال النار في معبد يقع على خارج أبواب المدينة التي كانوا ينون مفاجأتها، عندئذ، ركض كل الناس منها لإخماد النيران تاركين المدينة لتقع في أيدي العدو. قام آخرون، بعد مقابلتهم ببعض العلافين الذين أرسلوا من خارج القلعة، بقتلهم جميعا وجعل بعض الرجال خاصتهم يتنكرون في أزيائهم، لاحقا، قام هؤلاء الرجال بتسليم المكان لهم.

إلى جانب هذه الحِيَلِ، استخدم القدامى طرقًا أخرى لجذب الحامية العسكرية للبلدة التي أرادوا الاستيلاء عليها خارج المدينة. عندما قاد (سكيبيو أو شيبيو) الجيوش الرومانية في أفريقيا، كان حريصا جدًّا على الاستيلاء على بعض المعاقل التي تم تحصينها جيدًّا من قبل القرطاجيين. لتحقيق ذلك، قام باختلاق هجمات عليهم، ولكن سرعان ما توقف وقام بالسير مرة أخرى مبتعدا لمسافة كبيرة، كما لو كان خائفا من العدو. وبالتالي، قام هانيبال على الفور مخدوعا بالمظاهر، بتوجيه الحاميات خارج معاقلهم من أجل ملاحقته بقوة أكبر وبآمال أكبر للقضاء عليه، ولكن عندما علم (سكيبيو) بذلك، قام بإرسال ملازمه (ماسينيسا Masinissa)، ليقوم بأسرهم.

قام (بيروس Pyrrhus) بحصار عاصمة (ايليرياIllyria) - (سلافونيا Slavonia) الآن - حيث كانت هناك حامية قوية جدًّا، ثم متظاهرا باليأس من السيطرة عليها، وجه سلاحه ضد مدن أخرى غير محمية بشكل جيد، فأجبر العدو على توجيه الجزء الأكبر من الحامية خارج العاصمة للتخفيف عن هذه المدن، ثم عاد فجأة إلى هناك برفقة جيشه، واستولى على العاصمة دون أية صعوبة.

قام بعض الجنرالات بتسميم الآبار والينابيع وتحويل مجرى الأنهار ليستولوا على المدن، ولكنهم لم ينجحوا دائما في القيام بهذا. لقد سعى آخرون لإفزاع السكان من خلال نشر خبر أنهم حصلوا مؤخرا على مزايا كبيرة، ويتوقعون يوميا تعزيزات قوية. جعل البعض أنفسهم سادة على مدن من خلال إقامة مراسلات سرية، وإفساد مجموعة من السكان، لقد استخدموا عدة أساليب مختلفة للقيام بذلك.

قام آخرون بإرسال واحد من قادتهم الموثوق فيه بينهم، تحت ذريعة الفرار، وقام هو باكتساب ثناء كبير وثقة بالمدينة وقام بعد ذلك بخيانتها عن طريق إعطاء معلومات لصديقه عن كيفية وضع الحراس، من خلال منع بوابة - مفتوحة لبعض المناسبات كنقل عربة - من أن يتم إغلاقها مرة أخرى، أو عن طريق الوسائل الأخرى لتسهيل دخول العدو إلى المدينة.

أقنع هانيبال أو حنبعل ضابطا بخيانة حامية تابعة للرومان، اضطر الضابط للذهاب إلى الصيد ليلا تحت ذريعة أنه لا يتجرأ على القيام بذلك في النهار لئلا يتم أسره من العدو، عائدا قبل الصباح، افتعل أن كل شيء على ما يرام وأخذ معه العديد من رجال هانيبال متنكرين، قاموا على الفور بقتل الحراس وتسليم واحدة من البوابات إلى هانيبال.

تم الاستيلاء على بعض الدول عن طريق السماح لحاميتها بالقيام بهجمات مباغتة

على العدو ومن ثم تعقبهم إلى مسافات طويلة في حين أنهم يدعون أنهم يسبقونهم بسرعة، وبالتالي، يجدون أنفسهم واقعين في كمين وقطع طريق.

لقد قام العديد من الجنرالات، ومن ضمنهم هانيبال، بعد السماح للعدو الذي تم محاصرته بالحصول على معسكرهم من أجل وضع أنفسهم بينهم وبين المدينة ويمنعون قيامهم بالانسحاب.

استفاد آخرون منهم من خلال التظاهر برفع الحصار، كما فعل الأثيني (فورميون Phormion)، بعد أن ظل كامنا لبعض الوقت قبل أن قامت المدينة الخلقدونية بتدمير جميع البلاد المحيطة بها، أرسل السكان سفراء قام هو باستقبالهم بكياسة، قام بإعطائهم الكثير من الوعود العادلة، التي جعلتهم يشعرون بالأمن، ثم رحل وسار بعيدا عن المدينة، ولكن حينما أصبحوا ضعفاء بما يكفي وكانوا يتصورون أنهم قد تخلصوا منه تماما وأنه تخلى تماما عن مهاجمتهم بوعوده القوية، قام بالعودة فجأة وانقض عليهم بينما لم يتوقعوا مثل هذه الزيارة، واستولى على المدينة على الفور.

يجب على سكان البلد التي يتم محاصرتها بالمثل أن يقوموا بتأمين أنفسهم بكل الوسائل ضد أي من سكان المدينة خاصتهم المشكوك في إخلاصهم، ولكن يمكنهم أحيانا اختبارهم بطريقة أكثر فاعلية من خلال حسن المعاملة عن المعاملة الشديدة والقاسية. عرف (مارسيلو Marcellus) أن (لوسيوس بانكيوس Lucius Bancius) من (نولا Nola) كان يميل إلى صالح هانيبال، ومع ذلك تعامل معه بالكثير من الكرم إلى درجة أنه بدلا من أن يكون عدوًا صار صديقا مقربا له.

يجب أيضًا -وعلى الأقل- أن يكونوا بنفس القدر من الاستعداد عندما يكون العدو على مسافة كما هو الحال عندما يكون بالقرب منهم، وأن يكونوا حذرين بشكل خاص في حماية تلك الأماكن حيث يعتقدون أنها الأقل تعرضا للخطر، لقد

تم فقدان العديد من الدول من خلال مهاجمتهم في جزء اعتقدوا انه الأكثر أمانا، السبب في ذلك إما أن هذا الجزء كان قويا جدًّا في حد ذاته لذلك تم إهماله، أو أن العدو قام بدهاء بإظهار اقتحام لجزء واحد مع العديد من الضجيج والتنبيه، بينما كان في الواقع يقوم بمهاجمة جزء آخر في نظام جيد وصمت.

لذا، يجب على من يتم محاصرته، قبل كل شيء، أن يعطى أقصى قدر من الأهمية دائما لحماية أسواره جيدا، ولكن خاصة في الليل، ليس فقط بتوزيع ونشر رجال هناك، ولكن أيضًا ينبغي عليهم وضع كلاب شرسة وذات حاسة شم قوية لتشتم أي عدو من على مسافة وتنذرهم بنباحها، لأن الكلاب، وكذلك الأوز، أحيانا ما قاموا بإنقاذ قلعة، كما قاموا بإنقاذ مبنى الكابيتول في روما حين تمت محاصرته من قبل الإغريق. عندما فرضت إسبرطة الحصار على أثينا أمر (السيبياديس Alcibiades) أنه كلما قام بإظهار ضوء أثناء الليل، على كل حارس أن يقوم بالمثل واضعا عقاب شديد في حالة الإهمال، عندما وجد الأثيني (ابيكراتس Iphicrates) حارسا نائما في موقعه، قام بقتله على الفور وقال إنه فقط تركه كما وجده.

لقد وجد البعض ممن تم محاصرتهم طرقًا مختلفة لنقل المعلومات لأصدقائهم، مثل كتابة خطابات مشفرة لهم، عندما لا يكون لديهم ثقة في الرسول لتوصيل الرسالة شفهية، وإخفاء الرسائل بطرق مختلفة، وقد وضعت طبيعة الرموز بطريقة متفق عليها مُسبقا من قبل الأطراف، وطرق إخفائها المختلفة.

كتب البعض ما أرادوا قوله في غمد السيف، ووضع البعض الآخر رسائله في الخبز، والذي قاموا بخبزه وإعطائه لحامله كطعام للطريق، وأخفاها غيرهم في مناطق خاصة بهم، وآخرون تحت طوق الكلب الخاص بالرسول، وقد كتب البعض رسائل حول الشؤون العادية وأدرجوا كلمات إضافية للغرض الرئيسي بمادة معينة والتي لن تظهر إلا بعد وضعها في الماء أو وضعها على النار.

وقد تم ممارسة هذا الأسلوب بدهاء شديد في عصرنا من قبل شخص مناسب لتوصيل سر لبعض أصدقائه المقيمين في دولة محاصرة وليس لديه الثقة في أي رسول، فيرسل الخطابات مكتوبة بالنمط المعتاد، ولكن بها بعض الكلمات الإضافية موضوعة بالطريقة التي ذكرتها: عندما يتم تعليقها على أبواب الكنائس هناك، يتم إنزالها وفهم محتواها تماما عن طريق من يعرفون من قام بإرسالها من خلال بعض العلامات المعينة، هذه طريقة جيدة للغاية، حيث إن من يحمل هذه الخطابات لا يمكنهم معرفة محتوياتهم السرية، ولا يوجد خطر إن تم اكتشافها من قبل العدو.

باختصار، هناك الآلاف من الطرق الأخرى لإخبار وتلقى المعلومات الاستخباراتية السرية والتي يمكن لأي رجل أن يخترعها بنفسه أو يتعلمها من الآخرين، لكنها مسألة أسهل بكثير أن يتم إرسال معلومات استخباراتية لمن يتم محاصرتهم داخل مدينة أكثر من إرسال المحاصرين معلومات لأي من أصدقائهم، لأنه لا يوجد شيء يتم تنفيذه من المدينة إلا عن طريق المتظاهرين بالفرار أو الفارين، هذه طريقة غير موثوق بها وخطِرة للغاية، خاصة إن كان العدو يقظًا وحذرًا. في حين، أن من يريدون إرسال الاستخبارات لن يفعلوا شيئًا ماعدا الدخول إلى معسكر العدو، والذي سيقومون به تقريبا تحت أية ذريعة، ويحصلون على فرصتهم للانزلاق من هناك إلى المدينة.

لكن دعونا الآن ننتقل إلى الطريقة الحالية لترميم والدفاع عن الثغرة في جدران المدينة. إن حدث وتم احتجازكم في مكان لا يوجد به خندق داخل الجدران، من أجل منع العدو من الدخول من الفجوات التي ربما تكون مصنوعة عن طريق مدفعيتهم، يجب عليك صنع خندق لا يقل عن 60 قدمًا عرضا وراء الجزء الذي يقومون منه بالهجوم، وردم الأرض التي تم بها الحفر في اتجاه البلدة لتشكيل ساتر ولإضافة عمق للخندق، يجب تنفيذ ذلك مع الاعتناء أنه عندما يتم هدم الجدار

إلى الأسفل، فإن الخندق لا يقل عن 10 أو 12 قدم عمقا. إنه من الضروري أيضًا -عندما يكون لديك الوقت- تطويق الخندق بمعصم في كل نهاية.

إن كان الجدار قويًّا بما فيه الكفاية للصمود حتى انتهاء هذه الأعمال، فستكون أقوى على هذا الجانب من أي جزء آخر بالمدينة، حيث إنه حينها سيكون لديك هناك خندق كامل من النوع الذي أوصيت به قبل قليل. ولكن إن كان الجدار ضعيفًا جدًّا لدرجة انه ليس لديك الوقت للقيام بكل هذا، يجب حينها أن تعتمد على رجالك وتبذلوا قصارى جهدكم للدفاع عن الخندق.

تم استخدام هذا الأسلوب من قبل أهل (Pisans)[1]، عندما فرض الفلورنتيون الحصار على مدينتهم، بالتأكيد تمكنوا من القيام بذلك، لأن جدرانهم كانت قوية كفاية لمنحهم الوقت الكافي، وكانت التربة المبنى عليها مدينتهم ملائمة للغاية لصنع الخنادق والأسوار، ولكن إن خذلهم أي من هاتين الوسيلتين، فحتما لم يكونوا ليتمكنوا من القيام بذلك.

ومع ذلك، من الأفضل كما قلت من قبل صنع هذه الخنادق داخل المدينة وحولها في الأوقات الجيدة، لأن حينها لن تكون خائفا من العدو، لقد استولى القدماء على مدينة أحيانا باستخدام ممرات تحت الأرض، قاموا بذلك إما من خلال العمل سرا في ممر تحت الأرض بمنتصف المكان وإدخال رجالهم بهذه الطريقة - كما فعل الرومان في (فيي Veii)، أو من خلال الحفر تحت الجدران ليتدحرجوا، الطريقة الأخيرة هي الأكثر شيوعا في الوقت الحالي، لهذا السبب تعتبر المدن الواقعة على الأماكن المرتفعة أضعف من غيرها، فهم أكثر عرضة للتضرر، عندما تتعرض للحفر تحت الأرض، إن امتلأت الممرات بالبارود وأعواد الثقاب المشتعلة الموضوعة على القطارات المؤدية إليهم، فأنهم لن يقوموا فقط بتفجير الجدران، ولكن ستشق الصخور التي تبنى هذه المدن فوقها وستمزق حصنا كاملا إلى أشلاء.

---

1. مدينة غرب إيطاليا على نهر أرنو - المترجم إلى العربية.

إن الطريقة لمنع حدوث ذلك هي البناء على سهل وجعل الخندق المحيط بحصنك عميقا جدًّا بحيث لا يمكن لعدو العمل تحته دون التعرض للماء - أفضل دفاع ضد الممرات. ولكن إن كنت في بلدة مقامة على صخر أو تل، فإن الحل الوحيد هو حفر العديد من الآبار العميقة على امتداد سفح الجدار بالداخل، قد يفيد هذا في الفرار من البارود عند انتشار اللغم. في الواقع، هناك وسيلة أخرى، وجيدة جدًّا أيضا: لمضادة ألغام العدو، يمكنك اكتشاف أماكن الألغام، ولكن هذه المسألة صعبة جدًّا، إن اعتنوا جيدًّا بإخفائها.

يجب على حاكم المدينة المُحاصرة أيضًا الحرص جيدًّا بحيث لا تحدث له مفاجأة عند استراحة أو سكون الحامية بعد الهجوم، أو عند استراحة الحراس - عادة في استراحة الصباح وعند الشفق في المساء، ولكن لاسيما في وقت تناولهم الطعام، في تلك الأوقات، فوجئت العديد من المدن بالكثير من المباغتات التي ثبتت أنها قاتلة وفتاكة بالمحاصرين، وبالتالي، فمن الضروري للغاية الإبقاء دائما على كلٍّ من حارس ثابت بكل جانب والجزء الأكبر من الحامية المسلحين.

شيء آخر يجب أن لا أنسى إخبارك عنه وهو أن الصعوبة الأساسية في الدفاع عن مدينة أو معسكر تنجم عن اضطرارك إلى تقسيم رجالك، حيث يمكن للعدو مهاجمتك بجميع قواته في آن واحد في أي وقت أو أي مكان يعتقد أنه مناسب، يجب عليك إبقاء حراسة دائمة في كل مكان بحيث عندما يقوم بمهاجمتك بكامل قوته، يمكنك الدفاع عن نفسك فقط بجزء خاص بك. المحاصرون أيضًا يقعون في الكثير من الأحيان تحت خطر التعرض للدمار التام دفعة واحدة، في حين أن الذين تتم محاصرتهم ليس لديهم ما يخشونه إلا الهزيمة، وبالتالي، فقد قام البعض من الذين تمت محاصرتهم إما في مدينة أو مخيم بالهجوم المفاجئ بكل قواتهم، على الرغم من أنهم كانوا أقل شأنا من العدو، وقاموا بتفريقهم تماما. هذا ما قام به مارشلليوس في نولا،

ويوليوس قيصر في بلاد الغال أرض الإغريق، هذا الأخير، تم مهاجمته في معسكره بجيش قوى جدًّا، ووجد أنه لن يكون قادرا على الدفاع عن نفسه ولا تحمل بطش العدو بكامل قوته لأنه كان مجبرا على تقسيم جيشه لحماية كل جزء في معسكره، فقام بفتح جانب واحد من الخندق على مصراعيه، مواجها بجميع رجاله في هذا الاتجاه فقام بشجاعة فائقة بهزيمة العدو تماما باذلا أقصى جهده في مثل هذه الطريقة.

وبالتالي، فإن ثبات ودقة من يتم محاصرتهم غالبا ما تتسبب باستياء وإرهاق المحاصرين. في الحروب بين بومبى وقيصر، عندما كانت جيوشهم موجودة بالقرب من بعضها البعض، وكان قيصر في حاجة ماسة إلى مؤن، تم إحضار قطعة من الخبز الذي كان رجال قيصر مجبرين على تناوله إلى بومبى، باكتشافه أنه مصنوع من الأعشاب، أصدر بومبى تعليمات صارمة بأن لا يرى أحد من جنوده هذا الخبز خشية من شعورهم بالرهبة من نوع العدو الواجب عليهم التعامل معه.

لم يفتخر الرومان في حربهم مع هانيبال بشيء أكثر من صلابتهم وثباتهم الغير مزعزع، فلم يتوسلوا للسلام ولم يظهروا أدنى إشارات الخوف، حتى في أسوأ ظروف حظهم. على العكس من ذلك، عندما كان هانيبال تقريبا على أبوابهم، قاموا ببيع الأرض التي قام بالتخييم عليها بسعر أكبر بكثير مما كانوا سيطلبونه في أي وقت آخر، ولم يكن لديهم أي مرونة على الإطلاق في مفاوضاتهم على المنشآت التي كانت في متناول أيديهم، حيث إنهم لن يرفعوا الحصار عن كابوا للدفاع عن روما نفسها، في الوقت التي كانت مهددة فيه بالحصار بشكل يومي.

وأنا أدرك، بعد كل شيء، إنني قد أخبرتك العديد من الأشياء التي كنت تعلمها من قبل، وربما، تكون وضعتها في الاعتبار وتأملتها مثلى، ولكني قمت بذلك، كما قلت لك إنه ينبغي عليَّ، بحيث تفهم تماما طبيعة الانضباط العسكري وفن الحرب، ولأجل المعلومات التي ربما لم تكن متاحة للآخرين ليقوموا بتعلمها كما فعلت أنت.

والآن، أيها السادة، أعتقد انه ليس لدى إلا بعض المعلومات القليلة لأضيفها لما قد قلته بخصوص هذا الموضوع، ما عدا وضع بعض القواعد العامة للانضباط العسكري والتي مع ذلك قد تعتقدون أنها واضحة وشائعة جدا. إذن، يجب أن تعرف:

1. كل ما يخدم العدو هو ضار لك، وكل ما يمكنه أن يحدث ضررًا له فيمكن أن يخدمك.

2. من يكون أكثر حذرا في مراقبة حركات وخطط العدو ويكون أكثر اعتناء في تدريب وتنظيم جيشه، سيكون الأقل تعرضا للخطر وسيكون لديه الأسباب الأكثر لتوقع نجاح مهماته.

3. لا تشترك أبدا في أي اشتباك إلا بعد تلهم وتلهب رجالك بشجاعة وتراهم في نظام جيد ورغبة عارمة للقتال، ولا تجازف بأية معركة حتى يبدو عليهم الثقة في الانتصار.

4. إن إخضاع العدو بالجوع أفضل من السيف، حيث إنه في المعركة، فورتونا إلهة الحظ لها دور أكثر بكثير من المزايا والفضائل.

5. لا يوجد خطة أكثر احتمالا للنجاح من التي أخفيتها عن العدو حتى حين وقت قطافها.

6. لا يوجد ما هو أكثر أهمية في وقت الحرب من معرفة كيفية الاستفادة المثلى من الفرصة المواتية عندما يأتي أوانها.

7. القليل جدًّا من الرجال هم شجعان بطبيعتهم، ولكن حسن الانضباط والخبرة تصنع العديد منهم أيضا.

8. يمكن الاعتماد على حسن النظام والانضباط في الجيش أكثر من الشجاعة.

9. إن قامت أي من قوات العدو بتركه واللجوء إليك، فهذا مكسب كبير، بشرط إثبات إخلاصهم، حيث إن العدو سيشعر بخسارتهم أكثر من الذين قتلوا في المعركة، على الرغم من أن الفارين سيكونون دائما في موضع الشك من قبل أصدقائهم الجدد، والبغض والحقد من قبل القدامى.

10. في تجهيز الجيش للمعركة، من الأفضل الحفاظ على احتياطي كاف لدعم الصف الأمامي الخاص بك من تمديده لكي تصنع صفا واحدا فقط ويظل الوضع كما هو عليه.

11. إن عرف القائد مقدار قوته وقوة العدو جيدا، فنادرا ما يخطئ.

12. إن مزايا وفضائل جنودك لها نتائج أفضل بكثير من أعدادهم، وأحيانا موقع المكان يكون ذا ميزة وأمان أكثر من مزايا جنودك.

13. ربما تتسبب الحوادث المفاجئة والغير متوقعة للجيش في كثير من الارتباك، ولكن الأشياء المألوفة والتي تحدث تدريجيا لا نعطي لها بالًا، ولذلك؛ عندما يكون لديك جيش جديد للتعامل معه، فمن الأفضل تعويد رجالك على رؤيتهم بقدر ما يمكنك من خلال مناوشات طفيفة قبل أن تأتى للاشتباك معهم.

14. من لديه اضطراب أكثر في قواته أثناء تتبع الجيش المهزوم فغالبا ما سيفقد الميزة التي حصل عليها سابقا وسيُهزم بدورِه.

15. من لا يعطى العناية المناسبة لتجهيز نفسه بالمخزون الكافي من المؤن والذخيرة فمن العدل إن تتم هزيمته دون أن يقوم بالهجوم ولو هجمة واحدة.

16. من هو أقوى في المشاة ممن هو في الفرسان، أو في الفرسان ممن هو في المشاة، فيجب عليه اختيار موقعه وفقا لذلك.

17. إن كنت تريد أن تعرف إذا كان لديك أي جواسيس في مخيمك خلال اليوم، فليس لديك أي شيء آخر للقيام به إلا أن تطلب من كل رجل أن يدخل في خيمته.

18. عندما تدرك بأن العدو على معرفة بخططك، يجب عليك أن تغيرها.

19. بعد تشاورك مع العديد حول ما يجب عليك القيام به، تشاور مع عدد قليل جدًّا بخصوص ما ستقوم بتنفيذه في الواقع.

20. عندما يكون رجالك مقسمين، يجب عليك إبقائهم في نظام جيد عن طريق الترهيب والعقاب، ولكن عند وجودهم في أرض المعركة، عن طريق الآمال والمكافآت والثواب.

21. القادة الجيدون لا يدخلون في اشتباك إلا إذا كانوا مجبرين على ذلك بحكم الضرورة التامة، أو دعتهم المناسبة لذلك.

22. يجب أن تكون لديك عناية كبيرة لكي لا يكون العدو على دراية بترتيب ونظام جيشك للمعركة، قم بمثل هذا التصرف حيث قد يتحول صفك الأول إلى الثاني بسهولة وراحة، وقد يتحول كل منهما إلى الثالث.

23. في وقت العمل، تأكد من عدم استدعاء أي من كتائبك لخدمة مختلفة عما كانت موجهة للقيام به في البداية، خوفا من إحداثك للفوضى والارتباك بجيشك.

24. لا يمكن منع الحوادث الغير متوقعة أو المفاجئة بسهولة، ولكن تلك المتوقعة يمكن تفاديها أو معالجتها بسهولة.

25. الرجال والأسلحة والمال والمؤن هم عصب الحرب، ولكن من بين هؤلاء الأربعة، أول اثنين هما الأكثر ضرورة، حيث إن الرجال والأسلحة سيقومون

دائما بإيجاد المال والمؤن، ولكن المال والمؤن لا يمكنهما دائما تكوين وإنشاء الرجال والأسلحة.

26. الرجل الغنى الأعزل بلا سلاح من المؤكد أنه سيصبح فريسة للجندي الفقير المسلح جيدا.

27. عود جنودك على كره ومقت المعيشة المترفة واللباس الفاخر.

فلتكن هذه القواعد العامة كافية في الوقت الحاضر حيث إنه من الضروري للغاية تذكرهم. أنا حقا أدرك أنني قد أدخلت العديد من الموضوعات الأخرى في سياق هذا الحديث والذي ربما يتوافق بشكل كاف مع موضوعنا، على سبيل المثال، كنت قد وضحت كيفية، ومدى التنظيمات المختلفة التي أنشأ القدامى جيوشهم بها، كيف قاموا بإلباس جنودهم، وكيف قاموا باستخدامهم في أوقات مختلفة.

يمكنني إضافة بعض التفاصيل الأخرى والتي أرى انه يمكن أن يكون قد تم إغفالها، ليس فقط لأنه قد يكون لديكم وسائل أخرى مختلفة لتعريف أنفسكم بهذه الأشياء، ولكن أيضًا لأنني لم أقترح، بداية، الدخول في التفاصيل الدقيقة للانضباط العسكري للقدامى، ولكن فقط للإشارة للأساليب التي يمكن من خلالها تأسيس انضباط أكثر جودة وفضيلة أعظم في جيوشنا أكثر بكثير مما هو موجود في الوقت الحاضر، وبالتالي، ظننت أنني لا يوجد لدى مناسبة لذكر المزيد من قواعد وقوانين وتقاليد القدماء، إلا ما كان ضروريًا للغاية لتقديم مثل هذه المؤسسة.

أنا أعلم جيدًا أنني قد استفضت في فرصتي لشرح طريقة التدريب وانضباط الفرسان، ولكني لم أتطرق كثيرا في الحديث عن طبيعة الخدمة في البحر، حيث إنه بالنسبة لمن يكتبون حول فن الحرب سيخبروننا بأنه توجد جيوش بحرية وبرية ومشاة وفرسان، مع ذلك، لا يمكنني قول أي شيء يتعلق بالشؤون البحرية لأنني

لا أدعى أن لدى أية معرفة بها، أترك هذا لأهل جنوة والبندقية الذين قاموا بالعديد من الأشياء الرائعة خلال تجربتهم في هذه الشؤون.

ولا يجوز أن أقول المزيد عن سلاح الفرسان، لأنه كما أخبرتكم من قبل، هذا الجزء من الجندية لدينا هو الأقل فسادا، إن كانت قوة المشاة الخاصة بك، الذين تتكون قوة الجيش منهم بشكل أساسي، منضبطة جيدا، فيجب بالضرورة أن يكون سلاح الفرسان لديك مثلهم. ومع ذلك، أنصح أي شخص حريص على الحفاظ على مواكبة الهيئة الجيدة للفرسان، أولا، ملء بلده بأفضل سلالة من الخيول يمكن الحصول عليها، وتشجيع المزارعين على تربية المهر - كما يفعل مواطنيكم بالعجول والبغال الصغيرة، ثانيا؛ من أجل ترويج بيعها، نجعل كل من يمتلك بغلا يمتلك حصانا أيضا، وإلزام من لديه حيوان واحد أن يستخدم حصانا، وعلاوة على ذلك، يجب عليه إلزام كل من يرتدون الملابس المصنوعة من قماش ناعم غالٍ بالاحتفاظ بحصان واحد على الأقل، وقد استخدم هذا الأسلوب من قبل أمير معين نعرفه، وفي وقت قصير جدًّا رأى بلدته مليئة بالخيول الممتازة، بالنسبة لأي شيء آخر يتعلق بالفرسان، يجب أن أحيلك إلى ما قلته اليوم بخصوص هذا الموضوع والممارسة المتبعة حاليا.

ولكن قبل أن نرحل ونغادر، ربما تود أن تعرف المؤهلات التي يجب على القائد امتلاكها. سألبى لك هذا في بضع كلمات، حيث لا يمكنني اختيار رجل مناسب أكثر من شخص واحد وهو سيد المؤهلات الذي قمت بتحديده وترجيحه، ومع ذلك، فإن هؤلاء ليسوا جيدين ما لم يكن لديهم قدرات على إيجاد شيء ما جديد خاص بهم في بعض الأحيان، لأنه لم يبرع أي رجل في مهنته إلا واستطاع القيام بذلك، وإن كان الابتكار الجاهز والسريع ضروريًّا ومشرفًا في أية مهنة، فيجب أن يكون كذلك في فن الحرب قبل كل شيء.

وهكذا نرى كيف أن أي ابتكار أو وسيلة جديدة، مهما كانت تافهة، تم تمجيدها من قبل المؤرخين. حاز الاسكندر الأكبرعلى الإعجاب لامتلاكه قبعة مرفوعة على طرف الرمح كإشارة إلى طي الخيام، بدلا من الصوت المعتاد للبوق، من أجل شد الرحال في صمت وخفاء، وبالمثل تمت الإشادة بنفس الأمير حيث أمر رجاله بالنزول على الركبة اليسرى بمواجهة العدو بحيث يكونون قادرين على الإبقاء على الهجوم بمزيد من الصلابة، وهكذا، لم يحرز فقط انتصارا، ولكن أيضًا شرفا ومجدا لدرجة أن تم تنصيب تماثيل له بهذا الوضع.

ولكن، نظرا لأنه قد حان الوقت لإنهاء هذه المحادثة، سأختتم ذلك من خلال العودة إلى النقطة التي بدأنا بها، خشية من تعريض نفسي للسخرية التي عادة وحقا ما يتم إعطاؤها لمن يقومون بانحرافات طويلة ويهيمون بعيدا عن الموضوع حتى يصبحوا ضائعين.

إن كنت تتذكر، (كوزيمو Cosimo)، لقد بدا أنك تتساءل، أنني من أحمل للقدامى مثل هذا الإعجاب وأنهال في إلقاء اللوم على الآخرين لعدم اقتدائهم بهم في الأمور الأعظم شأنا، لم أقم أنا نفسي بتقليد مثالهم فيما يتعلق بفن الحرب، والتي هي مهنتي، حيث قضيت فيها الكثير من وقتي ودراساتي.

لكي أجيب على هذا، لقد أخبرتك بأن الرجال الذين لديهم أي تصميم وتخطيط كبير أمام أنظارهم، يجب عليهم أولا اتخاذ الاستعدادات اللازمة وتأهيل أنفسهم بشكل مناسب لوضع التصميم تحت حيز التنفيذ عندما تتاح الفرصة المناسبة لهم للقيام بذلك.

الآن، يجب أن أتيح الفرصة لك لكي تحكم عليَّ من خلال المحادثة الطويلة التي أجريناها اليوم ما إذا كنت أملك أم لا القدرات الكافية لرفع مستوى الانضباط

العسكري الحالي لدينا إلى مستوى القدماء، يمكنك التخير من هذه المحادثة كم مرة دارت هذه المسألة في ذهني، ويمكنك تكوين فكرة جيدة عن مدى مكانتها في قلبي وما إذا كنت سأحاول فعلا تنفيذ تصميمي وخطتي، إن كانت الفرصة قد أتيحت لي في أي وقت، ومع ذلك، ولمزيد من الإرضاء لك والتبرير لي، وللوفاء بوعدي في تدبير ما، سأظهر لك مدى صعوبة مسألة الاقتداء بالقدماء في الوقت الحاضر في بعض النواحي، ومدى سهولتها في البعض الآخر.

إذن، أنا أرى أنه لا يوجد شيء في العالم يمكن إتمامه بسهولة أكثر من تحويل الانضباط العسكري إلى معيار القدماء، إذا كان الأمير أو الدولة قادرين على تجميع جيش مكون من 15000 أو 20000 من الشباب الأقوياء في حدود سيادته.

وعلى الجانب الآخر، إن كانت هذه القدرة غير موجودة، فلا شيء يمكن أن يكون أكثر صعوبة، والآن لتوضيح نفسي بشكل أكثر اكتمالا، يجب أن تعلم أن بعض القادة قاموا بالكثير من الأشياء الرائعة وحصدوا الكثير من المجد مع جيوشهم التي كانت بالفعل منضبطة بشكل جيد، كما نرى مثلا في العديد من المواطنين الرومان، وفي الآخرين الذين قاموا بقيادة جيوش كانت منضبطة بالفعل، وبالتالي، لم يجدوا شيئًا آخر للقيام به سوى بقائهم كذلك في مركزهم وقيادتهم مثل باقي القادة المتمكنين.

آخرون لم تقلَّ شهرة إنجازاتهم، لم يكونوا مضطرين أبدا لتنظيم جيوشهم، أو حتى تدريبهم بعيدا عن الأرض، كما كانوا قبل ذلك، قبل مواجهتهم أي عدو، بالطبع يستحق هؤلاء استحسان أكثر بكثير من الذين قاموا قيادة جيوش مخضرمة ومنضبطة جيدًا نتيجة لمزاياهم، من بين هؤلاء، يمكننا احتساب (بيلوبيداس Pelopidas)، (إيبامينونداس Epaminondas)، (تولوس هوستيليوس Tullus Hostilius)، (فيليب المقدونى Philip of Macedon)، والد الإسكندر الأكبر، (كورش ملك فارس Cyrus king of Persia)، و(جراتشيس Gracchus) الرومانى، قام كل

هؤلاء القادة بتجميع وضبط جيوشهم قبل تمكنهم من قيادتهم في ميدان المعركة، لقد استطاعوا تحقيق هذه الأمور بحكمتهم وبامتلاكهم رعايا بمثل هذه المزايا حيث أمكنهم من ضبطهم وتدريبهم كما يحلو لهم. ولكنه كان من المستحيل لأي منهم، بغض النظر عن مدى جدارته ومؤهلاته، أن يحقق أي شيء يذكر في بلد أجنبي حيث كان سكانُها فاسدين ومعارضين لكل نظام جيد وطاعة لازمة.

وبالتالي، في إيطاليا، ليس كافيا أن تعرف كيف تقوم بقيادة جيش تم جمعه ومنضبط بالفعل، يجب على القائد أولا تجميعه وضبطه بنفسه قبل أن يتمكن من قيادته، لا أحد يستطيع القيام بذلك إلا إذا كان حاكما ممتلكا في حيازته أراضى كبيرة وعددًا كبيرًا من الرعايا، وأنا لست كذلك.

لم أقم أبدا، ولم أستطع، قيادة أي جيش إلا الجيوش الأجنبية المكونة من جنود يدينون لي بالطاعة الطبيعية، إذا كان من الممكن إنشاء مثل هذا الانضباط الذي قمت بتوصيته بين القوات من هذا النوع، فأنا أقدر رأيكم. هل تعتقدون أنه من الممكن أن أجعل هؤلاء الرجال يحملون أسلحة أثقل مما اعتادوا عليها، وليس الأسلحة فقط بل المؤن ليومين أو ثلاثة، والجاروف والمعول ضمن هذا الاتفاق؟ هل أستطيع أبدا جعلهم يقومون بالحفر أو إبقاءهم أياما كاملة يقومون بالمناورات من أجل إعدادهم للمعركة؟ هل أستطيع أن أمنعهم من لعب القمار، والشرب، والزنا، والسباب، والعصيان المنتشرة بين الجنود في هذه الأوقات؟ كم من الوقت سيمر قبل أن أتمكن من تأسيس مثل هذا النظام والانضباط والطاعة فيما بينهم بحيث إنه لو كانت هناك شجرة كاملة من الفاكهة الناضجة في وسط المخيم، لا يجرؤ أحد منهم على لمسها - كما قرأنا حدوث هذا بين عدة جيوش قديمة؟

ما المفاجآت ذات العيار الثقيل التي يمكنني وعدهم بها لكي أجعلهم يحبونني، أو التهديدات التي يمكن أن استخدامها لجعلهم يخشونني عندما يعلمون بأنه بمجرد

انتهاء الحرب، لا يمكنني القيام بأي شيء أكثر لهم؟ كيف يمكنني جعل هؤلاء من لا يخجلون يشعرون بالخجل من أي شيء؟ كيف يمكنهم احترامي وهم بالكاد يعرفون وجهي؟ بأي إله أو قديس يقسمون، بمن يعبدون وبمن يكفرون؟ من هو الإله الذي يعبدونه وأنا لا أعرفه كما لا أعرف أي قديس لا يكفرون به؟.

كيف يمكنني أن يكون لدي أمل أنهم سيوفون بأي وعد عندما أرى أنهم لا يقومون بذلك على الأقل فيما يتعلق بكلمتهم؟ كيف لي أن أعتقد أنهم سيبجلون أي رجل في حين أنهم يظهرون الكثير من الخزي للإله؟

إذن ما الشكل الجيد الذي يمكنني تطبيقه على هذه المسألة؟ إن كنت تعترض على أن السويسريين والأسبان هم جنود جيدون، فأنا أعترف بكل صراحة أنني أعتقد أنهم أفضل بكثير من الإيطاليين، ولكن إن كنت قد انتبهت لما كنت أقوله ووضعت في اعتبارك الانضباط لدى كل من تلك الدولتين، فستجد أنهم يقفون بعيدا جدًّا عن القدماء في كثير من النواحي. إن التفوق السويسري هو نتيجة لمؤسسات القدامى لديهم وعدم وجود سلاح الفرسان، كما أخبرتك من قبل، وبالنسبة للأسبان، بالضرورة، إنهم عادة ما يجرون حروبهم في بلدان أجنبية، فلا يمكنهم أن يأملوا في الهروب إذا ما خسروا معركة، لذا، فيجب عليهم إما الانتصار أو الموت - وهذا ما يجعلهم جنودًا حازمة. ومع ذلك، فلديهم الكثير من القصور في العديد من النواحي الأخرى، أهمها، إن لم يكن الوحيد، يتمثل في تميزهم في الوقوف ثابتين عند تلقي هجمة من رمح أو حد سيف، وإذا أراد أي شخص محاولة تعليمهم ما يفتقرون إليه، خاصة إن كان أجنبيًّا مثلي، فسيجد أن كل مساعيه ليس لها هدف.

أما بالنسبة للإيطاليين، فقد كان أمراؤهم ضعفاء وجبناء لفترة طويلة لدرجة أنهم لم يستطيعوا تقديم أي قوانين عسكرية جيدة، لا يتم تقليلها بحكم الضرورة، مثل الأسبان، لم يستطيعوا القيام بذلك بأنفسهم، ولذلك بدون مثال واحد للفضيلة، فهم الآن موضع احتقار وسخرية العالم.

في الواقع، لا يمكن لوم الشعب على هذا، وإنما حكامهم، الذين تمت معاقبتهم على هذا بشكل عادل وفقدوا ممتلكاتهم من دون أن يكونوا قادرين على القيام بهجمة واحدة في دفاعهم.

للتأكيد على ما قد قلته، اسمحوا لي أن اطلب منكم تذكر كم من الحروب كانت في إيطاليا منذ تم غزوها من قبل تشارلز الثامن ملك فرنسا، على الرغم من أنه عادة ما تجعل الحروب الرجال جنودا جيدين، ولكن كلما طال استمرار هذه الحروب، كلما زاد ضباطنا ورجالنا سوءا، نتج هذا عن طبيعة الانضباط والقوانين العسكرية، التي ظلت سيئة لفترة طويلة ومازالت، وما هو أسوأ من ذلك، أن لا أحد يستطيع إصلاحهم، لذلك، فإنه من دون جدوى أن تقوم بالتفكير في استعادة سمعة الأسلحة الإيطالية بأي طريقة ماعدا الطريقة التي قمت بشرحها وببعض التعاون من الأمراء الأقوياء في إيطاليا، ومن ثم يمكن إعادة الانضباط القديم بين الرجال الشرفاء قليلي الخبرة الذين هم رعاياهم، على الرغم من أنه لا يمكن إتمام هذا بين مجموعة فاسدة وفاسقة من الأوغاد والأجانب. تماما كما لا نتوقع من نحات أن يصنع تمثالا جميلًا من كتلة من الرخام سبق وأن شوهها وأفسدها من قبل شخص أخرق، ولكن سيكون واثقا من النجاح إذا كانت لديه كتلة جديدة للعمل عليها.

قبل أن يتم إذلال وتعذيب أمرائنا الإيطاليين عن طريق رجال ما وراء جبال الألب، كانوا يعتقدون أنه كافٍ بالنسبة للأمراء أن يقوموا بكتابة الرسائل اللائقة لهم، أو الإجابة المهذبة على رسائلهم، التفوق فقط في الهزل واللعب، تقويض وخداع بعضهم البعض، تزيين أنفسهم بالمجوهرات والدانتيل، أن يتناولوا الطعام ويناموا في روعة وفخامة تفوق جيرانهم، أن يقضوا وقتهم في المداعبات العشوائية والملذات الفاسقة، شكل من أشكال تعجرف الدولة ووقاحتها وسحق وجوه رعاياهم، الانغماس في الكسل والخمول، التخلص من الفخر العسكري وترقية

القوادين والطفيليات المتسلقين، إهمال واحتقار كل أنواع الجدارة والامتياز، ترهيب كل من يسعى للإشارة إلى أي شيء مفيد أو يستحق الثناء، وأن يقوموا بإلقاء كلماتهم وأقوالهم على من يهتفون وكأنها خطب يجب حفظها.

لم يكن لديهم بعد نظر أو رؤية ولأنهم ضعفاء خانعون فاسدون بكل سلوكهم وتصرفاتهم هذه فقد حفروا لأنسهم حفرة وسقطوا فيها ووضعوا أنفسهم تحت رحمة أول الغزاة لهم.

كل هذا أدى إلى الهزائم المخزية والخسائر الفادحةالتي وقعت عام 1494 حيث إن ثلاثة من أقوى الدول في إيطاليا أصبح يخيم عليها الخراب في تلك الأوقات.

لكن الذي لايزال مؤسفا أكثر من غيره هو أن بقية الأمراء بعيدون تمام البعد عن اخذ الحذر والعبرة من سقوط الآخرين، وأنهم يتبعون نفس المسار ويعيشون في نفس النوع من سوء الحكم والأمان الخاطئ، فهم لا يعتبرون أن أمراء العصور السابقة الذين كانوا حريصين على السيطرة الجديدة أو على الأقل، الحفاظ على ممتلكاتهم الخاصة، ملاحظين بدقة كل تلك القواعد التي أرسيتها وأوصيت بها في سياق هذه المحادثة، وأن مساعيهم الأساسية كانت تعريض أجسامهم لجميع أنواع المشقة والتعب وتحصين عقولهم ضد الخطر والخوف من الموت.

ولذلك، حارب يوليوس قيصر، والإسكندر المقدونى، وجميع هؤلاء الرجال والأمراء الممتازين دائما على رؤوس جيوشهم، دائما ما قاموا بالسير معهم على الأقدام، ودائما ما قاموا بحمل الأسلحة خاصتهم، إن فقد أي منهم قوته، فلقد خسر في نفس الوقت حياته معها ومات بنفس المزايا والفضيلة التي أظهرها خلال حياته.

ولذلك مهما بلغت إدانتنا لتعطش بعضِهمْ المفرط للسيطرة والهيمنة، لا يمكننا لوم أي منهم بالليونة والتخنث، أو اتهامهم بالعيش بطريقة ناعمة أو متراخية

تجعلهم ضعفاء أو غير صالحين لحكم البشرية، إذن، إن قام حكامنا بالقراءة وأخذوا في اعتبارهم بشكل سليم حياة وأقدار هؤلاء الرجال العظماء، فمن المستحيل أن نعتقد بأنهم لن يقوموا بتعديل سلوكهم، أو أن مجال سيادتهم سيستمر طويلا في الحالة الضعيفة والواهنة كما في الوقت الحاضر.

ولكن بما أنك قد اشتكيت من الميلشيا الخاصة بكم في بداية هذا الحديث، فيجب أن أخبرك أنه إن كنتم قد قمتم بتشكيلها طبقا للنموذج المثالي، وقمتم بتدريبها بهذه الطريقة التي أوصيت بها، ولم تحقق توقعاتك، حينها يكون لديك بالتأكيد سبب لشكواك، ولكن بما أنكم لم تقوموا بتشكيلها ولا ضبطها بهذه الطريقة، فأنتم أنفسكم من يجب توجيه اللوم لهم لأن ما قمتم به أثبت أنه إجهاض وليس ولادة كاملة.

لقد قام البنادقة وأيضا دوق فيرارا ببداية جيدة، ولكنهم لم يتابعوا، ولذلك، إن سقطوا هم أيضا، فيجب أن ينسب هذا إلى سوء الإدارة الخاصة بهم وليس لعيوب رجالهم، وسوف أغامر بالتأكيد على أن أول دولة في إيطاليا تتبع تلك الطريقة وتستمر بها ستصبح قريبا سيدة المقاطعة كلها، وستتحول الأمور في دولته كما حدث مع فيليب المقدوني، الذي بعد أن تعلم الطريقة الصحيحة لتشكيل وضبط الجيش من إيبامينونداس الطيبي، أصبح قويا جدًّا، بينما انغمست الدول اليونانية الأخرى في الكسل والترف واستغرقت تماما في المسرحيات والحفلات، لدرجة أنه قام بغزوهم جميعا في بضع سنوات، تاركا لابنه هذا الأساس ليبنى عليه لدرجة أن ابنه كان قادرا على غزو العالم. لذا أيا كان من يحتقر هذه النصيحة، سواء كان أميرا أو حاكما للكومنولث، فليس لديه إلا تقدير قليل لنفسه أو لبلده.

من جانبي، لا يسعني الشكوَى من القدر، الذي إما لم يكن ليسمح لي بمعرفة هذه الأشياء، أو إعطائي القوة اللازمة لوضعها قيد التنفيذ، هذا شيء لا أستطيع أن آمله الآن وقد تقدمت بي السنوات، وبالتالي، فلقد أوصلت أفكاري بكل صراحة فيما

يخص هذا الشأن لكم كشباب مؤهلين جيدًا ليس فقط لغرس تلك النصيحة في آذان أمرائكم، إن وافقتم على ذلك، ولكن لمساعدتهم في وضعها قيد التنفيذ كلما أتيحت لكم الفرصة المناسبة. اسمحوا لي أن أحثكم وأشجعكم على عدم اليأس من النجاح حيث إنه يبدو أن هذه الدولة في طريقها إلى إحياء الفنون والعلوم التي بدا أنها ميتة منذ فترة طويلة، فكما نرى لقد قامت بالفعل بإحياء الشعر، والرسم، والنحت - كما كانت.

بالنسبة لي، لا يمكنني التوقع برؤية تغيير مفرح خلال ما تبقى لي في الحياة، بالطبع إن تساهلت معي فرتونا إلهة الحظ قبل بضع سنوات بإعطائي الأرض المناسبة لمثل هذا المشروع، أعتقد أنني كنت سأقنع العالم في وقت قصير بمدى تميز الانضباط العسكري للقدماء، لأنني إما كنت سأزيد أملاكي مكللا بالمجد، أو على الأقل، لن أفقدهم بالخزي والعار.



الخطط الحربية أساس الانتصار في الحروب

الـمـلاحـق

خطط ومناورات ماكيافللى الحربية

GENERAL KEY مفتاح عام وشامل

C—Battalion Captain قائد أو كابتن كتيبة

Co—Battalion Lieutenant Colonel مقدم الكتيبة

P – Pikeman الجندي حامل الرمح أو الرماحين

S - Shieldbearer armed with a sword حامل الدرع المزود بسيف

Xp—Corporal armed with a pike عريف مزود برمح

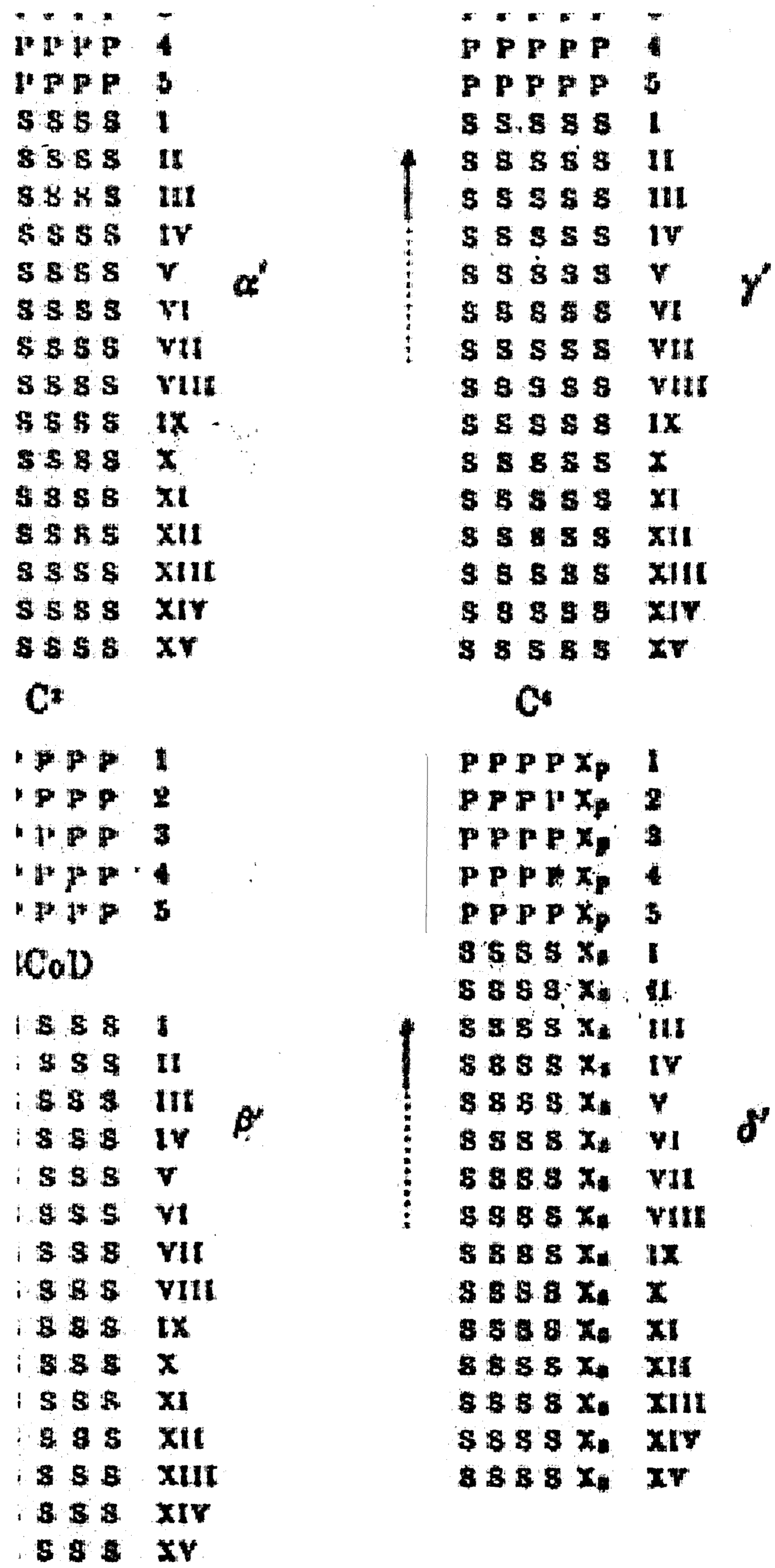
Xs—Corporal armed with a sword and shield عريف مزود بسيف ودرع

B—Standard-bearer/colors ضباط حاملي الأعلام والألوان

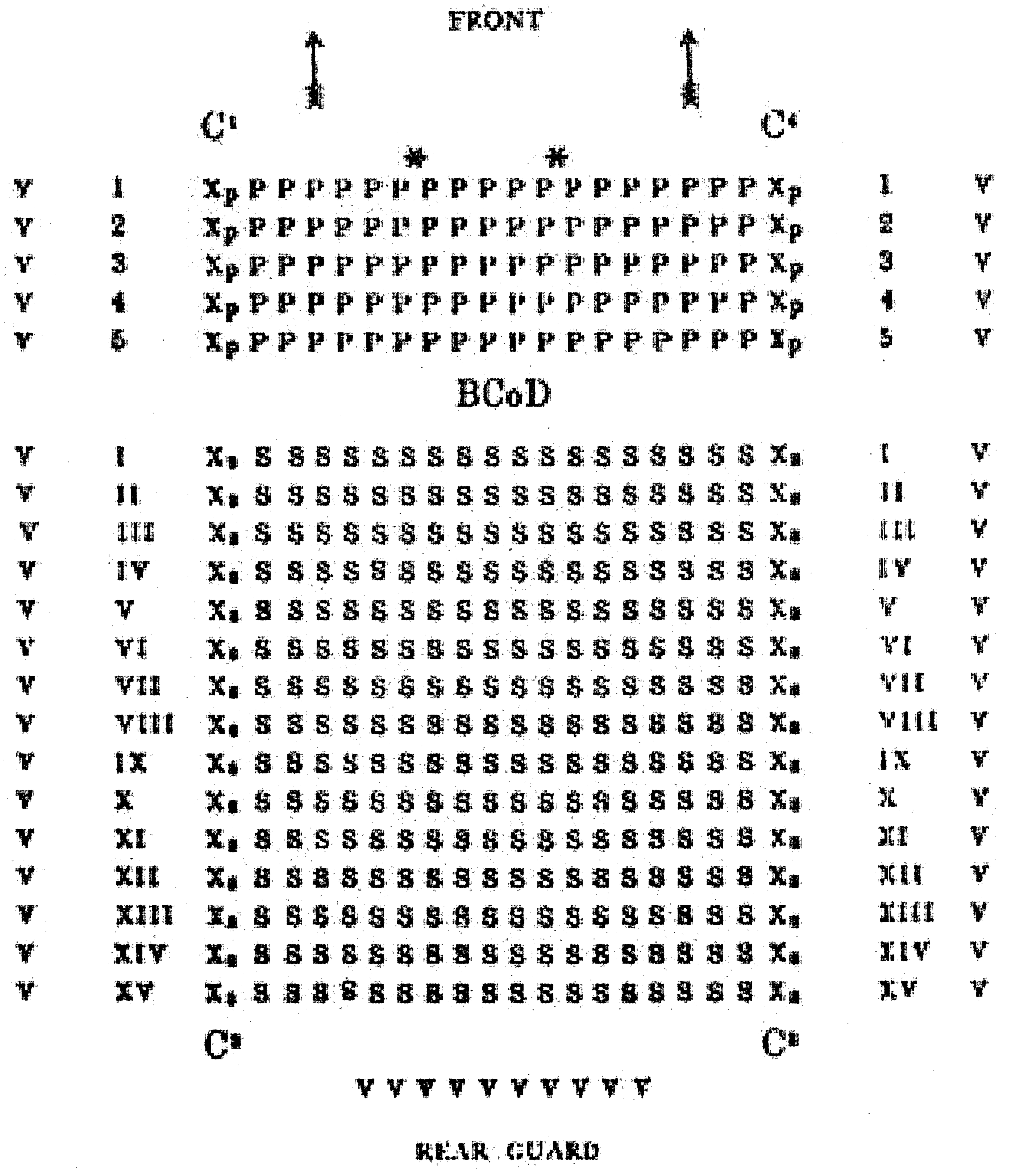
D - Fife and Drum corps فيلق حاملي الطبلة والناي

V - Velites, men with light-arms المشاة ذوو التسليح الخفيف

FIGURE I الشكل الأول



(Diagram I)



(*Diagram 2*)

Diagram 1. The Marching Order of 400 Heavily Armed Men. This marching formation is Machiavelli's fundamental tactical unit. The Arabic numerals indicate the ranks where pikemen stand; the Roman numerals, where the shieldbearers stand. There are 4 captains (C1, C2, C3, C4), each leading a consecutively marked group of men; the latter are indicated by α′, β′, γ′, and δ′. As in Diagrams 3 and 5 below, these groups should not be read as marching side by side, but as following one another in a line: δ′ follows γ′, which follows β′, which follows α′.

المخطط أو الرسم الأول 1- ترتيب ونظام مسيرة تتكون من 400 رجل ذوي تسليح ثقيل.

تشكيل المسيرة هذه يمثل وحدة التكتيك الرئيسية عند ماكياڤللي.

الأرقام العربية تشير إلى الرتب حيث يقف حاملو الرماح، بينما الأرقام الرومانية تدل على مكان وقوف حاملي الدروع. يوجد أربع قادة (C^1, C^2, C^3, C^4)، وكل منهم يقود مجموعة مميزة ومحددة من الرجال على التوالي ومشار اليهم ب γ ,′β ,′α′، وكما في الخطط 3، 5 لا يجب أن نقرأها السير جنبا إلى جنب بل كالتالي واحد وراء الآخر في طابور: ′δ يتبع ويلي ′γ الذي بدوره يتبع ′β الذي يتبع′α. .

Diagram 2. The Battle Order of 400 Heavily Armed Men. The same men, augmented by 50 velites, moved into a battle formation. The captain of α′(C^1) halts; the captain of β′(C^2) and his men advance on the right of α′ and square off with both α′ and γ′, and δ′ advances to the right of these three and aligns his men with them. The asterisks represent the

position formerly occupied by captains C^2 and C^3. For Machiavelli, the advantages of this formation are: the placement of the pikemen in the front to hold off a cavalry attack, and the placement of the shieldbearers, the strongest unit, in the most strategic location.

المخطط الثاني -2 نظام وترتيب المعركة من 400 رجل من ذوي التسليح الثقيل. نفس الرجال مع زيادة 50 من المشاة عليهم ويتحركون بتشكيل المعركة، قائد $\alpha'(C^1)$ يقف وقائد $\beta'(C^2)$ ورجاله على اليمين من α' ويدخل الميدان بعيدا عن α' وγ' ويتقدم δ' إلى يمين هؤلاء الثلاثة ويصف رجاله معهم، وعلامة النجمة تمثل الذي شغله القادة C^2 وC^3 في السابق. مميزات هذا التشكيل بالنسبة لماكيافللي هي: وضع الرمّاحين في المقدمة لكي يصدوا هجماتِ الفرسان، وكذلك وضع حاملي الدروع أقوى الوحدات في أفضل موقع استراتيجي.

الشكل الثاني FIGURE II

FRONT

C¹ — α′

X_p	X_p	X_p	X_p	X_p	1
P	P	P	P	P	2
P	P	P	P	P	3
P	P	P	P	P	4
P	P	P	P	P	5
P	P	P	P	P	6
P	P	P	P	P	7
P	P	P	P	P	8
P	P	P	P	P	9
P	P	P	P	P	10
P	P	P	P	P	11
P	P	P	P	P	12
P	P	P	P	P	13
P	P	P	P	P	14
P	P	P	P	P	15
P	P	P	P	P	16
P	P	P	P	P	17
P	P	P	P	P	18
P	P	P	P	P	19
X_p	X_p	X_p	X_p	X_p	20

C² — β′

X_s	X_s	X_s	X_s	X_s	I
S	S	S	S	S	II
S	S	S	S	S	III
S	S	S	S	S	IV
S	S	S	S	S	V
S	S	S	S	S	VI
S	S	S	S	S	VII
S	S	S	S	S	VIII
S	S	S	S	S	IX
S	S	S	S	S	X
BCoD					
S	S	S	S	S	XI
S	S	S	S	S	XII
S	S	S	S	S	XIII
S	S	S	S	S	XIV
S	S	S	S	S	XV
S	S	S	S	S	XVI
S	S	S	S	S	XVII
S	S	S	S	S	XVIII
S	S	S	S	S	XIX
X_s	X_s	X_s	X_s	X_s	XX

FRONT

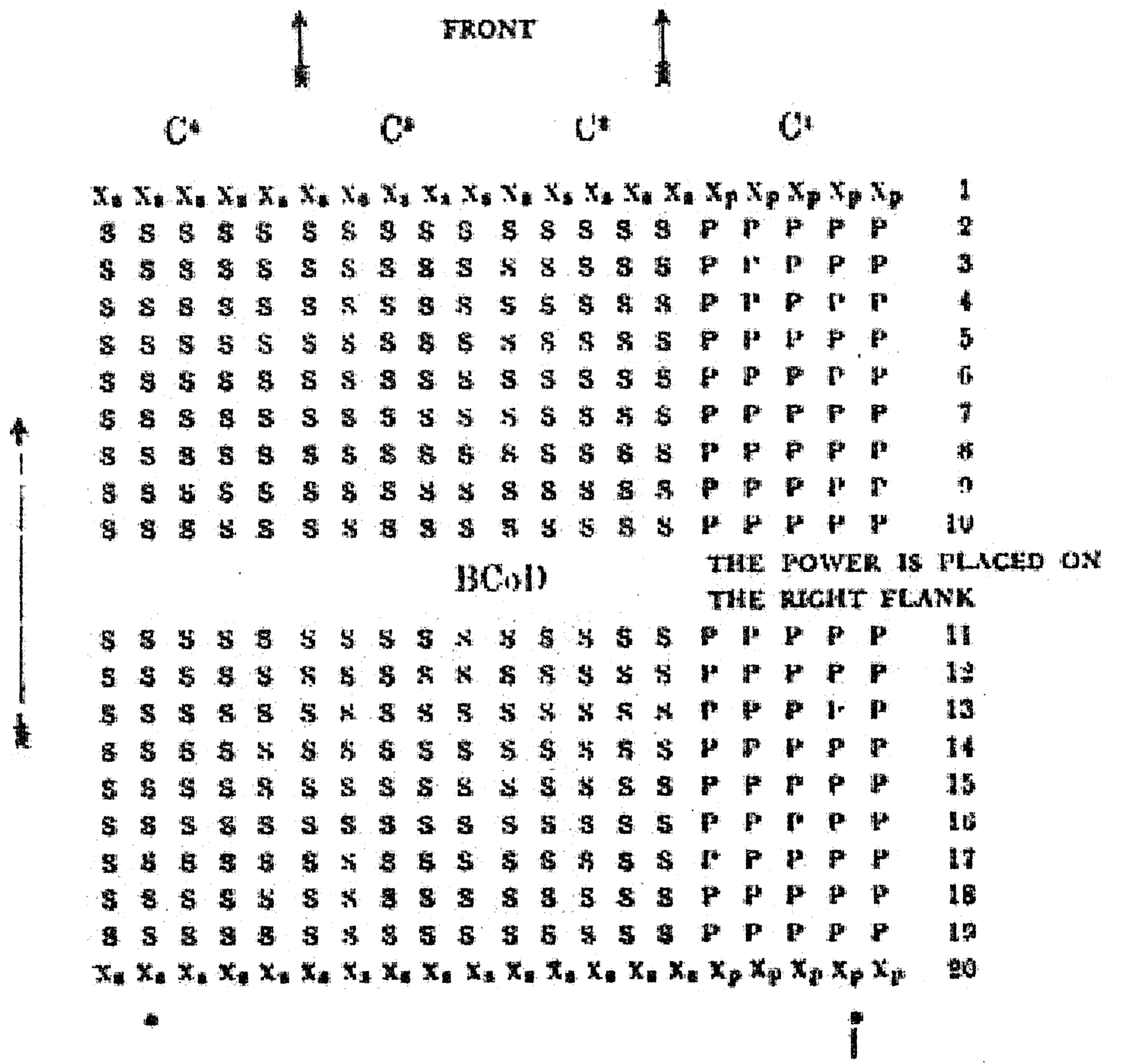
C³ — γ′

X_s	X_s	X_s	X_s	X_s	I
S	S	S	S	S	II
S	S	S	S	S	III
S	S	S	S	S	IV
S	S	S	S	S	V
S	S	S	S	S	VI
S	S	S	S	S	VII
S	S	S	S	S	VIII
S	S	S	S	S	IX
S	S	S	S	S	X
S	S	S	S	S	XI
S	S	S	S	S	XII
S	S	S	S	S	XIII
S	S	S	S	S	XIV
S	S	S	S	S	XV
S	S	S	S	S	XVI
S	S	S	S	S	XVII
S	S	S	S	S	XVIII
S	S	S	S	S	XIX
X_s	X_s	X_s	X_s	X_s	XX

C⁴ — δ′

X_s	X_s	X_s	X_s	X_s	I
S	S	S	S	S	II
S	S	S	S	S	III
S	S	S	S	S	IV
S	S	S	S	S	V
S	S	S	S	S	VI
S	S	S	S	S	VII
S	S	S	S	S	VIII
S	S	S	S	S	IX
S	S	S	S	S	X
S	S	S	S	S	XI
S	S	S	S	S	XII
S	S	S	S	S	XIII
S	S	S	S	S	XIV
S	S	S	S	S	XV
S	S	S	S	S	XVI
S	S	S	S	S	XVII
S	S	S	S	S	XVIII
S	S	S	S	S	XIX
X_s	X_s	X_s	X_s	X_s	XX

(Diagram 3)



(Diagram 4)

Diagram 3. Marching Formation of Soldiers Expecting a Sudden, Flank Attack. Note the rearrangement of the pikemen as well as that of the corporals armed with pikes, and those with swords and shields.

المخطط الثالث –3 مسيرة تتكون من جنود يتوقعون هجومًا مفاجِئًا لأحد أجنحة الجيش، لاحظ إعادة ترتيب الرماحين بالإضافة إلى العرفاء حاملي الرماح وهؤلاء الذين يحملون السيوف والدروع.

Diagram 4. The Same as #3, Now in Battle Formation. Group β' moves either to the right or to the left of α' depending upon which flank the attack is expected: here, preparing for an attack from the right, β' moves to the left of α'. Then group γ' will move to the left of β'; δ', to the left of γ' The • and † indicate the new position of C^2 and C^3 after the soldiers have formed to the left.

المخطط الرابع -4 نفس #3 الآن في تشكيل المعركة. المجموعة β' تتحرك إما إلى اليمين أو اليسار من α' بناء على أي الأجنحة الهجوم متوقع منها: وهنا الإعداد لهجوم من اليمين، تتحرك β' إلى يسار α' ثم مجموعة γ' تتحرك إلى يسار β'; δ وعلى يسار γ' ال • وال † تدل على الموقع الجديد لـ C^2 وC^3 وذلك بعد أن يتشكل الجنود في اليسار.

FIGURE III الشكل الثالث

C¹

P	P	S	S	S	I	
P	P	S	S	S	II	
P	P	S	S	S	III	
P	P	S	S	S	IV	
P	P	S	S	S	V	
P	X_p	S	S	S	VI	
P	X_p	S	S	S	VII	
P	X_p	S	S	S	VIII	
P	X_p	S	S	S	IX	
P	X_p	S	S	S	X	
P	P	X_s	S	S	XI	
P	P	X_s	S	S	XII	α′
P	P	X_s	S	S	XIII	
P	P	X_s	S	S	XIV	
P	P	X_s	S	S	XV	
P	P	X_s	S	S	XVI	
P	P	X_s	S	S	XVII	
P	P	X_s	S	S	XVIII	
P	P	X_s	S	S	XIX	
P	P	X_s	S	S	XX	
P	P	X_s	S	S	XXI	
P	P	X_s	S	S	XXII	
P	P	X_s	S	S	XXIII	
P	P	X_s	S	S	XXIV	
P	P	X_s	S	S	XXV	

C²

S	S	S	S	S	I	
S	S	S	S	S	II	
S	S	S	S	S	III	
S	S	S	S	S	IV	
S	S	S	S	S	V	
S	S	S	S	S	VI	
S	S	S	S	S	VII	β′
S	S	S	S	S	VIII	
S	S	S	S	S	IX	
S	S	S	S	S	X	
S	S	S	S	S	XI	
S	S	S	S	S	XII	
S	S	S	S	S	XIII	
S	S	S	S	S	XIV	
S	S	S	S	S	XV	

BCoD

S	S	S	S	S	I	
S	S	S	S	S	II	
S	S	S	S	S	III	
S	S	S	S	S	IV	
S	S	S	S	S	V	
S	S	S	S	S	VI	
S	S	S	S	S	VII	
S	S	S	S	S	VIII	γ′
S	S	S	S	S	IX	
S	S	S	S	S	X	
S	S	S	S	S	XI	
S	S	S	S	S	XII	
S	S	S	S	S	XIII	
S	S	S	S	S	XIV	
S	S	S	S	S	XV	

C³

S	S	S	P	P	1	
S	S	S	P	P	2	
S	S	S	P	P	3	
S	S	S	P	P	4	
S	S	S	P	P	5	
S	S	S	X_p	P	6	
S	S	S	X_p	P	7	
S	S	S	X_p	P	8	
S	S	S	X_p	P	9	
S	S	S	X_p	P	10	
S	S	X_s	P	P	11	
S	S	X_s	P	P	12	δ′
S	S	X_s	P	P	13	
S	S	X_s	P	P	14	
S	S	X_s	P	P	15	
S	S	X_s	P	P	16	
S	S	X_s	P	P	17	
S	S	X_s	P	P	18	
S	S	X_s	P	P	19	
S	S	X_s	P	P	20	
S	S	X_s	P	P	21	
S	S	X_s	P	P	22	
S	S	X_s	P	P	23	
S	S	X_s	P	P	24	
S	S	X_s	P	P	25	

(Diagram 5) C⁴

Diagram 5. The Marching Formation of a Battalion Prepared to Convert into Either a Winged Battalion or a Hollow Square. Note that α′ and δ′ consist of 25 ranks.

المخطط الخامس -5 تكوين مسيرة من كتيبة مجهزة لكي تتحول إلى إما كتيبة مجنحة أو مربع أجوف، لاحظ α′ and δ′ يتكونون من 25 صفًا.

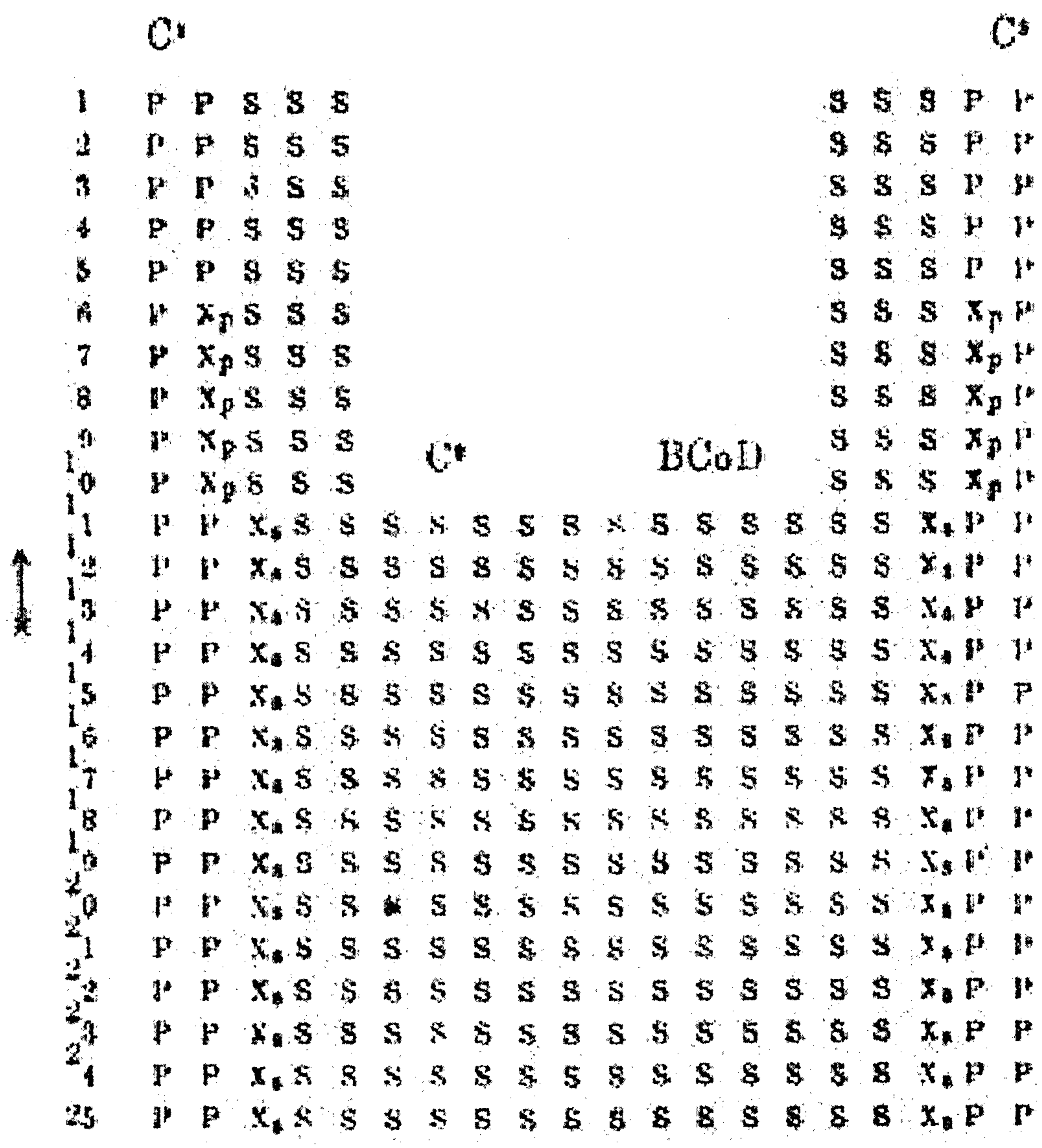
Diagram 6. To form a winged battalion, the captain of α′ halts and β′ moves along the right side until its first rank is parallel to the eleventh rank of α′. Then γ′ aligns with β′. Finally, δ′, with its 25 ranks also moves to the right—thus forming the wing. C2 moves to the *.

المخطط السادس -6 لتشكيل كتيبة مُجنحة قائد α′ يتوقف وقائد β′ يتحرك بطول الجانب الأيمن حتى الصف الأول الموازي للصف الحادي عشر من α′ ثم ينحاز γ′ إلى β′. وفي النهاية يتحرك δ′ بالـ 25 صف التابعة له إلى اليمين أيضًا وهكذا يتم تكوين الجناح. ثم يتحرك C^2 إلى الـ *.

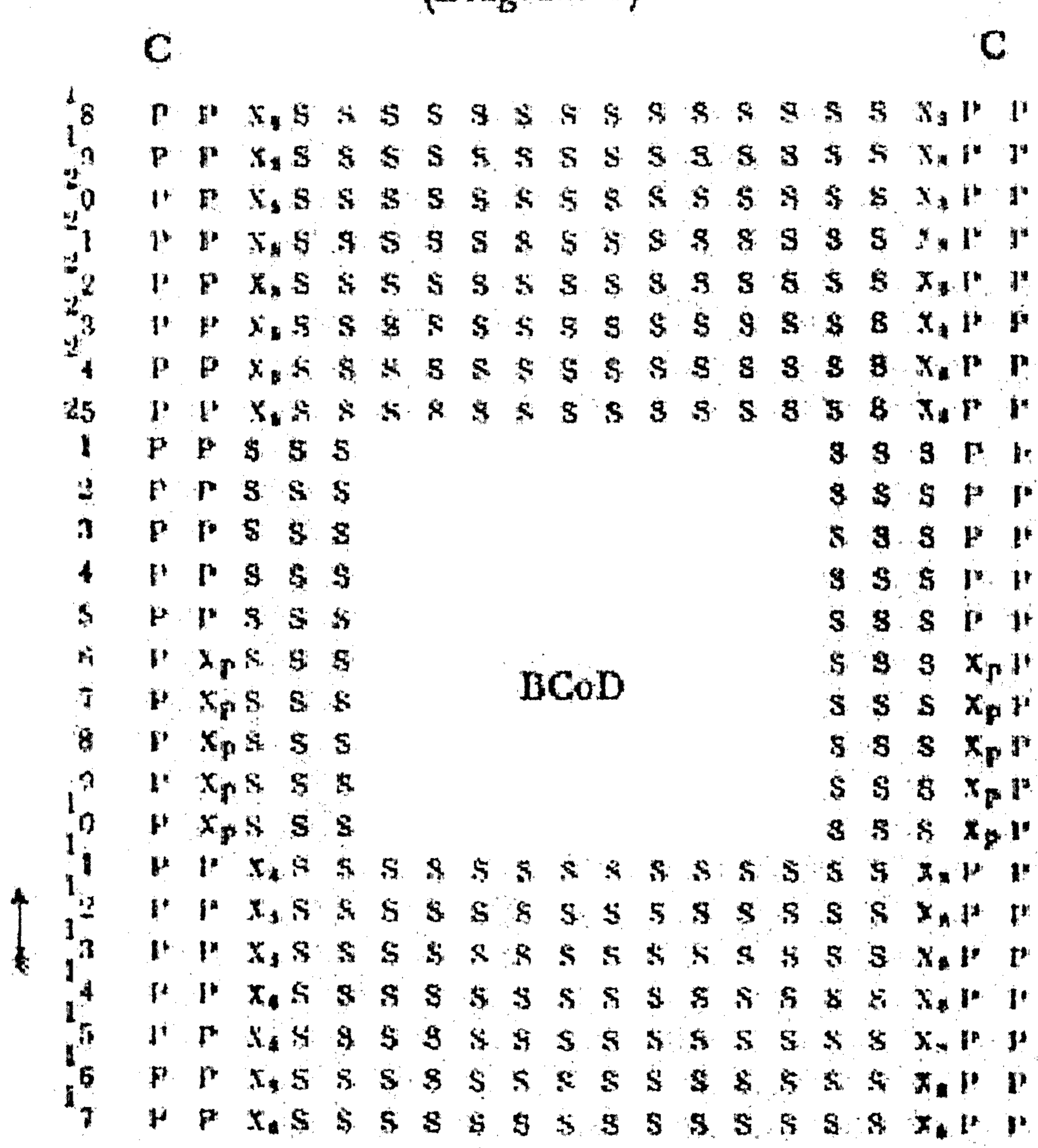
Diagram 7. To form a hollow square based on the preceding formation, ranks 18 through 25 move around to the front of the first rank. The placement of the standard-bearer/colors, lieutenant colonel, and drums is not specified in Burd, and is derived from Farneworth and Périès. Nor is it clear how the captains should be rearranged; presumably they should stand as indicated.

المخطط السابع -7 لتكوين مربع أجوف مبني على التشكيل السابق، الصف 18 عبر الصف 25 يدورون حتى يصلوا إلى مقدمة الصف الأول. مكان حاملي الأعلام والألوان والعقيد والطبول غيد محدد في نسخة Burd ومأخوذ من نسخة

Farneworth and Périès. وغير واضح كيف نعيد ترتيب القادة ويبدو أنهم يجب أن يقفوا في المكان الموضح لهم.



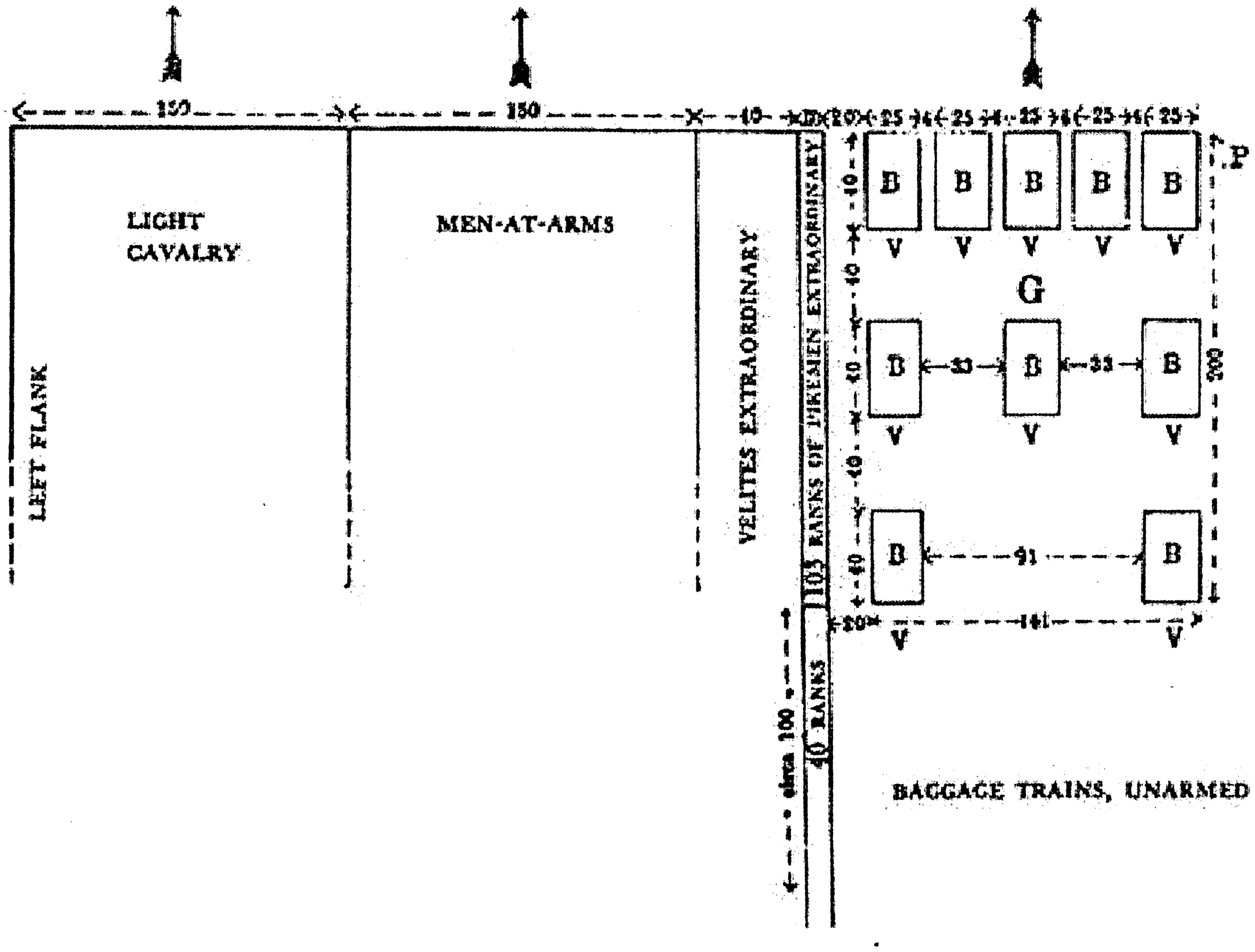
(*Diagram 6*)



(*Diagram 7*)

FIGURE IV الشكل الرابع

FRONT



REAR

Legend: The rectangles marked B represent the battalions in formations similar to the one shown in Diagram 2, Figure I.

Machiavelli did not specify the depth of the light cavalry, of the men-at-arms, or of the velites extraordinary.

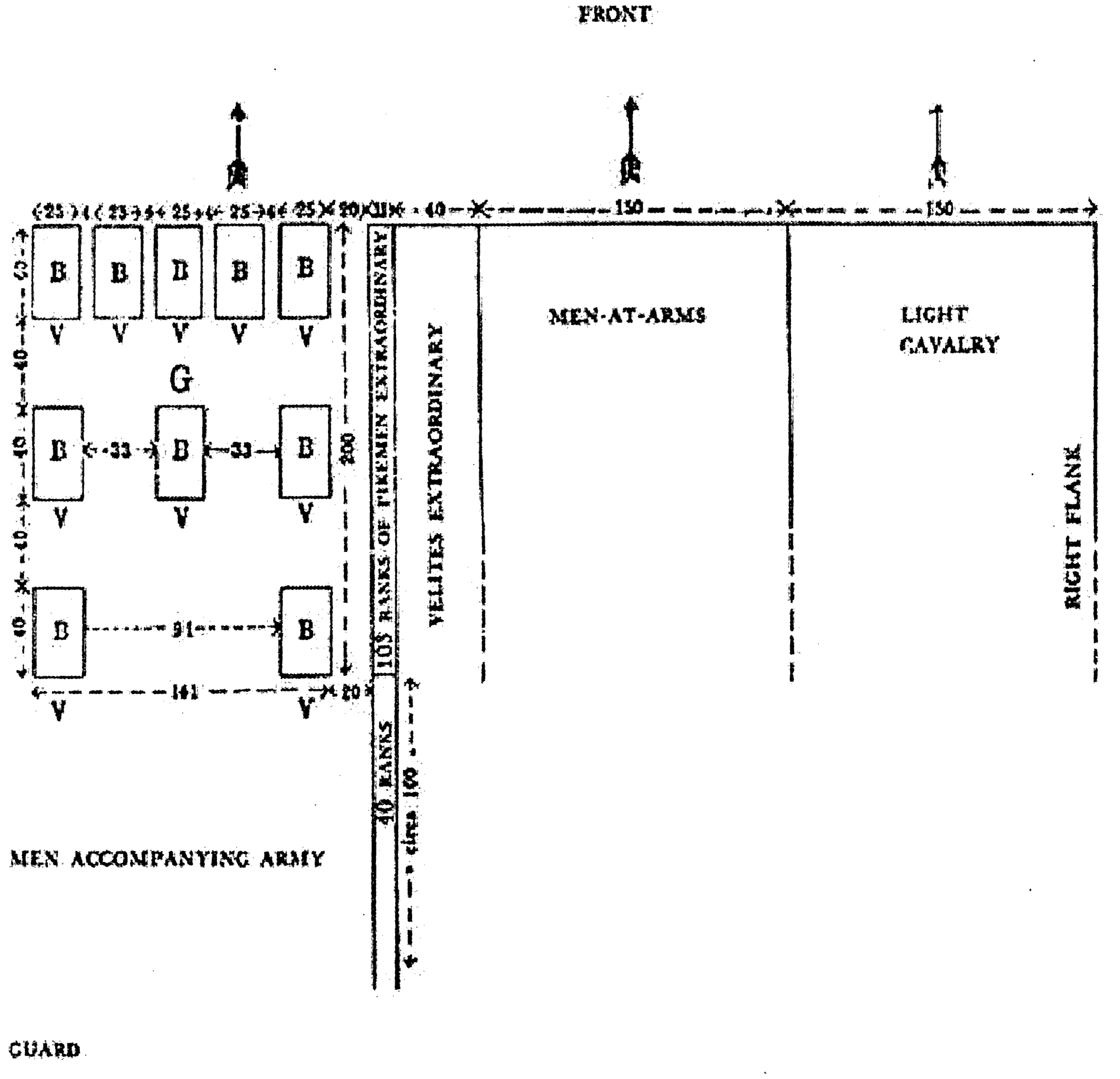
G = Regimental Colonel

P = General Leading the Entire Army

Two Regiments in Battle Formation

المفتاح: المستطيلات ذات العلامة B تمثل الكتائب التي تم تكوينها لكي تشبه الموضحة المخطط 2 الشكل 1 . لم يحدد ماكياڤللي عمق سلاح الفرسان ذي التسليح الخفيف ولا الرجال المسلحين ولا حتى المشاة فوق العادة المميزين.

G كولونيل أو عقيد الفوج. P القيادة العامة للجيش بالكامل – فوجين في تشكيل المعركة.

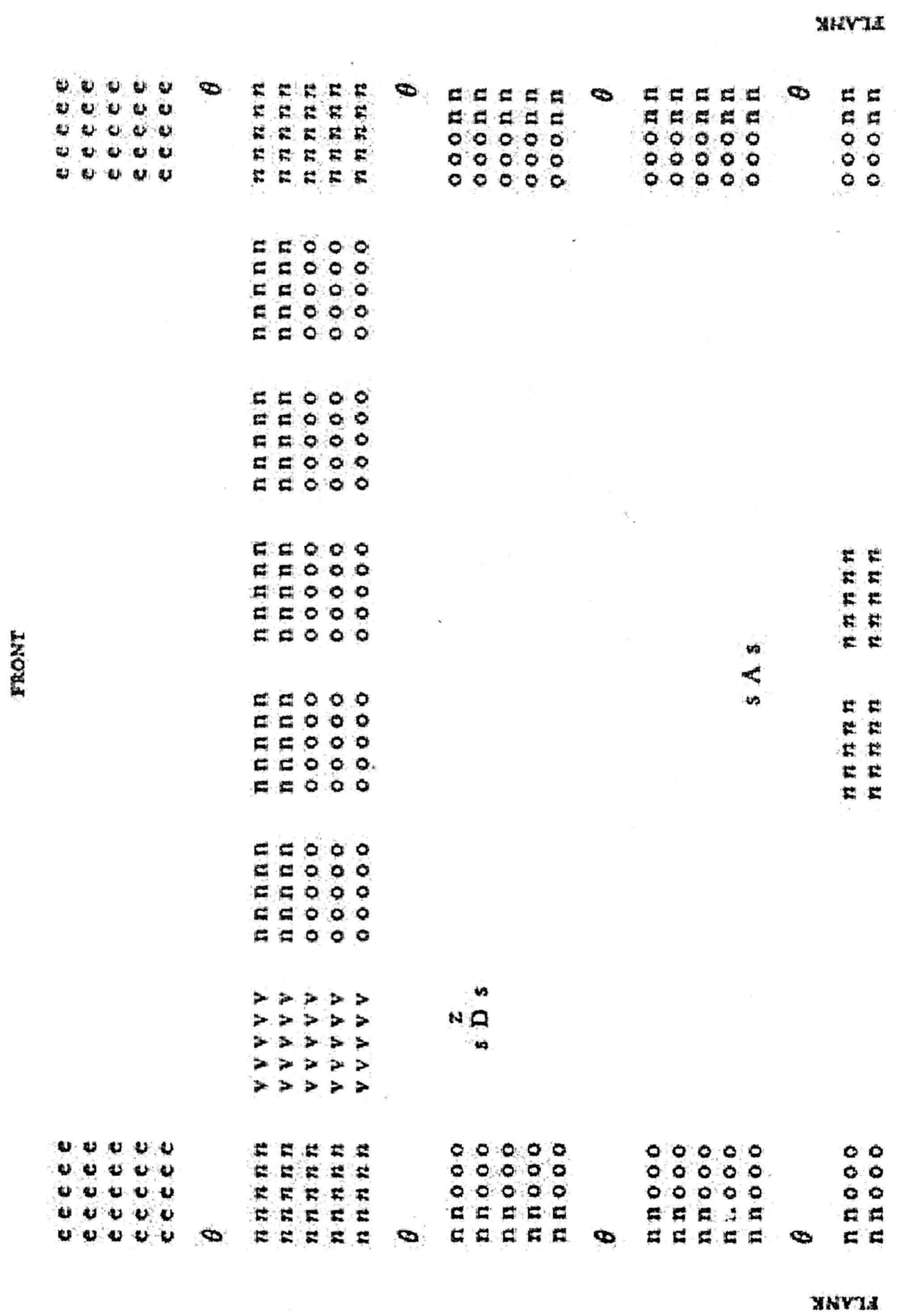


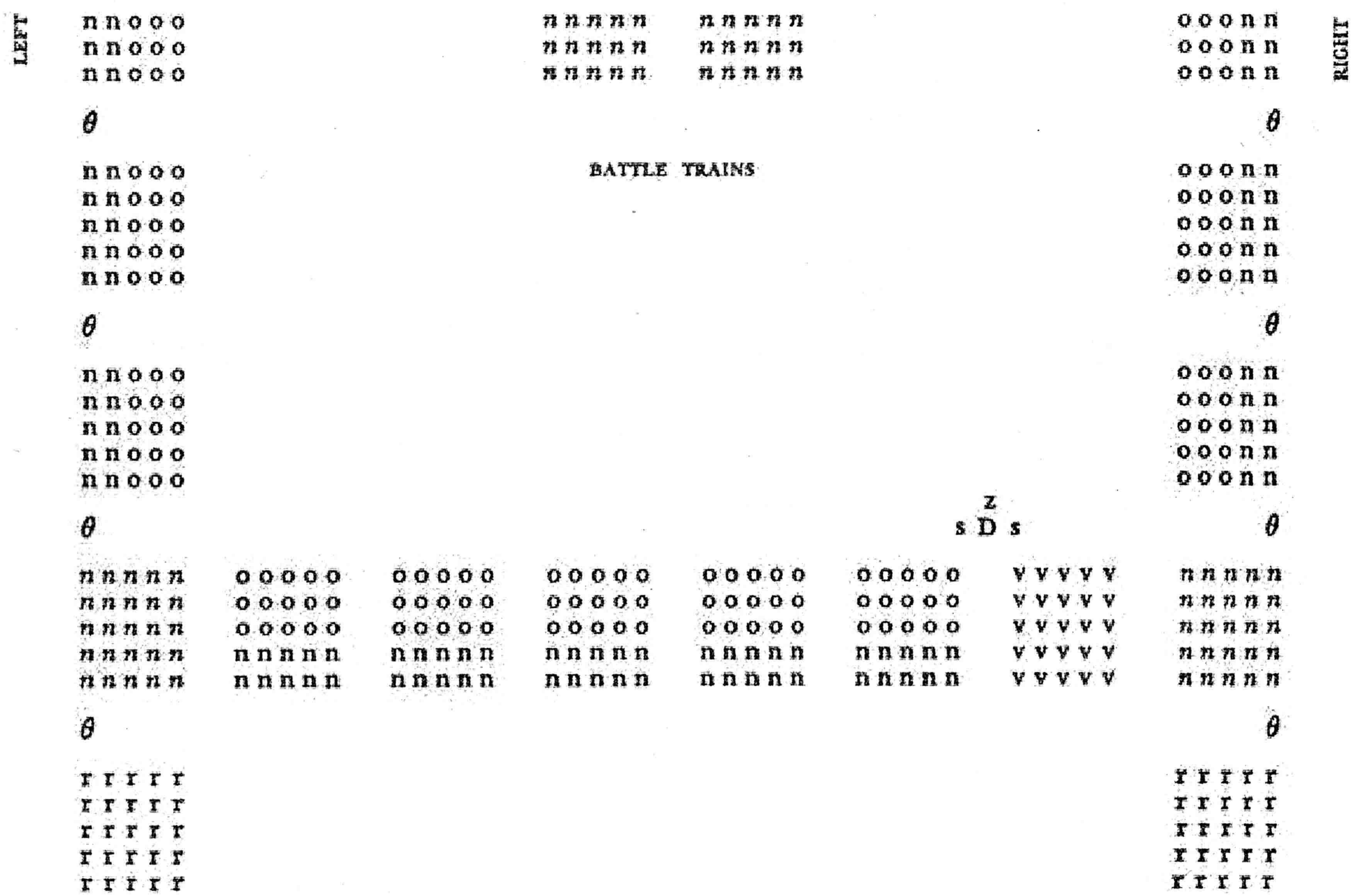
Scale: 1 millimeter = approx. 2 feet

FIGURE V الشكل الخامس

Marching Formation of an Army Comprising Two Regiments Totaling 20 Battalions Together With Supporting Units in a Hollow Square

تشكيل مسيرة تحتوي على فوجين بإجمالي 20 كتيبة مع دعم ومساندة وحدات في مربع أجوف.



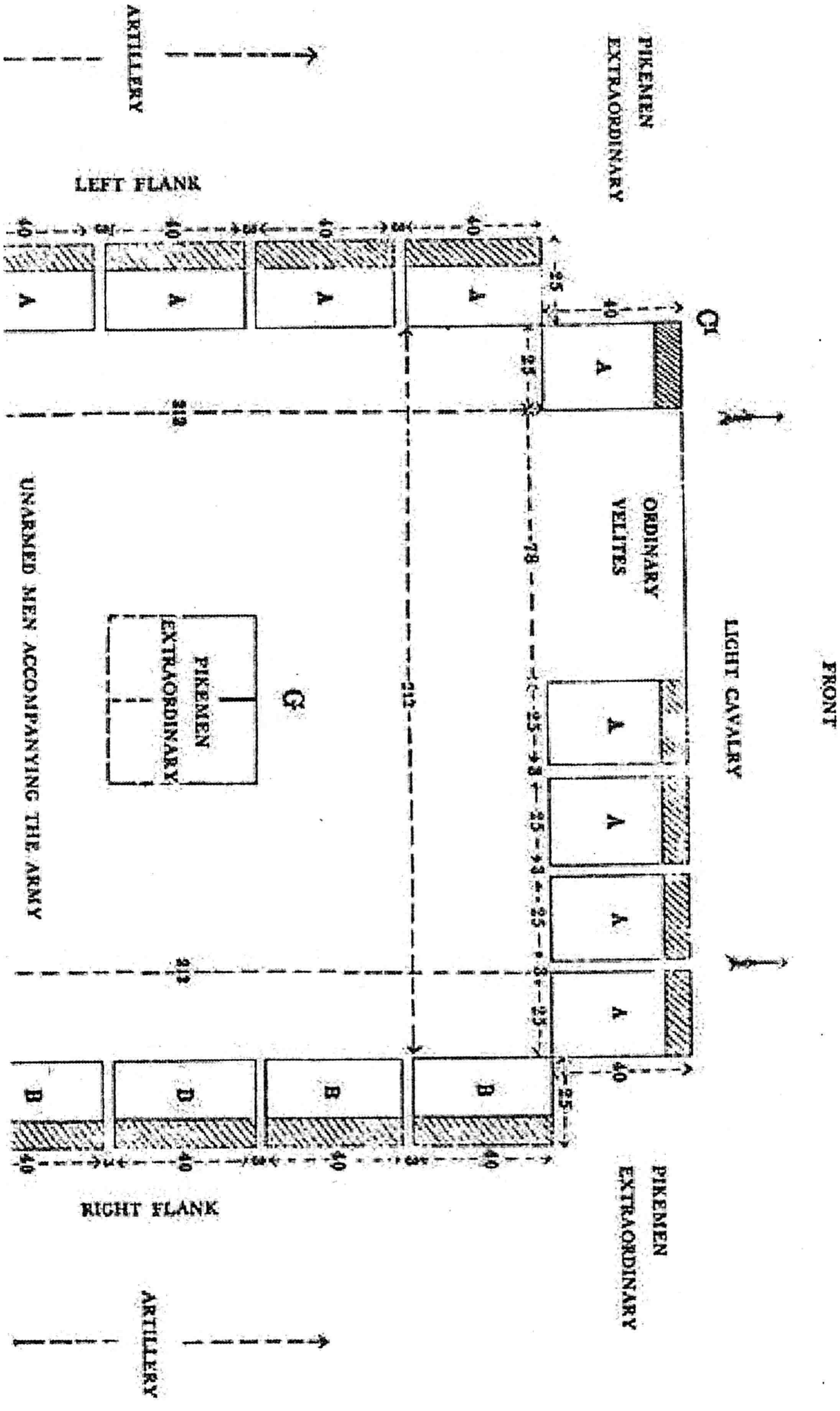


Legend:

c = Light Cavalry
n = Ordinary Pikemen
n = Pikemen Extraordinary
v = Velites, men with light-arms
o = Shieldbearer armed with a sword
r = Men-at-Arms
s = Fife and Drum Corps
z = Standard-bearer/Colors
D = Regimental Colonel
A = Commanding General
θ = Artillery

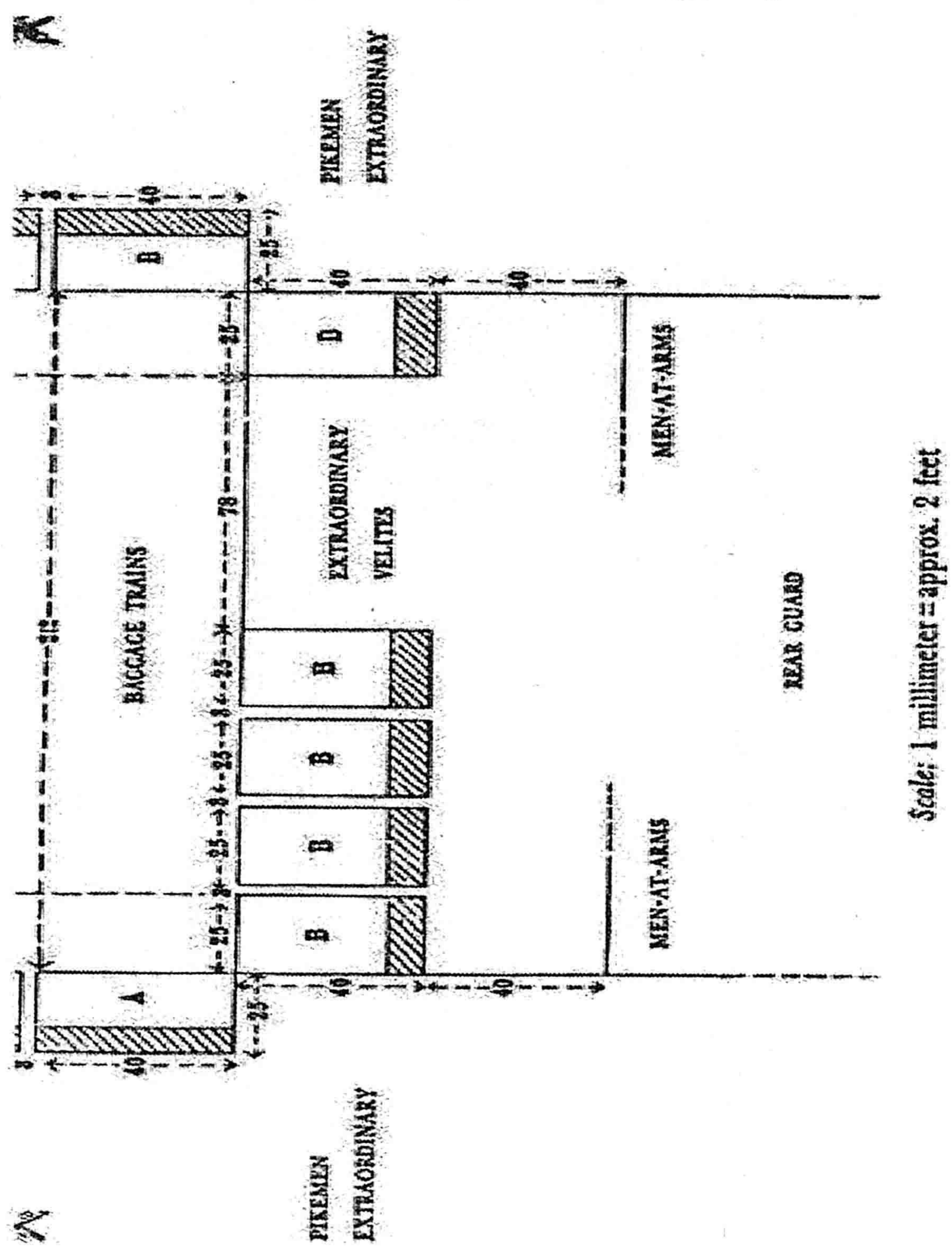
الشكل السادس FIGURE VI

Two Regiments in Marching Formation فوجان في تشكيل مسيرة



Legend: This formation is designed to give maximum effectiveness against any sudden attack. The rectangles marked A represent the subdivisions of the first regiment; those marked B represent the subdivisions of the second regiment. Machiavelli does not give the dimensions of the space in the center occupied by the pikemen extraordinary. The shaded areas indicate where each group's pikemen are.

المفتاح: هذا التشكيل مصمم لعمل أقصى حد للتأثير ضد أي هجوم مفاجئ، المستطيلات المميزة بـ A أقسام الفوج الأول والرمز B أقسام الفوج الثاني. لم يعط ماكياڤللي أبعادًا للفراغ في المنتصف أو المركز والذي يشغله حاملو الرماح فوق العادة. المناطق المظلّلة تشير أين تكون مجموعات الرماحين.



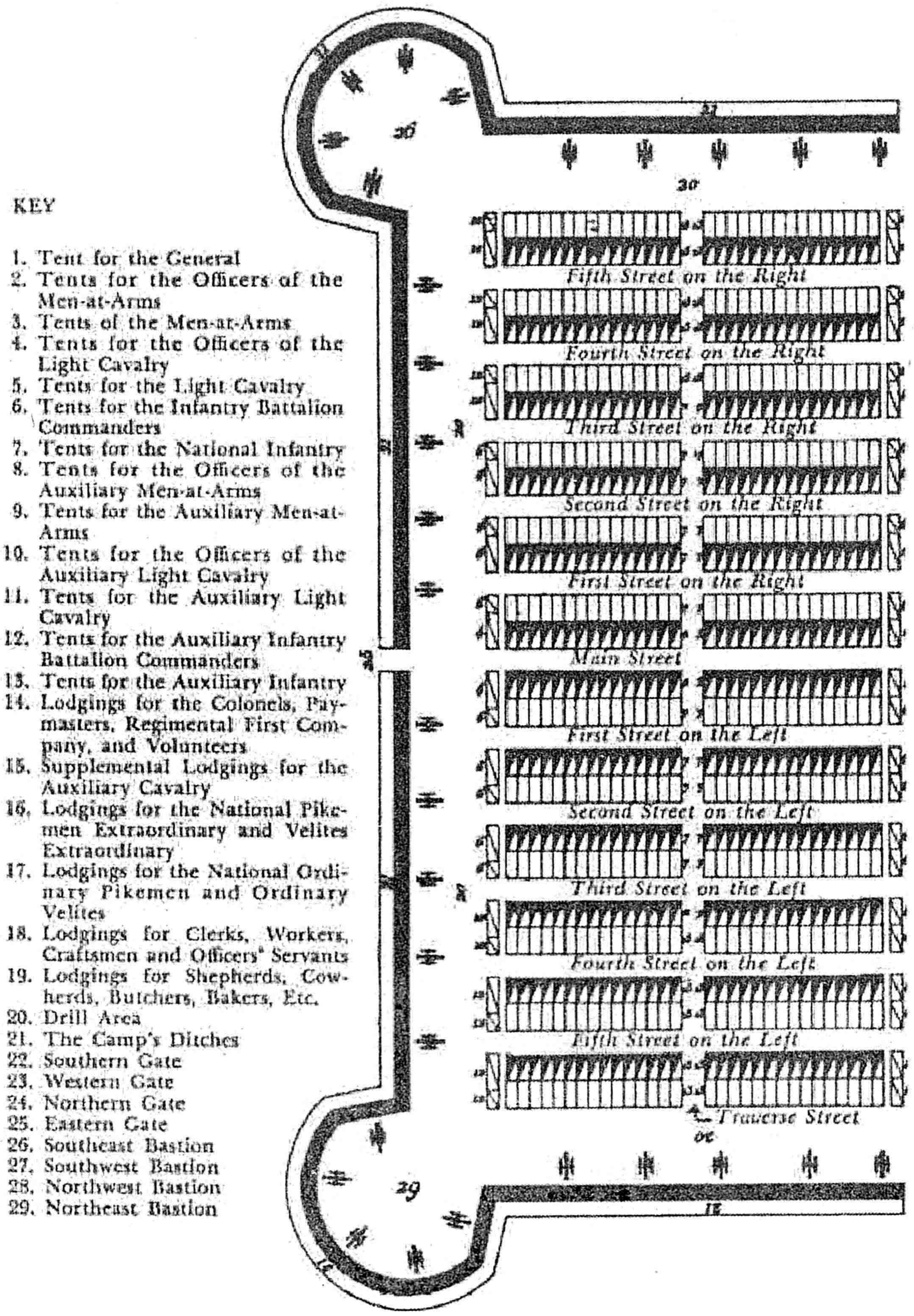
C² = General Leading the First Regiment C² القيادة العامة للفوج الأول

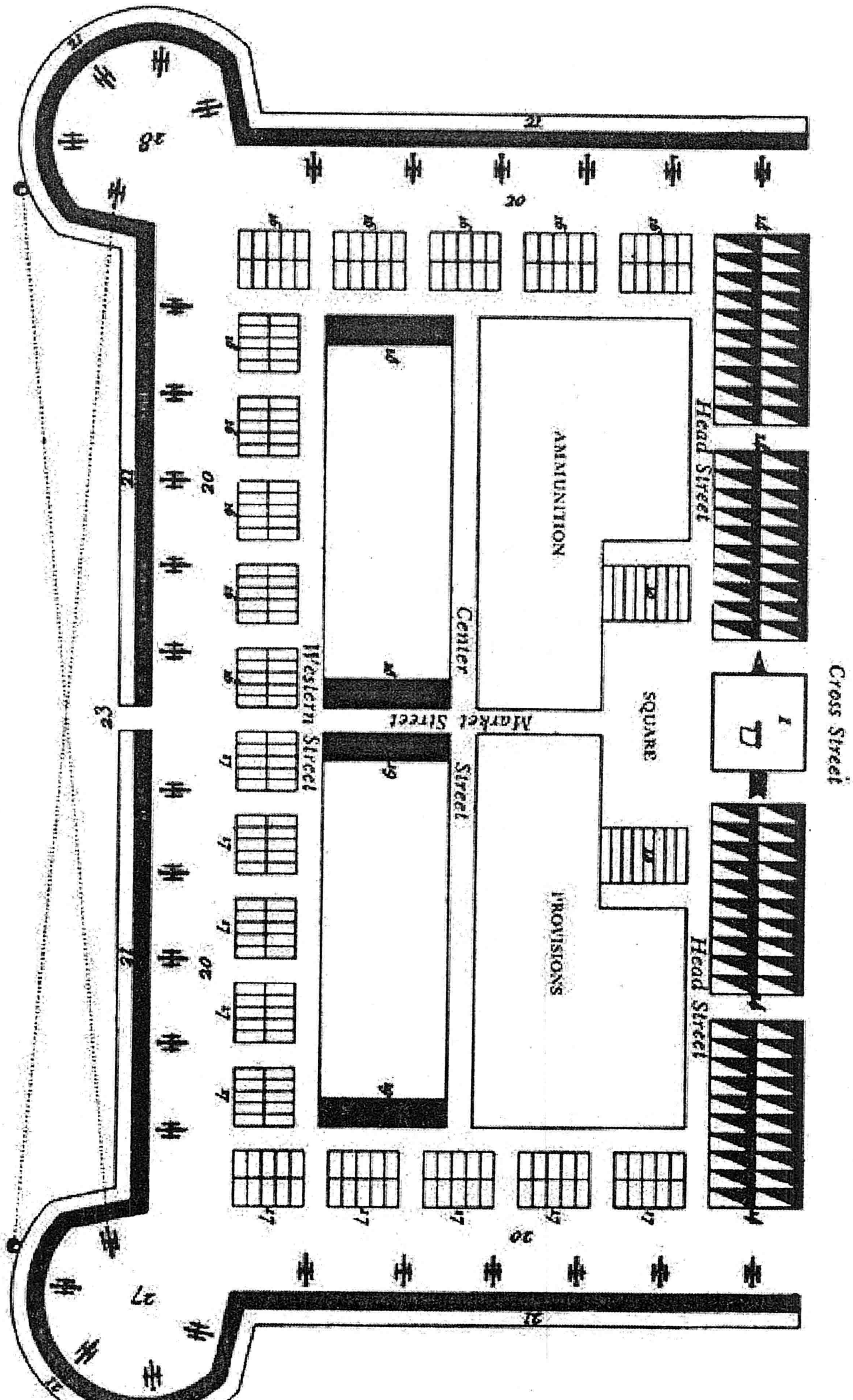
C² = General Leading the Second Regiment C² القيادة العامة للفوج الثاني

C² = General Leading the Entire Army C² القيادة العامة للجيش بالكامل

FIGURE VII الشكل السابع

A Fortified Camp and Lodgings معسكر محصن وقوي مع أماكن الإقامة فيه




AMMUNITION
PROVISIONS
SQUARE
Head Street
Head Street
Cross Street
Center Street
Market Street
Western Street

مراجع المترجم إلى العربية

1. القرآن الكريم
2. موسوعة نافع السياسية
3. الأمير تعريب خيري حماد دار الآفاق الجديدة بيروت
4. نيقولا ماكياڤللى دراسة تحليلية محورها كتاب الأمير محمد مختار الزقزوقي مكتبة الأنجلو المصرية
5. قاموس الأعلام Biographical Dictionary
6. قاموس المورد منير البعلبكي
7. مواقع عديدة وموثقة على شبكة الإنترنت العالمية

مراجع عالمية هامة للكاتب وأعماله

References

1. Harvey C. Mansfield, Machiavelli's Virtue, Chicago and London: University of Chicago Press.
2. Christopher Lynch, "Introduction," in The Art of War trans. Christopher Lynch (Chicago: University of Chicago Press, 2003) , xiv.
3. Art of War, Machiavelli

4. Niccolò Machiavelli, Art of War, Trans. Ellis Farnesworth. Da Capo press edition, 2001, with introduction by Neal Wood.
5. Niccolò Macchiavelli, The Prince trans. Harvey C. Mansfield Jr. (Chicago: U Chicago Press, 1985)
6. Makers of Modern Strategy: From Machiavelli to the Nuclear Age edited by Peter Paret (Princeton University Press, 1986)
7. Hanna Fenichel Pitkin, Fortune is a Woman: Gender and Politics in the Thought of Niccolò Macchiavelli (Berkeley: University of California Press, 1984)

Listed here are the works by Machiavelli I consider the most important.

- The Art of War (Dell'arte della guerra)
- Discourses on Livy (Discorsi sopra la prima deca di Tito Livio)
- The Florentine Histories (Istorie fiorentine)
- The Mandrake Root (La mandragola)
- The Prince (Il principe)
- Miscellaneous texts

الفهرس

Niccolò Machiavelli



فن الحرب

إن كتاب (فن الحرب) لنيقولا ماكيافللي هو واحد من الكلاسيكيات الكبرى في العالم من الناحية النظرية والعسكرية والسياسية وقد أشاد به خيرة العقول العسكرية في التاريخ كما أثر في عظماء كثيرين منهم فريدريك الكبير ونابوليون وجيفرسون و ڤولتير بل وشكسبير ، ويمثل (فن الحرب) قراءة أساسية لأي شخص يريد أن يفهم تاريخ ونظرية الحرب في الغرب ، وكذلك لقراء (الأمير) وأعمال ماكياڤللي الأخرى ويسعون لاستكشاف المزيد أو الفهم الكامل للعلاقة بين الحرب والسياسة في فكر ماكياڤللي ، هذا الكتاب يساعد القراء علي إعادة تقدير ماكياڤللي والفهم الكامل لتناول ماكياڤللي الرائع للعلاقة بين الحرب والسياسة ، والمدنيين والعسكريين ، والتكنولوجيا والتكتيكات واضعا بوضوح أساسيات التنظيم والإستراتيجية العسكرية.

إن ماكياڤللي يقدم لنا ترسانة حقيقية من التعاليم والوصفات والأمثلة مثل كيفية تحضير جنودك وتحطيم معنويات الأعداء وتجنب الكمائن واكتساب المزايا والقدرات التكتيكية والإستراتيجية تحت ظروف لا تعد ولا تحصي .

إذا أردت أن تفهم ما يحدث وما سيحدث من حروب متنوعة فى العراق وسوريا وليبيا واليمن ومصر وأفغانستان بل فى جميع أنحاء العالم يجب أن تقرأ هذا الكتاب فهو يمثل الفهم التقليدى عند الغرب لفن الحرب .

ومن أقوال ماكيافللي داخل الكتاب يقول عن تجار الحروب:

-يجب تجريم كل من يجمع ما يكفيه في وقت الحرب لدعم نفسه للأبد عن طريق السرقة والقتل والكثير من العنف تجاه أصدقائه فضلا عن أعدائه.

-ومن كلماته أيضا : إن عرف القائد مقدار قوته وقوة العدو جيدا ، فنادرا ما يخطئ

- من لا يعطى العناية المناسبة لتجهيز نفسه بالمخزون الكافي من المؤن والذخيرة فمن العدل إن تتم هزيمته دون أن يقوم بالهجوم ولو هجمة واحدة - لاتوجد خطة أكثر احتمالا للنجاح من التي أخفيتها عن العدو حتى حين وقت قطافها - الدين هو واحد من أقوي الحصون التي يتم بها رفع الروح المعنوية والروح القتالية - بعد تشاورك مع العديد حول ما يجب عليك القيام به ، تشاور مع عدد قليل جدا بخصوص ما ستقوم بتنفيذه في الواقع.

-والفرق بين الحرب والسلام في نظره هو أن (الحرب تصنع اللصوص والسلام يشنقهم) وما أكثر لصوص الحروب في دولنا العربية وفى العالم، ولكن للأسف لم يشنقهم السلام بل زادوا.

وعن أهمية الجيوش يؤكد : الجيش للدولة كالسقف للقصر يحمى ما بداخله.

I.S.B.N. 978-977-376-879-2

1 911954 046305

1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة